

مشرب الأرواح



ألف مقام ومقام من مقامات العارفين بالله تعالى

تأليف

الشيخ العارف بالله تعالى أبي محمد روزبهان بن أبي نصر البقلي الفسوي ثم الشيرازي

المتوفى ٦٠٦ هـ

ضبطه وصححه وعلق عليه

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي







HY HUMANISTISEN TIEDEKUNNAN KIRJASTO
107 204 0822



منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت لبنان

www.alkottob.com



مشرب الأرواح

ألف مقام ومقام من مقامات العارفين بالله تعالى

تأليف

الشيخ العارف بالله تعالى أبي محمد روزبهان بن أبي نصر
البقلي الفسوي ثم الشيرازي

المتوفى ٦٠٦ هـ

ضبطه وصححه وعلق عليه

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت لبنان

www.alkottob.com

منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية بيروت لبنان

جميع الحقوق محفوظـة
Copyright
All rights reserved ©
Tous droits réservés

جميع حقـوق الملكيـة الادبيـة والفنيـة محفوظـة لـدار الكتـب العلميـة بـيروت ـ لبنـان
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو اعادة تنضيد الكتاب كاملا أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو ادخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطيا.

Exclusive rights by ©
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon
No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth - Liban
Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procedés, en tous pays, faire sans autorisation préalable signé par l'editeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciares.

الطبعـة الأولى
٢٠٠٥ م. ١٤٢٦ هـ

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

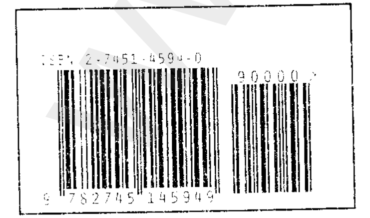
Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة: رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.
هاتف: ١١/١٠ ٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١
فاكس: ١٣/١٢ ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١
ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun-ilmiyah.com

الكتاب: مشرب الأرواح
MESHRABUL-ARWAH
المؤلف: روزبهان بن أبي نصر البقلي
المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي
الناشر: دار الكتب العلميـة ـ بيروت
عدد الصفحات: 308
سنة الطباعة: 2005 م
بلد الطباعة: لبنان
الطبعة: الأولى



www.alkottob.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم

بسم الله البارىء المصور، مبدىء الأشياء من العدم على غير مثال سبق، والحمد لله خالق الإنسان على صورته في أحسن تقويم ليحمل أمانة معرفة وحدانيته تعالى في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله وأحكامه. وليكون خليفته في ملكه فسخّر له ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه واستعمره في الأرض ليدعو إليه تعالى على بصيرة. مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التِّين: ٤] وقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢] وقوله تعالى: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ﴾ [البَقَرة: ٣٠] وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الجاثية: ١٣] وقوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١] وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يُوسُف: ١٠٨].

وصلّى الله على سيدنا محمد الإنسان الخليفة الكامل معلم ولد آدم كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك في عوالم الملك والملكوت والجبروت بما أرسله الله تعالى به من مقامات الدين الكامل: الإسلام والإيمان والإحسان لينقل الخلق من كثرة الشرك وظلمة الكفر إلى أنوار علم اليقين وعين اليقين وأسرار حق اليقين وحقيقة اليقين. متلونين في الأحوال الروحية ومتمكنين في المقامات السبوحية وعلى آله الطيبين الطاهرين من دنس رؤية سراب الأغيار تحققاً بقوله تعالى: ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [النُور: ٣٩] وقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ

www.alkottob.com

وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَٰلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرَّحمٰن: ٢٦، ٢٧] وعلى أصحابه المقربين المتزينين بأنوار أحوال حبيبهم المختار وأسرار مقاماته المتجلية بالأنفس والآفاق مصداقاً لقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى الْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فُصِّلَت: ٥٣].

وبعد، ففي إطار الحديث عن أنوار وأسرار المقامات الروحية التي يمر بها السالك إلى الله تعالى من بدايته إلى نهايته وفي إطار كتب التصوف الإسلامي التي نقوم بتحقيقها وتصحيحها وتنقيحها ونشرها بأبهى حلة خدمة للركن الثالث من أركن الدين الإسلامي الكامل، الذي هو مقام الإحسان، مقام «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» نقدّم للقراء الكرام كتاب «مشرب الأرواح» المشهور «بألف مقام ومقام» لمؤلفه العارف بالله تعالى الشيخ أبي محمد روزبهان البقلي الشيرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ ١٢٠٩م الذي أخبرنا في كتابه عن سبب تأليفه فقال: «أردت أن أخبر المريدين من بعض مقامات العارفين شكراً لإنعامه وحمداً لأفضاله حيث قال: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: ١١] فاخترت من جملتها على قدر فهومهم ألف مقام ليعرفوا مذاهب الأولياء ومسالك الأصفياء وما لهم عند الله من شرف المقامات ولطائف المكاشفات فيقصدوا بأرواحهم في معالي الدرجات ويطلبوا منها رفيع المنزلات... فرسمت بعون الله وحسن تأييده «ألف مقام» على عشرين باباً لكل باب ذكرت فيه خمسين مقاماً...».

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن هذه المقامات التي يقطعها المريد أثناء سيره إلى الله تعالى تكون تحت إشراف وتوجيه ورعاية شيخ كامل مربي عالم بأمراض النفوس والقلوب وبالأدوية الشافية لهما من هذه الأمراض لأنه ورث عن النبي ﷺ علوم وأسرار مراتب الدين الثلاث المكونة للدين الإسلامي الكامل المشار إليه في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] وهذه المراتب هي الإسلام والإيمان والإحسان المكونة للشريعة والطريقة والحقيقة والمقابلة للعوالم الوجودية الثلاث الملك والملكوت والجبروت والتي يقابلها في العلوم الفقه والعقيدة والتصوف.

هذا ونرجو الله تعالى أن ينفعنا والمسلمين بما في هذه الكتب من الحب والإخلاص والصدق واليقين وأسرار أنوار ما تعبدنا الله به أسوة ببرزخ الوجوب

www.alkottob.com

والإمكان الذي ينطق بالحق ومن بايعه فقد بايع الله تعالى، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: الآية ١٠] وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣، ٤] وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾ [الأحزاب: ٢١] وما ذلك إلا لننال السعادة الحقيقية المتمثلة بمعرفة الله تعالى في الدنيا، والنظر إلى وجهه الكريم في الآخرة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

وفي الختام لا بد من التنويه إلى أن بعض عبارات الكتب صيغت بأسلوب ركيك فقمنا بتقويم أغلبها وبقي القليل منها على حاله.

كتبه الفقير إلى الله تعالى
عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي

www.alkottob.com

ترجمة الشيخ روزبهان البقلي*

٠٠٠ ـ ٦٠٦ هـ

٠٠٠ ـ ١٢٠٩م

هو الشيخ العارف بالله تعالى روزبهان بن أبي نصر البقلي الفسوي ثم الشيرازي، كنيته أبو محمد، عالم كبير مشارك في علوم شتى، برز في التفسير والحديث والفقه والأصول والكلام والتصوف، مجهول تاريخ الولادة، أما وفاته فكانت في منتصف شهر محرم من العام ٦٠٦هـ ١٢٠٩م.

ترك مؤلفات عدة منها: لطائف البيان في تفسير القرآن، ومكنون الحديث، وحقائق الأخبار، والموشح في المذاهب الأربعة، وترجيح قول الشافعي بالدليل وكتاب العقائد، والأنوار في كشف الأسرار.

* من مصادر الترجمة: شدّالإزار المعروف بهزار مزار للشيرازي (٢٤٣ ـ ٢٤٧) وكشف الظنون لحاجي خليفة (١٩٦ ـ ١٠١١) وإيضاح المكنون للبغدادي (٥٦٧) ومعجم المؤلفين لكحالة (٤/ ١٧٥ ـ ١٧٦).

www.alkottob.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ربِّ أعن على الإتمام

الحمد لله الّذي حمد نفسه بنفسه في الأزل لعلمه أن أحمد أهل الحدثان مقصر عن حمد عزّه وإن تسرمد إلى الأبد، تنزّه بذاته عن أن يدرك كنه ذاته غوص الأوهام، أحارت أسرارُ وجوده عقول الأنبياء عن درك أوّليته، وحجبت أنوارُ كبريائه أرواح الأولياء عن البلوغ إلى حقيقة آخريته، أفنى خواطر ألباء المعارف سطوات عظمته في كوامن كشف صفاته، وأغرق ضمائر نظر الكواشف في بحار سبحات ذاته، لا يعرفونه في المبادي، ولا يدركون منه البوادي، طارت أرواح العارفين بأجنحة الهمم، واحترقت جناحها بنيران وسارت أسرار الموحّدين في ميادين الأزليات، وهملجت في أوائل قفار الأبديات، هام فؤاد المشتاقين في سرادق كبريائه، ووله عقول العاشقين في جمال بقائه، سبحان الذي لا يعرفه إلا هو، ولا يوحده إلا هو، إشارة كل مشير إليه تشبيه، وعبارة كل معبّر عنه تمويه، من أشار إليه بوصف غير وصفه فهو مشبهيّ ومن عبر عن ذاته فهو ثنويّ، سبقت عنايته الأزلية لخواص خالصته من المجذوبين بسلاسل الحب إلى حجال الوصلة، وبدت من حسن اصطفائيته أنوار الأولية للسالكين في ميادين المعرفة، فسلكوا بها إلى عالم المشاهدة كما سبق نهار السابقين في ميثاق الأول سنا سبحات وجهه فأسكرهم، وكلّم الصديقين بغرائب الخطاب، ورفع عنهم وحشة الحجاب، فحيّرهم وسقى أرواح المحبين شراب الوصال، وأنسهم بحسن الجمال، وأجلس المشتاقين في مجالس القربات، وأسند العاشقين في مساند المداناة، وكحل عيون العارفين بنور نوره فيرون به عجائب الملكوت، وأغرق قلوب الشاهدين في بحار الغيوب فشاهدوا غرائب الجبروت، أغار أسرار المقربين ببديهات كشوف أنوار الصفات، وغار على أنوار الموحدين، فسترها بأستار الأستار عن الأخيار في مشاهدات الذات، ونصب حجال الوصلة للواصلين في رياض الأنس، وزين للنقباء عرائس الزلفة في مراتع القدس، وأركب أرواح الأصفياء في ميادين الوحدانية، وألبس أشباح الأولياء لباس الفردانية، وأركب أهل الأسرار من النجباء على مراكب النور،

www.alkottob.com

وأجالهم في ميادين السرور، وخصّ المصطفين بسنيّ المقامات، وشرفهم بحقائق الحالات، وكسى أسرار الخلفاء أنوار الربوبية، وألزمهم سمات العبودية، وجعل البدلاء بديل الرسل والأنبياء وخلقهم لهداية الخلق إلى مقام الشهداء، وجعل نفسه مأوى أسرار الأقطاب، وعظمهم بين جميع الخلق بكشف النقاب، والحمد لله الذي خصّ هؤلاء السادات بهذه الدرجات السنية وبهذه الأحوال الشريفة والكرامات العلية، هم نجوم سماوات الطريقة وشوامخ رواسي الحقيقة، أولئك سرج الزمان وآيات الرحمٰن، شموس أسرارهم أشرقت من مطالع جلال الأزليات، وأقمار أرواحهم استوت في هواء الأبديّات، جالت قلوبهم حول الملكوت، وطارت عقولهم في سماء الجبروت، وسمت هممهم إلى تمام قرار القدم حتى بلغت بساط المداناة والكرم، أسبل عليهم أفانين أنوار جماله وجلاله، ونوّمهم في حجر وصاله، وروّحهم بمروحة الأنس، وطيّبهم بروائح عبق القدس، ترنم لهم بلابل بساتين ورد الكفاية، وتزمزم لهم عنادل أشجار العناية بألحانات الأمن والمكرمة فاستروحوا بروح المشاهدة، وسكنوا بطيب المكاشفة ثم نبههم بأصوات الرضاء، وألبسهم قباء أنوار البقاء، وسقاهم شراب المؤانسة، وأسكرهم بطيب الخطاب والنظر إلى جلاله وجماله بالمعاينة، ثم أدارهم في فراديس الأسرار على نجائب الأنوار، وفتح لهم صناديق عجائب كنوز الربوبية وأراهم ما فيها من غرائب لطائف الألوهية، فيا لها من شربات ما أحلاها، ويا لها من مجالس ما أطيبها، ويا لها من حجلات ما ألطفها، لهم جلال في جلال وجمال في جمال ووصال في وصال وكمال في كمال أبداً.

وصلّى الله على محمد خير ما كان وما يكون في العالم، وأكرم السلالة من فطرة آدم طاوس بساتين القدم وحمام أبراج الكرم خاتم الرسالة ومنبع الولاية وعلى آله الطيبين وصحبه المنتجبين.

وبعد فإني لما جذبني جاذب الحق إلى باب عبوديته، وأقامني على بساط ربوبيته، وأراني تيسير السر وجولان القلب ودور العقل وذو الروح لطائف ملكوته وخلال غرائب جبروته، وأدارني في مقامات الولاية، وسقاني شراب المحبة، وكحل عيني بكحل المعرفة، وشاهدني جماله وجلاله، وأتحفني وصاله، وجعلني في الحالات شاطراً، وفي المقامات طائراً، وفي المعرفة سالكاً، وفي التوحيد مالكاً، أردت أن أخبر المريدين من بعض مقامات العارفين شكراً لإنعامه وحمداً لأفضاله حيث قال: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: ١١]، فاخترت من جملتها على قدر فهومهم ألف مقام ليعرفوا مذاهب الأولياء ومسالك الأصفياء وما لهم عند الله من

www.alkottob.com

شرف المقامات ولطائف المكاشفات فيقصدوا بأرواحهم في معالي الدرجات ويطلبوا منها رفيع المنزلات، فإن بين العبد والربّ سبحانه منازل إذا لم يسلكوها لم يعرفوا حقائق العبودية والربوبية، ولم يذوقوا حلاوة الوصال ولم يطعموا طعم المحبة في المشاهدات، وهنالك مواضع الخطرات والامتحانات لا يقطعها إلاّ من اقتحم أوائل هذه الدرجات وبلغ إلى أعلى النهايات حتى ينجو من مهالك الطريقة ويصل إلى معاني الحقيقة.

ذكر أن الخضر عليه السلام قال: بين العبد وبين مولاه ألف مقام، ولذلك قال ذو النون المصري، وأبو يزيد البسطامي، والجنيد، وأبو بكر الكتاني رضي الله عنهم، قال ذو النون: بينه وبين العبد ألف علم، قال الجنيد: ألف قصر، وقال الكتاني: ألف مقام، وقال الجنيد: في طريق الله ألف مانع حاجز عن الله عزّ وجل فلا بدّ من الجواز عليهم؛ قال أيضاً: في الطريق ألف قصر في كل قصر قاطع من قطاع الطريق موكل على المريد السالك؛ ولكل موكل مكر وغدر خلاف الآخر؛ فإذا جاء السالك غدر الموكل معه شيء يعطى به فيمنعه عن الطريق ويحجبه عن الله؛ فإذا كان الأمر بهذه المثابة فلا بدّ من عالم عرف المنجيات والمهلكات حتى يبين لهم أسرار المقامات ويصرح طريق التخلص عن الآفات، وهذا وصف من أشرف بنور الحق على ما في غيب الحق كقوله عليه الصلاة والسلام: «لله عزّ وجل صفوة من بريئته قسم لهم من حظوظ كل نفس فهم مشرفون على هموم الخلائق كلهم أجمعين، وأن أبا بكر رضي الله عنه منهم، فمن خصّ بهذا الوصف لهم علوم إلّهية لدنية سرية نورية ملكوتية مستفادة من سير الأرواح في أنوار الأزليات والأبديات ووصولها إلى شاهد المشاهدات، وسكرها وصحوها في لقاء سبحات الذات وانكشاف علوم الصفات»؛ روى حذيفة أنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن علم الباطن فقال: «علم بين الله عزّ وجل وبين أوليائه لم يطلع عليه ملك مقرّب»[١] فهؤلاء بهذا العلم هم أدلاء الطريقة وأطباء الخليقة جعلهم الله المعدودين من كثرة المؤمنين والصالحين، وهم أوتاد الأرض ورواسي العلم خصّهم الله لأعلام ولايته ونيابة أنبيائه ورسله يهدون الخلق إلى الحق بسنتهم وآدابهم وطريقتهم»، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

فرسمت بعون الله وحسن تأييده «ألف مقام» على عشرين باباً لكل باب ذكرت فيه خمسين مقاماً لكل طائفة من سادات الطريقة وسميت أسماءهم.

أولها باب في مقامات المجذوبين والثاني للسالكين والثالث للسابقين والرابع للصديقين والخامس للمحبين والسادس للمشتاقين والسابع للعاشقين والثامن للعارفين والتاسع للشاهدين والعاشر للمقربين والحادي عشر للموحدين والثاني عشر للواصلين والثالث عشر للنقباء والرابع عشر للأصفياء والخامس عشر للأولياء والسادس عشر لأهل الأسرار من النجباء والسابع عشر للمصطفين والثامن عشر للخلفاء والتاسع عشر للبدلاء والعشرون للأقطاب، وبنهايته تتمّ المقامات وبالله التوفيق.

www.alkottob.com

الباب الأول

في مقامات المجذوبين وهو خمسون فصلاً

الفصل الأول: في مقام الروح

في بدوّ أمرها قبل دخولها في الجسد وكونها بإيجاد الحق وإدراكها في الكينونة مباشرة الأمر بنعت الفيض، وذلك أنها إذا أراد الله إيجاد الكون تعزّز بكبريائه، وتجلّى لذاته بذاته ومن ذاته لصفاته فتلطف الجمال للجلال والجلال للجمال، فطلب من نفسه بنفسه مكمنات علم القدم التي عرفها من نفسه قبل المعلومات، فأجاب الإرادة للعلم والعلم للرضا والرضا للقضا والقضا للحكم والحكم للذات فجمع حسن تجلي جميع الصفات والذات في سناء المحبة حتى ظهر عين الكل في المحبة ثم تجلى من المحبة للأمر ثم تجلى من الأمر في الكاف والنون اللذين من الأسماء والنعوت فظهر من بينهما نور فصار ذلك النور العقل البسيط ثم قال: العقل البسيط مسقط تجلي الاستواء بجميع الذات والصفات، فبدا فيها تهزز من صولة استيلاء القدم، فصار متفرقاً فجمع الله متفرقاته، فخلق منها بصفة الخاصة الأرواح القدسية الملكوتية الجبروتية، وألبسها سنا خلق القدم، وحبسها في حجب الغيب ليعرفها في طيرانها في عالم الديمومية جميع الأسماء والصفات والنعوت والأفعال وجلال الذات، وليريها كنوز عجائب قدم الذات، وغرائب لطائف الصفات، كما قال عزّ كبرياؤه فيما روى عنه نبيه ﷺ: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أُعرف»[1]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦] أي ليعرفونني، أكرم هذه الخليقة اللطيفة إذ أجادها قبل الكون، وكساها نور الغيب وصيّرها غيباً في الغيب، وألهم علومها ومعرفتها على أكثر الخلق، ومنعهم عن إدراك أسرارها وقال: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]، أخرجها على الكيفية بكونها في رؤية ألوهيته التي تنزهت عن الكيفية وإحاطة الحدثان بها، ثم أخبر عليه الصلاة والسلام عن

---

(١) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (٢٠١٦) [٢/١٧٣].

www.alkottob.com

شرف تقدمها قبل أجساد الكائنات بأسرها وقال: «خلق الله الأرواح قبل الأجساد بألفي ألف عام»[١]، وقال الواسطي رحمة الله عليه بلسان الشطح في وصفها: تقادح النعتان الجلال والجمال فظهرت من بينهما الأرواح أراد بهذه ما ذكرنا من هذه المعاني التي سبقت، وجميع ذلك موجود في قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحِجر: ٢٩]، أخبر تعالى به عن خاصية الإضافة المبرأة عن الحلول في الحدثان ومباشرة الأكوان.

الفصل الثاني: في مقام الروح إدراك لذة مباشرة الفعل

وذلك بعد وقوفها بكمال الخلقة في منزل الانتظار لتدرك من عين القدم روح الفعل فأبرز الحق نور الفعل الخاص لها وهو تقليب الحق إياها من عجز الحدث إلى برهان القدم بظهور القدرة في الفعل في حقيقة جميع وجودها حتى وجدتها نزول روح الفعل في نفسها فصار حياً بحياة فعل القدم بعد حياة الحدث، وفيه إشارة قول الله تعالى قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، فسمي الفعل أمراً لأن الأمر والفعل صادران من عين القدم.

الفصل الثالث: في مقام الروح وجدانها مباشرة تجلي الصفات

إذا حيّ بروح الفعل احتاجت إلى تعريف ما وجدت فظهرت لها تجليات الصفات بإجمالها وكساها نور خاصيتها فعرفت بالروح الثاني روح الأول وبقيت في العجز عن إدراكها فأسكنها الحق في أبراج الصفات بنعت الحيرة حتى صارت مرباً[٢] بصفاء الصفات أهلاً لتجلي الذات، قال الله تعالى في حقيقة هذه المعاني: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النُّور: ٣٥] المِشْكاةُ ذات الروح والمصباح نفس الفعل والنور سنا الصفة، وقال عليه الصلاة والسلام في بعض دعائه: «اللهمّ اجعلني نوراً»[٣] وهذه إشارة إلى ما ذكرنا من معنى الصفة والاتحاد بها.

---

(١) أورده الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، حديث رقم (٢٩٣٧) [٢/ ١٨٧].

(٢) المَرَب: الأرض الكثيرة النبات (القاموس المحيط).

(٣) رواه أبو نعيم الأصبهاني في المسند المستخرج على صحيح مسلم، باب قيام النبي ﷺ بالليل، حديث رقم (١٧٤٦) [٢/ ٣٦١] وأحمد في المسند، حديث رقم (٢٥٦٧) [١/ ٢٨٤] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

الفصل الرابع: في مقام الروح رؤيتها تجلي الذات

وإذا صارت الروح متصفة بصفات الحق وجدت في نفسها الروح الكبرى فتهزّزت بها وكادت أن ترفعت بالحق في مقام الربوبية، فلما رأى الحق تهززها عاد على الربوبية وتجلى لها من ذاته عين العزة حتى قهرها في سلطنة كبريائه فانكسرت الروح تحت سبحات الذات وتصيرت مستعدة لوقوع المشيئة قابلة للعبودية، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وفي هذا المعرض أقرّ بالعجز سيد البشر عليه الصلاة والسلام في مشهد القرب عند تجلي الذات: «أنا عبد وابن عبدك لا أحصي ثناء عليك»[(١)].

الفصل الخامس: في مقام ظهور جميع صفات العبودية في الروح

وذلك إنما تمت الروح بكمال أخلاق الربوبية ووجدانها تأثير جميع تجلي نور الصفات والذات وعرفت خالقها بتأييد سافر به علمت نفسها بالعبودية والحق بالربوبية فيبقى الروح في حقيقة الخضوع لرب العالمين حتى تكون مجموعة بجميع صفات العبودية التي ظهرت من أخلاق الربوبية فيها، قال تعالى في وصف روحه عيسى عليه السلام بعد عبوره بهذه المقامات: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [مريم: ٣٠] الآية، وقال في وصف حبيبه عليه السلام ما نزّه نفسه عن علة الحدثان: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ

---

(١) هذا النص ورد في حديثين منفصلين الأول رواه ابن السني محمد بن إسحاق الدينوري في عمل اليوم والليلة برقم (٣٣٩) [١/ ٣٠٠] ونصه:

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصابه هَم أو حزن فليدعُ بهذه الكلمات يقول: اللهم أنا عبدك وابن عبدك وابن أمتك في قبضتك ناصيتي بيدك ماض فيّ حكمك عدل فيّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علّمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم نور صدري وربيع قلبي وجلاء حزني وذهاب همي وغمّي».

فقال الرجل من القوم: يا رسول الله إن المغبون من غبن هؤلاء الكلمات فقال: «أجل قولوهن وعلموهن فإنه من قالهن التماس ما فيهن أذهب الله حزنه وأطال فرحه».

وأما الحديث الثاني فمن رواياته ما رواه مسلم في صحيحه، باب ما يقال في الركوع والسجود، حديث رقم (٤٨٦) [١/ ٣٥٢] ونصه:

عن أبي هريرة عن عائشة قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول: «اللهم أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

www.alkottob.com

﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]، وقال عليه السلام: «أَنَا العبْدُ لاَ إِلَهَ إلاَّ الله»[١]، وقال بعض العارفين: كمال المرتبة عبودية الله، فأقول: إذا ظهرت الربوبية في العالم ظهرت العبودية في الكون لأنّ العبودية تقوم بالربوبية.

الفصل السادس: في كون استعداد المعرفة بنعت الكمال في الروح

فإذا وجدت الروح تحقيق العبودية وشاهدت مشهد الربوبية طالبها الحق بحقيقة معرفته وهيجها إلى طلب عرفان ذاته وصفاته بنعت وجدانه لذة العلم بالحق فهاجت من معدن الحدوثية وطارت في هواء الهواء لطلب إفراد القدم عن نفسها بالقدم فألبسها الحق نور سكينة التجلي وكحلها بكحل التدلي حتى صارت مستعدة لرؤية صفات الحق بنعت المعرفة. قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝﴾ [الرحمٰن: ٤]، وقال عليه السلام: «أعرف الله»، وقال علي رضي الله عنه: مَن لم يعرف الله في الدنيا لم يعرفه في الآخرة. وأقول: من لم يخلق في نفسه استعداد المعرفة لم يعرف الله في الدنيا والآخرة.

الفصل السابع: في مقام وقوفها في الحضرة

وذلك بعد كمالها في العبودية والمعرفة، وأنّ الله تعالى حبسها في الحضرة لتجري عليها أحكام الربوبية وتربيتها في العبودية المجردة حتى بلغت من صفة الخاص سمع الخاص وكملت في صبابتها وشوقها إلى خطاب معرفتها، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ۝﴾ [الصافات: ١٦٤]، وقال عليه السلام: «الأرواح في يمين الرحمٰن»[٢] وقال بعض العارفين: وقوف الروح عن الترقي امتحان.

الفصل الثامن: في سماع الروح خطاب الحق

لما بقيت الروح بنعت الانتظار في محل الأنوار وأدركت في نفسها مباشرة أحكام الربوبية، فطلب من وراء الحجاب ما يدل على ما وجدت قبل الوقوف، وهو الخطاب لتستدل به على معرفة تلك المقامات التي عبرت عليها، فخاطبها الحق بثبت خطاب، خطاب الفعل للطلب وخطاب الصفات للطرب، وخطاب الذات للهرب، وذلك حين أراد الحق تعالى أن يعرفها نفسه بخطابه فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف:

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٢) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

١٧٢]، وفيه إشارة النبي ﷺقال: «أول ما خلق الله تعالى العقل فقال: أقبل» الحديث، عبّر عن الروح المقدسة بالعقل الأول، قال الواسطي: كلما وقع على الروح من الملاحظات رتب على الأيام والأوقات، ففي بعض الأيام عرفت المخاطبات والإشارة إلى المقامات.

الفصل التاسع: في مقام الروح إدراك لذة الخطاب

ولما سمعت الروح خطاب الحق باشرها طيب الكلام وأغرقها في بحر الغرام فدهشت به أسماعها ساعة في الهيبة، وذابت ساعة في اللذة، وتحيرت ساعة في الدهشة، أخبر الله تعالى عن هذه الصفات في نزول خطابه من كبر الكروبيين حيث قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ [سَبَإ: ٢٣]، وقال عليه السلام: «يأتيني يعني الوحي مثل صلصلة الجرس»[١]، وقال الحسين بن منصور: في الإنسان لطيف وكثيف فالخطاب مع اللطيف.

الفصل العاشر: في مشاهدة الروح بنعت الهيبة

وذلك إفاقتها من سكر الخطاب أحضرها الحق في عماء وآنسها بصفاء حتى شهدت مشاهد القرب وأدركت صولة الحضرة فهابت منها فتحيرت وذلك من علمها بعزّ الحضرة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فَاطِر: ٢٨]، وقال عليه السلام: «أنا أعرفكم بالله وأخشاكم منه»[٢] وقال: «الشاهد يرى ما لا يرى الغائب»[٣]، وقال النهرجوري: مشاهدة الأرواح تحقيق ومشاهدة القلوب تعريف.

الفصل الحادي عشر: في مقام بروز أنواع الحق للروح

إذا شاهدت الروح قوام القدم ترصدت بعين العشق ظهور نور الصفات فأبرز الحق لها لوائح نعوت القدم ليغيرها بوصف القدم وأعشقها بجمال البقاء، قال تعالى:

---

(١) رواه البخاري، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، حديث رقم (٢) [١/ ٤] ورواه مسلم في صحيحه باب عرق النبي ﷺ في البرد، حديث رقم (٢٣٣٣) [٤/ ١٨١٦] ورواه غيرهما.

(٢) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (٦٠٧) [١/ ٢٣١] وإبراهيم الحسيني في البيان والتعريف، باب الهمزة مع النون، حديث رقم (٧٨٢) [١/ ٢٩٣].

(٣) رواه أبو عبد الله المقدسي في الأحاديث المختارة، حديث رقم (٦٩٠) [٢/ ٣١٢] والقضاعي في مسند الشهاب، حديث رقم (٨٥) [١/ ٨٥] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ﴾ [الأعراف: ١٤٣] وقال عليه السلام حين سئل: هل رأيت ربك؟ قال: «رأيت نوراً»[١]، وقال بعضهم: إذا تجلّى الحق للأرواح تراءت بنوره غيب الملكوت وعالم الجبروت.

الفصل الثاني عشر: في مقام الروح تجلي الخاص

إن الله تعالى تجلّى للروح من صفته الخاصة بعدما أنه أعطاها عيناً من نوره لتبصر بها صفات الخاصة وتعرف بالصفة حق القدم على الحدث. قال تعالى في وصف دنوّ الحبيب، عليه السلام: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ١١﴾ [النجم: ١١]، رأى بالفؤاد الصفة ورأى بالعين الذات كما قال: «رأيت الله بقلبي وبعيني»[٢]، وكما قال بعضهم: ليس بين الروح والحق حجاب.

الفصل الثالث عشر: في مقام معاينة الروح

وذلك بعد طيرانها في مهمة الصفات وغيبتها في الأنوار انكشف الحق لها بنعت العيان وأشهدها في دنو الدنو وبصّرها جمال ذاته القديم تعالى، كما وصف الله حبيبه بالمقام المحمود وهو الدنو والرؤية قال: ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم: ٨]، وقال عليه السلام: «رأيت ربي بعيني»[٣] وللمصطفى صلوات الله وسلامه عليه من بدوّ روحه إلى أبد الآباد رؤية ومشاهدة وقد وصفت روحه بهذه المقامات، وقال بعض العارفين: كشف الحق جلّ جلاله جماله لأرواح العشاق في بدوّه الأول بعد تعريف نفسه إياها بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

الفصل الرابع عشر: في مقام دخول الروح في الملكوت

بنعت وقوفها في المقامات لبلوغها كمال التربية، وذلك لما خلقها الله تعالى وعرّفها نفسه بكمال الرؤية أراد أن يرسلها إلى مواقف العبودية فكوّن لها المكونات من ملكوت العرش والكرسيّ أدخلها في حجب الملكوت حتى دارت حول العرش والكرسي في جميع المقامات المعلومات وعرفت صنع المقامات، وقال تعالى في حق

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، باب في قوله عليه السلام: نور أنى أراه..، حديث رقم (١٧٨) [١/ ١٦١] وابن حبان في صحيحه، باب ذكر الخبر الدال على صحة..، حديث رقم (٥٨) [١/ ٢٥٤] ورواه غيرهما.

(٢) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٣) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

الخليل: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ۝٧٥﴾ [الأنعام: ٧٥] يعني مشاهدين في رؤية الصفات وعين الجمع. قال تعالى في صفة البداء: «أبدانهم في الأرض وأرواحهم في الملكوت» بيّن أن الأرواح في إشارته من معادن الغيب خُلقت، قال بعض الصوفية: خلق الله روح آدم من نور الملكوت.

الفصل الخامس عشر: في دخول الروح عالم الصورة

إذا شرّفها الله بهذه الحالات وكساها أنوار الصفات وطرز جلباب حسنها بحسن الذات طلب منها خضوع عبوديتها له فأجابت الروح مراد الحق بنعت الطوع فقبضها الحق إذا أراد أن ينفخها في صورة الصلصالية جمع النطفة المقدسة في الرحم ثم أمرها أن تختلط بالنطفة فإذا وقعت الروح نوّرها على تلك النطفة وقفت معها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ﴾ [الإنسان: ٢]، وقال عليه السلام: «إذا جمع الله النطفة في الرحم وكل عليها الملك» الحديث، قال أبو عمرو الدمشقي: الأشخاص بظلمها كائنة والأرواح بأنوارها مشرقة، فمن طالع الأشخاص بظلمها أظلم عليه وقته ومن شاهد الأرواح بأنوارها دلّ على منورها.

الفصل السادس عشر: في مقام الروح

تربية النطفة بلطف عكسها حتى صيرتها العلقة، وذلك بأن الروح إليها ينظر فعل الله الخاص من نظر الهيبة؛ قال تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةً﴾ [المؤمنون: ١٤]، وفي الحديث: «أنه تعالى لما خلق بدوّ الخلق دُرّة بيضاء فنظر إليها بالهيبة فصارت ماءً»[١] وتلك نطفة القذر وهذه النطفة شبهها في أصل إيجاد الكون ومنها تنشعب أسرار الربوبية، قال العارف: تصرف الروح في معدنها من الإنسانية تقليب الأعيان منها.

الفصل السابع عشر: في مقام الروح

في تقليبها بعكس أصلها العلقة مضغة، وذلك نظرها إليها بالحدة لتنعقد وذلك النظر واسطة صولة القدرة، قال تعالى: ﴿فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةً﴾ [المؤمنون: ١٤] فالمضغة بنا عالم نفس الأول لظهوراته العلوية فيها.

---

(١) أورده العيني في عمدة القاري عن كعب باب قوله: وكان عرشه على الماء، [١٨/ ٢٩٣]. ولفظه: قال كعب: خلق الله ياقوتة حمراء ثم نظر إليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء.

www.alkottob.com

الفصل الثامن عشر: في مقام الروح

في تصرفها بقلب المضغة إلى العظم بنظر القدرة لاستقامتها في التمكين، وهي غاية اتصافها بالقدرة القديمة، قال تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ [المؤمنون: ١٤].

الفصل التاسع عشر: في مقام الروح

ونظرها بعكس لطفها إلى جمال الصورة ليكسيها ثوب الخلوقي بناء لقبول نقوش خاتم ملك القدرة، قال تعالى: ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون: ١٤].

الفصل العشرون: في مقام الروح تربيتها كمال الصورة

وذلك بعد تصرفها في جمع متفرقات العناصر الأربع وعجنها السلالة الصلصالية بعكس مزاج جواهر إكسيرها مع مقابلتها بكشف نفسها لها حتى رقمت مثال وجودها على وجود الجسد ومثل وجه الصورة مثل وجهها وهي منقوشة نقش خاتم القدر في يد القدرة لذلك وقعت الصورة قابلة لنقش الروح لأنها وقعت على صورة نقش فطرة الأول كما أشار عليه السلام: «خلق الله آدم عل صورته»[1] أي صورة الفطرة التي كانت في القدرة، من هاهنا قال الواسطي: أنا ابن الأزل والأبد، فأتمت هذه الأمور حصول كمال تسوية الصورة بالروح.

الفصل الحادي والعشرون: في مقام الروح في دخولها في الصورة

إذا وجدت الروح جوهر الفطرة الذي خلقته يد القدرة منقوشاً بنقشها، قال تعالى: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، أرادت السير في خاصية فيض صفة الخاصة وهي صورة آدم عليه السلام خرجت من فلق صباح الصفة ودخلت في مصدر فعل الخاص الذي هو مرآة الروح التي تجلت منها للعالم، قال تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩]، قال بعض العارفين: إن الله تعالى تجلّى للروح فصارت الروح منورة بنور الحق خاضعة لكبريائه وتجلى من الروح للصورة فصارت مصورة بصورته خاشعة لعظمته بنعت العبودية، قال عليه السلام: «إذا تجلى الحق لشيء خشع له»[2].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، حديث رقم (٥٨٧٣) [٥/ ٢٢٩٩] وابن حبان في صحيحه، ذكر وصف طول آدم حيث خلقه الله جلّ وعلا، حديث رقم (٦١٦٢) ورواه غيرهما.

(٢) أورده السيوطي في شرح سنن النسائي، كتاب الكسوف [٣/ ١٤٤] والمناوي في فيض القدير [٥/ ١٣٧].

www.alkottob.com

الفصل الثاني والعشرون: في مقام الروح في اتصال العقل بها

وهو أنها إذا استقرت في أماكن غيب الصورة يفتح الله لها باباً من العرش ويوصلها نور العقل منه زيادة في قوة إدراكها إدراك معرفة قدس القدم وذلك العقل روح روح القدس، قال تعالى: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧]، وقال عليه السلام: «بالعقل ينال خير الدنيا والآخرة»[١]، وقال أبو بكر بن سَعدان: خلقت الأرواح من النور وأسكنت ظلم الهياكل فإذا قوي الروح جانس العقل وتوارث الأنوار وأزالت عن الهياكل ظلمها وصارت الهياكل روحانية بأنوار الروح والعقل فانقادت ولزمت طريقتها ورجعت الأرواح إلى معدنها من الغيب تطالع مجاري الأقدار فهي تطلع على المجاري من الأقدار، وهذه ترضى بمراد القضاء والقدر وهذه من لطائف الأحوال.

الفصل الثالث والعشرون: في مقام الروح في عبورها بالفطرة

وهي تجول إذا دخلت العالم الأصغر لتدبرها في أكناف الغيب وما فيها من الفهم والوهم والحس والخيال والنفس فتقهر علمها، قال الله تعالى فيما حكى عن قول بلقيس: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ [النمل: ٣٤]، وقال عليه السلام: «القلب ملك البدن» عنى به الروح، وقال العارف: إذا قويت الروح صار ما دونها من جنود النفس مقهورة لها.

الفصل الرابع والعشرون: في مقام الروح في إدراك زيادة نور العقل

يزيد نور العقل حيث زاد قوة الروح والصورة فيعيش الروح بزيادة نور العقل إلى الآباد في جميع الأوقات لأن العقل مصباح الحق لها في سبل الإلهام وظلم النفوس، قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس: ٨]، وفي الحديث: «من زاد عقله زاد إيمانه»[٢]، وقال الواسطي: إنهما شيآن الروح والعقل؛ فالروح لا تسدي إلى العقل محبوباً ولا العقل يتهيأ له أن يدفع عن الروح مكروهاً.

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٢) هذا الحديث لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

الفصل الخامس والعشرون: في وجدان الروح أنوار الإيمان الغيبي

ولما سكنت الروح مع العقل في حبس الصورة تحتاج أن ترقى صفات الفعل فأسرج الحق لها مشكاة العقل بمصباح نور الأزل لتقويها في إدراك لطائف اصطناع الحق في ولاية الصورة، قال: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٧]، وفي الحديث: «الإيمان نور الله في قلب المؤمن»، وقال العارف: الإيمان كشوف الغيب للروح.

الفصل السادس والعشرون: في تمكين الروح في الفطرة

إذا غلب الروح على عسكر الطبيعة تستقل بنفسها وتنتشر أنوارها في جميع ميادين القلب والصورة فصارت الفطرة الترابية مطبوعة بطبع الروح وتطمئن بطمونيتها، قال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧﴾ [الفجر: ٢٧]، قال عليه السلام: «إنَّ في جسد بني آدم لمضغة»[(١)] الحديث، قال الشبلي رحمة الله عليه: في قوام الجسد واستقامة الروح في الفطرة بالله قامت الأرواح والأجساد والخطرات لا بذواتها.

الفصل السابع والعشرون: في استعداد الروح في الفطرة للمعرفة واستوائها فيها

وذلك بعد استقامتها في كمال التربية واستيفائها حقيقة العبودية من النفس وما فطرت عليه من قبول الحقيقة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ [التين: ٤]، وقال عليه السلام: «كل ميسر لما خلق له»[(٢)] وقال الشبلي رحمة الله عليه: بالله قامت الأرواح والأجساد والخطرات لا بذواتها، وقال الشبلي أيضاً: الأرواح تلطفت فتعلقت عند رعاة الحقيقة فلم ترَ معبوداً عن أن يتقرب إلى ذلك الشاهد بغير ذلك المشاهد وأيقنت أن الحدث لا يدرك القديم بصفة المعلولة.

الفصل الثامن والعشرون: في ترقي الروح في كمال الصورة إلى كمال العقل وقت الحكم

وذلك سيرها مع العقل والصورة والفطرة والعنصر في زمان عمر الأعصار وتقلبها من أول نشوء الصورة إلى مقام البلوغ لإدراكها فيض نظر الأفعالي ونظر

---

(١) أورده الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب عن النعمان بن بشير، حديث رقم (٨٣٤) [١/ ٣١٨] وأورده غيره.

(٢) رواه البخاري، باب قول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ۝٢١﴾ [البُرُوج: ٢١] حديث رقم (٧١١٢) [٦/ ٢٧٤٥] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

الصفاتي ونظر الذاتي ولكونها حاملاً لأمانة القدم، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٧٢] إلى قوله: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وفي الحديث: «خلق الله الخلق لعبادته»[1] وقال العارف: نظر الحق في العالم فلم يرَ أحداً يطيق أن يحمل أمانته إلا آدم فحمل عليه أمانة المعرفة.

الفصل التاسع والعشرون: في العبودية

إذا اتحدت الروح بالصورة وكمل العقل في القلب يصير عبداً كاملاً استعداداً للعبودية فيقف ذلك العبد الذي ظهر من العدم وتربى بأنوار القدم في مقام الانتظار كالمتنبه المتحير من النوم وقت البلوغ لا يعرف شيئاً مما جرى عليه في العالمين، قال تعالى في استواء جمال ظاهره وباطنه بزينة الحق: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] أثنى على نفسه بإظهار لطيف صنعه عنه فاصطفاه على جميع خلقه بشرف امتحانه حتى اجتباه على ملائكته، قال عليه السلام: «المؤمن خير من الملائكة»[2]، وقال الواسطي رحمة الله عليه: الجميع يدخل تحت ذلّ ﴿كُن﴾ [البقرة: ١١٧] إلا آدم فإنه لا يدخل تحت ذلّ ﴿كُن﴾ [البقرة: ١١٧].

الفصل الثلاثون: في وجدان لذة العبودية

إذا وضع العبد المقدس قدم التواضع على بساط الجبروت وخضع للملكوت شرفه الحق بخدمته وأذاقه طعم محبته بكأس العبودية حتى وجد العبد في عبادته صفاء المشاهدة وشرب من بحر الصفاء شربة مفرح التسنيم فطاب جميع وجوده بما نال من القرب في صفاء المعاملة لذة طيب الوصلة، قال تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢٨﴾ [المطففين: ٢٧، ٢٨]، وقال عليه السلام: «ذاق طعم الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما»[3] ووصف عليه السلام: «من استأثر محبة

---

(١) ليس بحديث إنما هو من كلام الشافعي كما في سنن البيهقي الكبرى، باب مبتدأ الخلق، حديث رقم (١٧٤٨٧) [٩/٣].

(٢) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع. إلا أن معناه صحيح وبوّب أبو القاسم اللالكائي في كتابه اعتقاد أهل السنة لهذه المسألة فقال: «سياق ما دلّ من كتاب الله وسنة نبيه في أن بني آدم خير من الملائكة..» [٧/ ١٢٣٥].

(٣) رواه أبو جعفر العقيلي في الضعفاء، باب الخاء، حديث رقم (٩٤٥) [٣٤٤/٢] ولفظه: «ذاق طعم الإيمان من كان لا شيء أحب إليه من الله ورسوله، ومن كان أن يحترق بالنار أحب إليه من أن يرتد عن دينه ومن كان يحب لله ويبغض فيه» ورواه غيره.

www.alkottob.com

الله نبعث موافقته في طاعته عن كلّ ما دونه»[١] وقال العارف: حقيقة العبادة وجدان لذة المحبة لما أخبر الله تعالى عن العابد المخلص أنه يحبه ويسقيه شراب محبته جزاء لعبادته حيث قال: «لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه»[٢] الحديث.

الفصل الحادي والثلاثون: في سقوط المبتدي في ظلمة طبيعته

وذلك بعد استقامته في مقام الخدمة حين أراد أن يمتحنه بصدق العبودية حيث احتجب بالإنسانية عن صفاء العبادة، قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]، قال عليه السلام: «إذا أحبّ الله عبداً ابتلاه فإن صبر اجتباه وإن رضي اصطفاه»[٣]، وقال العارف: بلاء المحب دواؤه.

الفصل الثاني والثلاثون: في وصول العبد مقام القهر

للعارف طرق إلى الله تعالى طرق اللطفيات وطرق القهريات وهو عابر بطريق القهر واللطف لينال من القهر ما ينال من اللطف لأنهما شعب النكرة والمعرفة، قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨﴾ [الشمس: ٨]، وقال عليه السلام: «إذا أحبّ الله عبداً لم يضره ذنب»[٤] وقال الواسطي: طلبت الله في الصفاء فوجدته في الكدورة.

الفصل الثالث والثلاثون: في مقام الدخول في هاوية نفس الأمارة

وذلك إذا أراد الله أن يعرف النفس الأمارة وأخلاقها ليصل بمعرفتها معرفة خالقها كما حكى الله تعالى عن صديقه عليه السلام بقوله: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣] وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، قال عليه السلام: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»[٥] وقال العارف: من عرف نفسه بالفناء عرف ربه بالبقاء.

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، باب من جاهد نفسه في طاعة الله، حديث رقم (٦١٣٧) [٥/ ٢٣٨٤] وابن حبان في صحيحه، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من الثقة بالله، حديث رقم (٣٤٧) [٢/ ٥٨] ورواه غيرهما.

(٣) أورده الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب برقم (٩٧١) [١/ ٢٥١].

(٤) أورده الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، برقم (٢٤٣٢) [٢/ ٧٧] والسيوطي في الدر المنثور، قوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] [١/ ٦٢٦] وأورده غيرهما.

(٥) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (٢٥٣٢) [٢/ ٣٤٣] والهروي في المصنوع [١/ ٣٤٧] وأورده غيرهما.

www.alkottob.com

الفصل الرابع والثلاثون: في مقام الاحتجاب بالهوى

وهو أن الله تعالى جعله أسيراً بهواه ليدخل في أذنه خِلقة العجز في العبودية بعد انتهائه، ولو صار له جنة القرب، قال تعالى: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النَّازعَات: ٤٠]﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النَّازعَات: ٤١]، قال عليه السلام: «المهاجر من هجر ما نهاه الله عنه»[١]، قال العارف: من عرف هواه عرف مناه.

الفصل الخامس والثلاثون: في مقام وساوس الشيطان

الشيطان يسارق القهر يلقى في قلب المبتدي من خرافاته ليغويه بها عن سنن الصواب وأكثر وسواسه كفريات حربه الحق به في أول الأمر ليحاربه ويعرف مكايده ويصير عارف الخزائن ملك القهر ويتجلد في بذل الروح، قال حاكياً عن صفيه عليه السلام: «فوسوس لهما الشيطان»، وقال عليه السلام: «يوسوس الشيطان للعبد المؤمن فإذا ذكر الله خنس»[٢] قال: «أصل الجهاد محاربة الشيطان»[٣].

الفصل السادس والثلاثون: في مقام ذوق الامتحان

إذا وصل ضرب الامتحان باشر سر الفعل صميم القلب بنعت الآلام فيتوجع ظاهر القلب من ظاهر ضرب الامتحان ويذوق باطن القلب لطائف البر بين الوجع فيطير متلذذاً ببطش الحق أسيراً بسير القدر. قال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ [السَّجدَة: ٢١] يعني إذاقة ما وصفنا.

الفصل السابع والثلاثون: في مقام مباشرة المعصية

إذا باشر العبد معصية الحق وأنفد شهوة هواه جمد في قلبه نور العقل واحتجب سره من الذكر وقلبه من الفكر وروحه من المشاهدة وتتهافت عنه حلة صفاء العبودية

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، حديث رقم (١٠) [١/١٣] والنسائي في السنن الكبرى، تفسير الهجرة، حديث رقم (٨٧٠١) [٥/٢١٤] ورواه غيرهما.

(٢) روى نحوه الحاكم في المستدرك، تفسير سورة الناس، حديث رقم (٣٩٩١) [٢/٥٩٠] ونصه «عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما من مولود إلا على قلبه الوسواس فإن ذكر الله خنس وإن غفل وسوس». ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه برقم (٣٤٧٧٤) [٧/١٣٥] ونصه: عن ابن عباس في قوله: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [النَّاس: ٤] قال: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا سها وغفل وسوس وإذا ذكر الله خنس» ورواه غيرهما بألفاظ متقاربة.

(٣) هذا الأثر لم أعثر على قائله فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٢]، وقال عليه السلام: «إنه ليغان على قلبي»[١]، وقال العارف: إذا أذنب العبد ذنباً يتحير قلبه في دخان الشهوات وصار محجوباً به بالهوى.

الفصل الثامن والثلاثون: في مقام الاحتجاب بالهوى

وإذا وقع العبد في ظلمة الطبع واتبع نفسه أنشأ الله هواء وصيّره حجاباً بينه وبين عبده وجعله محبوساً تحت حجابه، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]، وفي الحديث: «الشهوة والهوى تغلبان العقل والعلم والبيان»[٢]، وقال العارف: أعظم الحجاب بين العبد وبين الله هو النفس ومن أذلّه هواه صار محجوباً عن مناه.

الفصل التاسع والثلاثون: في مقام وقوع الثقل

إذا اتبع العبد هواه حبس نفسه وجد قلبه من أوائل المعصية ثقلاً من أوزار الشهوات ويكون ثقيلاً كثيفاً عن وقرها عاجزاً تحت أثقالها ولم تجد خفة الصفاء وراحة الوفاء، قال تعالى في وصفه قلوب المخالفين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [محمّد: ١٦].

الفصل الأربعون: في مقام ذوق ألم المعصية

وإذا عصى العبد وآثر مراد هوى نفسه وقع في زجاج المعنى حجر الغفلة ويؤلم قريحة السر بألم ضرب القهر، قال تعالى: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧﴾ [الهُمَزة: ٦، ٧].

الفصل الحادي والأربعون: في مقام ظهور غَمّ المجهول في القلب

إذا غاص القلب في بحر الشهوة تتراكم عليه الهموم المختلفة المخفية عن مطالعة العقل كما سُئل أبو عثمان الحيري عن الغم الذي يجده الإنسان ولا يدري من إيش (أي شيء) هو، قال أبو عثمان: إن الروح لتحفظ الذنب والجنايات على النفس وتنساها النفس فإذا وجدت الروح محوا من النفس عرض عليها جناياتها فيغشاها الانكسار والذوبان وهو الغم الذي يجده الإنسان ولا يدري من أين دخل عليه.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، حديث رقم (٢٧٠٢) [٤/ ٢٠٧٥] وابن حبان في صحيحه، ذكر لفظ لم يعرف معناه. . ، حديث رقم (٩٣١) [٣/ ٢١١] ورواه غيرهما.

(٢) رواه الأصبهاني في حلية الأولياء من كلام عطاء السليمي، ترجمة عطاء السليمي.

www.alkottob.com

الفصل الثاني والأربعون: في مقام الاحتراق بنيران البعد

إذا مكث العبد في مقام المخالفة ووقع على إنفاذ الشهوة يحترق سره بنيران النفس ويحترق قلبه بنيران الهوى ويحترق روحه بنيران الشيطان ويحترق عقله بنيران الطبيعة ويكون العبد هائماً في ميادين البعد محترقاً بنيرانها منتظراً للجزاء متحيراً في القضاء، قال تعالى: ﴿فِي طُغْيَنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥] و﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢٢٥] فإن أراد الله تعالى أن يدركه بعد ذلك أوقفه بعد حيرته ويمنعه من اتباع شهوته.

الفصل الثالث والأربعون: في مقام الحيك

يكون الحيك للمريد الصادق الذي أراد الله به نجاته من الحيرة والغفلة، وذلك إذا باشر المعصية ولم يعرف كيفيتها حاك في صدره الملك ويخبره بما وقع عليه من أحكام المخالفة وذلك ما قال عليه السلام لوابصة: «الإثم ما حاك في صدرك»[١].

الفصل الرابع والأربعون: في الطرق

والطرق ضرب طارق الحق حلقة السر على باب القلب بعد حيك الملك ليعرف السر خيانات النفس، قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝﴾ [الطارق: ١] وقال عليه السلام: «اللهم إني أعوذ بك من طارق أطراف الحق» وقال السراج: الطوارق ما تطرق قلوب أهل الحقائق من طريق السمع فتجد لهم حقائقهم.

الفصل الخامس والأربعون: في مقام اليقظة

إذا طرق الطارق باب القلب حرك الملك سرهم فتيقظ الروح من غشيان الغفلة وترى أوباش الطبيعة متحدين فتقع عليها للهم المفرط وذلك قبل التنبيه الأصلي، قال العارف: تكون اليقظة في قلب الغريق من حركة سلسلة الجذب.

الفصل السادس والأربعون: في مقام الانتباه

الانتباه بعد اليقظة وأصله انفتاح عين السر بنور الغيب على شرط الصحة والسكون في معاينة فساد النفس وطلب ما فات عنه من موجبات الحقيقة، قال العارف: إذا بدأت أنوار العناية في قلب المذنب وقع عليه الانتباه في الساعة.

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير، عن طاوس اليماني عن واثلة، حديث رقم (١٩٧) [٢٢/ ٨١] وأبو يعلى في المفاريد، عن وابصة بن معبد، حديث رقم (٩٨) [١/ ٩٨] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

الفصل السابع والأربعون: في مقام الندم

الندم بعد الانتباه هو أن تلتفت الروح بعد خروجها من امتحان إلى عالم القلب فوجدته خراباً بفساد النفس فندمت عن فتورها في حقوق الله واهتمت بضياع الأمانة وهذا هو أصل الأوبة كما قال عليه السلام: «الندم توبة»(١).

الفصل الثامن والأربعون: في مقام التوبة

التوبة الرجوع عن متابعة النفس وأصلها وقوع بريد الحق في القلب، ومراعاة الروح ما فات عنها من عبودية الخالق، قال الله تعالى: ﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]، وقال عليه السلام: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»(٢)، وسئل السوسي عن التوبة قال: التوبة الرجوع عن ما ذمه العلم إلى ما مدحه العلم.

الفصل التاسع والأربعون: في مقام الإنابة

الإنابة متابعة الإلهام وداعي الحق بنعت الموافقة وذلك بعد تمكين القلب في مقام الانقطاع عما دون الحق، قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾ [الزُّمَر: ٥٤]، قال عليه السلام في حديث: «والإنابة إلى دار الخلود»(٣)، وقال القشيري: الإنابة صدق الإجابة.

الفصل الخمسون: في مقام الإقبال

الإقبال إقبال القلب إلى الله بنعت الخشوع في الذكر ثم بعد ذلك إقبال الربّ إليه بنعت التعطف والكرم وحسن الرعاية ودوام الحفظ والكفاية؛ قال تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾ [التوبة: ١٠٤] وهو حسن إقباله إليه، قال بعض العارفين في دعائه: اللهم ارزقني حسن الإقبال إليك.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب التوبة والإنابة، حديث رقم (٧٦١٤) و(٧٦١٥) [٤/ ٢٧٢] وابن حبان في صحيحه، باب التوبة، حديث رقم (٦١٢) [٢/ ٣٧٧] ورواه غيرهما.

(٢) رواه الترمذي في سننه.، باب في فضل التوبة والاستغفار، حديث رقم (٣٥٣٧) [٥/ ٥٤٧] وأبو يعلى في مسنده، عن عبد الله بن عمر، حديث رقم (٥٧١٧) [١٠/ ٨١] ورواه غيرهما.

(٣) أورده الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، الأصل السادس والثمانون، [١/ ٤١٥].

www.alkottob.com

الفصل الحادي والخمسون: في مقام مخالفة النفس

وإذا أقبل العبد إلى الله تعالى يحس السيئة ويطلب الرضا والمغفرة ويشمر في صدق المعاملة أسكن الحق في قلبه نور صدق اليقين ويبغضه نفسه وهواه ويعينه بمخالفتها وأيده بروح منه فيستعين بعد ذلك بعنايته العبد في كسر النفس والشهوة ويترك رضا نفسه لرضا خالقه فيفتح الله له باب النفس الأمارة ليخرب العبد بنيان حصن ضلالتها ويعبر على بحر هواها ويدخل جنان القلب الذي فيها رياض أنس الحق، قال تعالى: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١]، وقال عليه السلام: «من اشتاق إلى الجنة تسارع إلى الخيرات ومن أشفق من النار لهى عن الشهوات ومن ترقب الموت لهى عن اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات»[١]، وقال بعضهم: نور المؤمن كالمصباح في الزجاجة يعني في الملكوت إذا كانت نفسه مدبوغة في ترك الشهوات.

هذا آخر مقامات المجذوبين الذين وصفهم النبي ﷺ بقوله في شأنهم: «جذبة من جذبات الحق خير من عبادة الثقلين»[٢].

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، فصل فيما بلغنا عن الصحابة، حديث رقم (١٠٦١٨) [٧/ ٣٧٠] ومحمد بن إسحاق في تعزية المسلم، الصلاة على الأموات. .، حديث رقم (٦٧) [١/ ٥١] ورواه غيرهما.

(٢) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (١٠٦٩) [١/ ٣٩٧].

www.alkottob.com

الباب الثاني
في مقامات السالكين وفيه خمسون فصلاً

الفصل الأول: في مقام التدارك

إذا نظر الروح إلى التفريطات [النفس] وما أفسدتها في بواطن ولاية القلب من أثرتها عبارة الطبيعة الفاسدة وتخريبها مراكز أنوار قدس الغيب. فاستشرفت الروح عليها وتكسر أصنام هواها بفأس الخلة وسر الفتوة وتطهر البيت الأصغر عن خطوات خطيئات الوساوسية، وتعامر مزار أنوار التجلي بصفاء الرعاية والمعاملات، قال تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ [الحج: ٢٦] ثم زينتها الجوارح والحواس الظاهرة والباطنة ومنعتها من اقتحامها مداخل الطبيعات، قال أبو المغيث قدس الله روحه: من راقب الله عند خطرات قلبه عصمه الله عند حركات جوارحه.

الفصل الثاني: في مقام الاقتداء

وذلك إذا شمّر العبد عن ساق الجدّ في طلب ما فات من سر فطرة القدسية، ويتشوق في نهمة القلب من مدركات العقل وسوابقات النهم المستورة، بحجب الغيب التي لا يظفر بها إلا بأنوار علم الشريعة ومراكب السنن النبوية في الطريقة ليسير بها إلى عالم الملكوت ويقتبس بشعاعها أنوار المعارف والكواشف ويعرف بتعريفها أسرار النفسانية ومتصرفاته في المستقبحات ومعالجتها وعرفان واقعات الغيب في القلب وأسرارها، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال العارف: إذا لم يقتدِ بالنبي ﷺ في جميع أموره زلّت قدمه عن نيل مأموله.

الفصل الثالث: في مقام المجاهدة

ثم إن المريد إذا كرر النظر وتأمل فيما حق الله عليه من إماتة النفس بتدبير تزكيتها، وإحياء القلب بنور الذكر يدخل في باب المجاهدة، ويسدّ أبواب الهوى على سرر القلب، ويقلع عن مزارع نظر الحق عروق الشهوات والشبهات حتى تكون أرض القلب بعد سبختها طيبة بتراب الذكر؛ لوقوع بذر المحبة سنن الرشد. ويستمر في

www.alkottob.com

تعهدها وحسن القيام بها وسقاها زلال الصفاء، وحفظها من فجأة الغاشية والعوارض المهلكة لينبت نباتها بأنوار تجلي شمس العزة وظلال قمر المشاهدة وتثمر أغصانه إلى هواء السرمدية وتثبت عروقه في أرض القدسية، قال تعالى: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤]، وقال عليه السلام: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»[(١)]، وقال العارف: مجاهدة العارف تقديس الهمة العلية عن الرجوع إلى دناءة الطبيعة.

الفصل الرابع: في مقام الورع

ثم إذ تمت المجاهدة بقيت على المريد رسوم الورع، وحقيقة ذلك كمال تربية الخاطر بعد زوال الشبه التي تتولد منها عوارض النفسانية عن حومة القلب، ويكون ذلك في ترك حظوظ البشرية الحاصلة من غير طريق الاقتداء، وتصفية السر عنها فيما يقوم به السالك في أمر المعاش، فإذا كمل في دفع النفس عما نالت إليه من لذة الطبيعة وتجرد سره في الورع عن الالتفات إلى غير الحق تبرز له عرائس أسرار الربوبية من خدر الغيب في حجال الوصلة، وتفتح لروحه خزانة الأنوار من أحكام النبوية وينفذ قلبه من أقطار السماوات والأرض، واستدار له الزمان كهيئة يوم لا يوم ولا زمان ولا مكان، فحينئذ تطلع له شمس العناية ويكشف له قمر الكفاية ويرى الحق بالحق ويحسد أمسه على غده حيث توجه وجه صرف العيان وتولى عن الزمان والمكان، ويرد إلى مناهل العرفان التي مشاربها بحار قدس مشاهدة الرحمٰن. ويشرب ماء الحياة ويخرق بعد ذلك حجب الامتحان ويطير في هواء الآزال من القدم إلى الآباد، فلا يزال يطير في طور غيب الغيب فوق جميع الأطوار، وتشرق له شموس الأزلية متى يشاء بعد بلوغ التمكين، ويتلاشى في شعاعها كما تحترق الفراش بنور الشمع، ولا يبقى له طيران إذا وصل بالحق إلى الحق، ولا وصل ولا فصل، فإنه إذا وصل صار باقياً بعد الاتصاف بالحق، وإذا انفصل صار فانياً في الحق فانسلخ عن الفصل والوصل، ويكون العاشق والمعشوق واحد من جميع الوجوه، وهذا وصف من حاله في المكاشفة جاوز عن حد العلوم والعقول، أوله تزكية الأسرار بمخاطبة

---

(١) أورده العجلوني في كشف، حديث رقم (١٣٦٢) [١/ ٥١١] والمناوي في الفتح السماوي [٢/ ٥١٤] وقال المناوي: قال السيوطي: لا أعرفه مرفوعاً وأقول هذا عجيب منه مع سعة نظره فقد أخرجه الديلمي في مسند الفردوس والخطيب البغدادي في تاريخه من حديث جابر مرفوعاً بلفظ «قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر جهاد النفس وهواها».

www.alkottob.com

الحق حيث قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٢] ومن إشارته ﷺ حين أدّب العارف بقوله: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»[(١)] وقال ذو النون: لا يطفىء نور المعرفة نور الورع.

الفصل الخامس: في مقام الزهد

ثم إن الزهد عما دون الله له شعار وأول عهده الخروج من رسوم النفس والهوى والدنيا والآخرة وما فيها والتوطن في مقام البلاء ويسير بمركب الأنس إلى عالم القدس حتى يرى من الله ما لم يدرك أهل النهى بالغوامض العقلية من طرف البراهين الصادقة القطعية في لزومات الحجة وسير النظر في أولية القدم ويكون أنه بعد قطع المرسومات وعلامة النظار بشروق لمعات السرمدية ويسكن بسر بعد طلوع شمس القربة في فطرة القدسية الأولية ويشاهد بنور الفطرة نور الصفات، ويعشق بجمال الذات وتفكّ رقبته عن أسر الزمان ورسم المكان، ويسقط عنه تكلفات الطبيعة من الزهد والمعاملة ويبذل له خلعة الاصطفاء والاجتباء، ويكون شاهد الحق في العالم بلا عالم كما أمر الحق حبيبه ﷺ بغض الطرف عن الملك، ووصف تنزيه طرفه عن الإزاغة إلى ما دونه قال في الأول: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ﴾ [الكهف: ٢٨] وقال في الآخر: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾ [النّجم: ١٧] وقال عليه السلام: «ما لي وللدنيا»[(٢)] وقال العارف: الزهد رفع النظر عما دون الحبيب.

الفصل السادس: في طهارة الجوارح

أما الجوارح والحواس خدّام النفس الصادرة من الفعل المنشئة للطبيعة المذمومة وهي حرّاسها في عالم الجمال في تحيزها عن شهواتها وهي مغريتها إلى الحركات الفاسدة، فردت سكونها بعد تحركها إلى مادة الشهوانية رسم السراق المتفرقة في طلب الشهوات بأسر المراقبة والمجاهدة واستعظام العظمة في جريان الذكر لتطمئن نفسك به وتسكن جوارحك عن الآثام، قال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨﴾

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب البيوع، حديث رقم (٢١٦٩) و(٢١٧٠) [٢/ ١٥ ـ ١٦]. وابن حبان في صحيحه، باب الخوف والتقوى، حديث رقم (٧٢٢) [٢/ ٤٩٨] ورواه غيرهما.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، باب قبول الهدية. . ، حديث رقم (٢٤٧١) [٢/ ٩٢٢] والحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الرقاق، حديث رقم (٧٨٥٨) [٤/ ٣٤٤] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

[المؤمنون: ٨] وقال عليه السلام: «لو سكن قلبه سكنت جوارحه»[1]، وقال العارف: تهذيب الظاهر من تقديس المراقبات عن الخواطر الطباعية فائدة هذه المعاملة بعد سكون جولان القلب في سرادق الغيب حتى بدا من سواحل بحر القدم في بصائر الروح المقدسة ما يتلاشى فيه العرش والكرسيّ فضلاً عن السماوات والأرضين.

الفصل السابع: في مقام الصمت

والصمت حكمة تقتضي انقطاع الوساوس عن الدخول في منظر نور الأعلى واستجماع الهمم المتفرقة في محل النهي وذلك أعظم التربية للنفس الروحانية في المراقبة وهو موت الطبيعة عن الفضولات الكثيرة وانشراح الصدر عن إلقاء سمع الخاص إلى نغمات ألحان بلابل الإلهام، قال تعالى: ﴿وَأَنصِتُوا۟﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، وقال عليه السلام: «الصمت حلم وقليل فاعله»[2]، وقال الجنيد: عمارة القلب نعمة وعمارة اللسان فتنة.

الفصل الثامن: في مقام الخلوة

الخلوة سجن العبودية فيها مشارق أنوار شموس الربوبية فإذا احتجب المريد عن حدوث العواقب في وجوده الطبع الأصلي إلى المعدن الأول الذي صدر منه وهو مطمع جميع السلاك في رجوعهم إلى معادن القدس فإن الروح الروحانية إذا تشتت مراكبها تغرقت عن رسوم طرق الروحانيات وبقيت محجوبة بعوارض البشريات فإذا انقطع هذا المريد من شواغل الإنسانية وتخلى مع الحق بلا زحمة وامتحان يرى من عالم الملكوت ما يستأنس به عن كل ما دون الحق وهي أسرار أنوار عالم العرش التي هي فوق أطوار روحانيات العقول وهي معاني لا تشرف عليها أطماع أهل المزخرفات فإنهم مشغولون بدنيا النجيسة وتتفرق خواطرهم بقذارتها وهذه حقيقة لا ينالها إلا من أمات نفسه عن الدنيا، قال تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٢٤]، وقال عليه السلام: «صوامع المسلمين بيوتهم»[3]، وقال سري بن حيان: أنست بالوحدة من بعدما كنت من الوحدة مستوحشاً.

---

(١) رواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة، اللعب باللحية. . .، حديث رقم (١٥٠) [١/ ١٩٤] ولفظه: «لو خشع قلب هذا سكنت جوارحه».

(٢) أورده الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، حديث رقم (٣٨٥١) [٢/ ٤١٧].

(٣) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

الفصل التاسع: في مقام العزلة

والخلوة تقتضي العزلة من جميع الخلائق حتى النفس والوجود بهمّة الإقبال على الله وإدراك نور الأنس بقربه بعد أن يستوحش من المتوجهين إلى الدنيا بهممهم الدنية ثم من شأنه الترقي من رسوم الحق إلى شرائع العشق البديعة للفطرة وهي طرق نسّاك المعرفة إلى المعروفات المقدسة عن وقوف العاشق عليها فإنهم لا يرضون وقوفهم طرفة بنعت الشغل عن دون الوصول إلى معشوقهم، قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النُّور: ٣٧]، وقال العارف: اتخذ الله صاحباً ودع الناس جانباً.

الفصل العاشر: في محافظة الأوقات

وينبغي للسالك حفظ الأنفاس وترتيب وظائف العبادات في الأوقات حتى لا يفتر جميع وجوده في جميع الأوقات عن خدمة مولاه ولأن الأنس الأصلي لا يدخل في القلب إلا بعد سجية الطبع في العبادة، قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ٢٠] هذا حرفة من نبذ الدنيا والآخرة وراء ظهره ويتوجه بكليته إلى وجه خالقه. قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢] فنعم تحفة هذا جود الأزل والكرم الإلَهي قد بلغ إلى مقام الأنس ولا يتعلق بشيء دونه ولا يشفى عليل صدره إلا الجمال الأبدي والجلال السرمدي، قال عليه السلام: «احفظ الله يحفظك»[١]، وقال العارف: من كان محفوظ الأوقات والأوقات تؤنسه بأنوار المكاشفات.

الفصل الحادي عشر: في الرياضة

الرياضة مهمة للسالك المشغوف بنظائر الغيب وشواهد عالم الأزل وذلك صقال القلب عن رين طباع العارضة ليكون الاستعداد على ما جاء من معادن القدس ويرى بعد ذهاب غواشي الإنسانية عالمه الذي خرج منه ويرجع إليه بعد كمال التربية، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القَصَص: ٨٥]، ووصف عليه السلام أبدال الصديقين فقال: «تروض أنفسهم رياضة المهر»[٢]، وقال العارف: الرياضة كون النفس الأولية على هيئة ما كان في الأصل، والغرض من الرياضة رقة

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، حديث رقم (٦٣٠٣) [٣/٦٢٣] و(٦٣٠٤) [٣/٦٢٤]. والترمذي في سننه، حديث رقم (٢٥١٦) [٤/٦٦٧] ورواه غيرهما.

(٢) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

الروح ولطافتها واستشرافها بعد خروجها عن الغشاوة الطبيعية الهوائية على عوالم لا نهاية لعجائبها وبحار لا قيمة لجواهرها وأدركت مطالب المقصود بعد استيعابها بحقيقة البيان في طلب المراد. والمريد يكون بعد ذلك متحركاً بلا واسطة إلى مصدر الأفعال والصفات بلاءَ بطبعها لا بسبب ما. ولا يعرفها عوائق الرسوم في طريقها إلى حيزها الأصلي، لذلك قال تعالى: ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ [الفجر: ٢٨] ثم تكون منجذبة بمغناطيس أسرار القدم إلى حواشي عيون الكرم بعد أن صارت أهلاً لها، ألا ترى كيف انجذبت خلة الخليل إلى معدنها حين قال: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الصَّافات: ٩٩].

الفصل الثاني عشر: في التهذيب

التهذيب تبديل الأخلاق المذمومة بالأخلاق المحمودة التي هي أصل مادة الفطرة العالية القابلة لتجلي الصفات التي هو خلق القدم، لذلك قال عليه السلام: «تخلّقوا بأخلاق الرحمٰن»[(١)]، ووصفه الحق تعالى بأحسن الثناء وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القَلَم: ٤] خلقه القرآن، وأشار إليه الرحمٰن وإلى ما اتصف بنور الحق وصفاته وذلك حين شرح الله صدره تحت حضيض الأبطح، وغسل قلبه عن مزج الطبيعة بمياه بحار المشاهدة، وأخرج من قلبه سيلان الإنساني بأنوار الرحماني ثم قال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ [الشرح: ١]، قال العارف: أعظم مقام السالك في طريق المعرفة تهذيب أخلاقه عما التصق بها من النفس الأمّارة والشيطان وهما مفسدان الفطرة السليمة برذال الطبيعة الهوائية، ولولاهما لما تغيرت ملك الصفة الخالصة عن أصل ما صدرت عنه وبيان ذلك مشروح في قوله عليه السلام: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه»[(٢)].

الفصل الثالث عشر: في تصفية القوت

وهي أصل المتابعة وأن الله تعالى وضع الصفاء في أكل الحلال ولباس الحلال ووضع القهر والقساوة والجفاء في الحرام والشبهات، وتولد تلك الأشياء لا يعرفها إلا

---

(١) أورده المناوي في التعاريف، فصل اللام، [١/ ٥٦٤] والجرجاني في التعريفات، تعريف رقم (١٠٩٩) [١/٢١٦].

(٢) رواه البخاري في صحيحه، باب ما قيل في أولاد المشركين، حديث رقم (١٣١٩) [١/ ٤٦٥] ورواه في أبواب أخرى، ورواه مسلم في صحيحه باب معنى كل مولود يولد على الفطرة..، حديث رقم (٢٦٥٨) [٤/ ٢٠٤٧] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

أهل المعاملة من المصطفين والأخيار، وأمر الله تعالى المؤمنين بما أمر به المرسلين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ﴾ [البَقَرَة: ١٧٢]، وما أشرنا [إليه] هو معنى قوله عليه السلام: «الحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما أمور متشابهات»[١]، وقال سهل: الحلال ما يتولد منه الطاعة والحرام ما يتولد منه المعصية. وفي إشارة المعرفة كل طير طار من وكر الابتداء بوصف المعرفة والمحبة التي أصلها محبته القديمة التي قال الله تعالى في أزل الآزال بها قبل نفوس العارفة: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المَائدة: ٥٤]، لا يأكل إلا حبات الطيبات التي هي منعقدة بمياه الرضى والرضوان.

الفصل الرابع عشر: في الكسب

ثم إن أكل الحلال ما يحصل بالكسب والكسب دفع المؤنة عن الخلق وفيه إسقاط الجاه وبيع العبادة وإطباق الحق سبحانه الحلال إلى الكسب، قال: ﴿أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٧]، وقال عليه السلام: «العبادة عشرة أجزاء تسع منها في كسب اليد من الحلال»[٢]، وقال أبو صالح: إذا أصبحتم فأصبحوا مفوضين وفي تفويضكم مكتسبين، وقال العارف: الكسب أحد أركان التوكل والغرض منه قطع الطمع عن غير الله وهي سكنة النفس حيث تقاعدت عن أحكام التوكل، والتفويض والكسب من المعاملات في الإرادات. والتوكل من المقامات في النهايات.

الفصل الخامس عشر: في تزكية الباطن من العلل

وافهم أن النفس الأمّارة مطبوعة في تطبع الضلالة، وجب على من يدعي عزم سلوك مقاصد الصفاء أن يعرفها حقيقة، وأن ينسلخ منها بمعالجة الأمر والخطاب حتى يجد خلد المشاهدة بعد مخالفتها، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ [النَّازعَات: ٤٠، ٤١]، فإذا ارتفعت النفس من البين فصار القلب جنة المشاهدة بالنقد، وهذا بعد أن لا يبقى في القلب الروحاني حجاب المخائيل الشيطانية، قال عليه السلام: «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب

---

(١) رواه أبو داود، باب في اجتناب الشبهات، حديث رقم (٣٣٢٩) [٣/ ٢٤٣] وأبو عوانة في المسند، باب الخبر الدال على إيجاب اجتناب ما اختلف فيه من البيوع، حديث رقم (٥٤٦٠) [٣/ ٣٩٧] ورواه غيرهما.

(٢) أورده الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب عن أنس، فصل من فصول ذوات الألف واللام، حديث رقم (٤٢٢٢) [٣/ ٧٩].

www.alkottob.com

بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء»[١]، وقال العارف: لا تكون المكاشفة إلا بعد الخروج من النفس والهوى ورعواها من رعوناتها المخفية في طبعها. وافهم أن الروح الناطقة الإلهية إذا تخلصت من علة النفس تطلب بحقيقة السوق معدنها، ومعدنها عالم القدس وهو منزلها بعد سيرها في الملكوت. وللأرواح معادن مختلفة بقدر منازلها تتعلق بكشوف عين الصفات، قال تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البَقَرَة: ٦٠]، وقال عليه السلام: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة»[٢].

الفصل السادس عشر: في دفع الخطرات

فإذا فرغ السالك من إخراج العوارض عن أصل الفطرة يعاديه الشيطان ويجعله غرضاً لسهام خطراته وإلقاء مزخرفاته، قال تعالى: ﴿يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [النَّاس: ٥]، قال عليه السلام: «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم»[٣]، فينبغي للسالك أن يأخذ جنة المجاهدة ويضرب خيال مخائيل وسواسه بسيف التقوى ويحرك في كل نفس حبل اعتصام القدم وترمى إليه شهب نيران المحبة حتى يحترق فيها ويبقى سره المعدني في سيره إلى عالم الغيب بلا ازدحام الشيطان، قال عليه السلام: «مع كل واحد منكم قرين من الجن»[٤]، وقال السوسي: عبادة المتقين في الخواطر.

الفصل السابع عشر: في موعظة النفس

ثم يجب أن يعرض في كل نفس على نفسه ديوان الإلهام، ويذكرها معدنها الأول حتى يتحرك من صفات الهوائية إلى عالم الأنوار؛ لأن الله تعالى خلق في كل

---

(١) روى نحوه ابن أبي شيبة في مصنفه عن أبي هريرة، حديث رقم (٣٦٥٧٤) [٧/ ٣٣٥] وأحمد في المسند عن أبي هريرة، حديث رقم (٣٦٥٧٤) [٢/ ٣٥٣].

(٢) رواه مسلم في صحيحه، باب الأرواح جنود مجندة، حديث رقم (٢٦٣٨) [٤/ ٢٠٣١] وأحمد في المسند، عن أبي هريرة، حديث رقم (١٠٩٦٩) [٢/ ٥٣٩] ورواه غيرهما.

(٣) رواه البخاري في عدة أبواب منها باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه، حديث رقم (٣١٠٧) [٣/ ١١٩٥] ورواه مسلم في صحيحه، باب بيان أنه يستحب لمن رؤي خالياً بامرأة..، حديث رقم (٢١٧٥) [٤/ ١٧١٢] ورواه غيرهما.

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير عن زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة، حديث رقم (١٠١٧) [٢٠/ ٤٢١] وأبو يعلى في المسند عن عبد الله بن مسعود، حديث رقم (٥١٤٣) [٩/ ٧٧] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

نفس معنى تحركها إلى معدنها ولا تقف في غيره من المعادن. وجميع الصفات المحمودة التي تظهر عن الجوارح عن آثار ذلك المعنى الذي خبأه بقدرته الأزلية وقوته الصمدية السرمدية في النفوس الربانية إظهاراً لفضله ونشراً لفيضه. وهي مرهونة بواسطة الجسم وتربيته، فإذا رفع الحق عنها الوسائط لا تبقى لها الأعيان معدنها، وهذا المعنى لهذه النفوس العارفة خاصة دون غيرها لأنها مخصوصة باصطفائية الأزلية والمحبة الصفائية بلا علة العبودية، قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المَائدة: ٥٤]، وهذه المحبة وقعت لها بعد وجدانها مشاهدة العزة وسماعها خطاب الوصلة، حين حقق الحق مشاهدته لها ثم عرفها نفسه في تجليه بلا حجاب، وخطاب بلا واسطة حين قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعرَاف: ١٧٢]، فإذا انقطعت هذه الأطيار من تلك المعادن وبقيت في سلوك العُبُودِيّة قرينة لطبائع البشرية فينبغي لأربابها أن يذكرها بالآيات والرشد معادن الألوهية حتى لا تميلها بشرط القهقرى إلى غير معادن العلوية، قال تعالى موعظة: ﴿وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٤٣] وقال عليه السلام: «أكثروا ذكر هاذم اللذات»، قال العارف: موعظة النفس تورث حسن الآداب في المعاملات وشوق الروح إلى المشاهدات.

الفصل الثامن عشر: في المرابطة

وهي حبس القلب عن التقلب مع خطرات الوساوسة في مقام طلب الكشف وصفاء الذكر بنعت خلوصه عن ذكر ما دون الله. وهو منزل يعسر النفس والشيطان وجنودهما يلزم عليه هنالك دفع عساكر الخيال عن حومة المكاشفات، قال تعالى: ﴿وَرَابِطُواْ﴾ [آل عِمرَان: ٢٠٠]، وقال عليه السلام في وصف الطهارة: «فذلكم الرباط»[1] وفائدة المرابطات ارتفاع حجر العوارض عن بصر الروح لتجد مصدرها من عالم الملكوت، وتبصر عجائب غيب الملكوت فترجع إليه بنعت الشوق والعشق والمحبة، وتصير مشاهدة جمال الابتداء الذي لم يكن بينها وبينه واسطة، لأنها عرفت الحق حقيقة بلا حجاب ولا رسوم، ولأن الله تعالى تعرف نفسه للأرواح القدسية الأولية في تجليه من غير واسطة الالتباس، بل كان صرفاً كما كان في أزل الآزال،

(١) رواه مسلم في صحيحه، باب تبلغ الحلية حيث يبلغ الوضوء، حديث رقم (٢٥١) [١/٢١٩] وابن حبان في صحيحه، باب فضل الوضوء، حديث رقم (١٠٣٨) [٣/٣١٣] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

واستغرقت الأرواح في بحار جمال الأزلي وولهت في قفار المعرفة بنعت العشق، وقوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] عبارة عن تعرف نفسه لها، وتجليه بنعت الجلال والجمال لها، فلما هامت الأرواح بوجوهها في وجه القدم وعشقت بعد الخطاب والرؤية بذات الأزلي الأبدي، فأجابت الحق تعالى محبة ومعرفة ﴿بَلَى﴾ [البَقَرَة: ٨١]، وهذا من معنى استغراقها مشاهدة جمال عزّه وكبريائه وبقائه، قال العارف: السر مربوط بريق العناية وحسن الرعاية.

الفصل التاسع عشر: في المحاسبة

وهي عد العقل جنايات السر والالتفات إلى غير الله وتغييره النفس الأمّارة بمباشرتها مراد هواها وذلك العقل حاجب الروح في منزل الأمر، قال تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٤] وقال عليه السلام: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا»[1]، وقال العارف: المحاسبة تأديب النفس بالتغيير والمجاهدة بعده، وهذا المقام يورث صفاء المراقبة وحسن الآداب في الخلوة والعبادة، وأصل المحاسبة عرض الملائكة على الروح ما سبقت من النفس من الجنايات.

الفصل العشرون: في المطالبة

وذلك إذا تمكن العقل في ديوان الإلهام يلوم النفس بأفعالها ويطالبها بإصلاح ما أفسدت بالرياضات الطويلة وعمارتها مزارع القلب بحضور دائم وصفاء قائم. قال تعالى: ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحَجّ: ٧٧]، وقيل: اطلبوا أنفسكم في مقام الولاية.

الفصل الحادي والعشرون: في الترقب

وهو بعد تمكن العقل في منظر القلب وسكونه في سكون الروح الناطقة في ضياء العقل وخمود نيران الطبيعة في النفس الأمّارة فإذا تمكنت هذه الأمور في المريد صار متهيئاً للترقب لأن قلبه صفاء.

---

(١) رواه الترمذي في سننه ووقفه على عمر بن الخطاب، حديث رقم (٢٤٥٩) [٦٣٨/٤] وابن أبي شيبة في مصنفه، من كلام عمر بن الخطاب، حديث رقم (٣٤٤٥٩) [٩٦/٧] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

الفصل الثاني والعشرون: في القصد

القصد قصد الروح إلى طلب معدن القدس الذي خرجت منه بنعت العبودية، وقصد القلب إلى العبودية لما فيها من حظوظه من أمر كشوف نوادر الغيب وقصد السر من صميم الفؤاد إلى عالم الأفراح لأنها محل جولان أسرار الصديقين هناك تهب رياح الوصلة في بيداء القربة. قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩]، وقال العارف: القصد تهزز الفطرة إلى القدرة.

الفصل الثالث والعشرون: في التقرب

التقرب بذل الروح إلى الحبيب بنعت ذبح النفس على باب الشوق بسيف المحبة وهذا شأن المريد الواله في طلب الوصلة بعد عرفانها بروز أنوار تجلي الصفات حيث باشرت بوصف اللذة روحه الجائرة في جولانها وطيرانها بأجنحة العشق في سرادق الكبرياء وهو الكبر، قال تعالى بلسان حبيبه عليه السلام: «لا يزال العبد يتقرّب إلي بالنوافل»[١] الحديث، وقال العارف: التقرب طلب مراد الحبيب بترك حظوظ البشرية.

الفصل الرابع والعشرون: في المراقبة

المراقبة إحاطة الحق على كل ذرة من العرش إلى الثرى مباشرة فيض جميع الصفات، فإذا علم المريد حقيقة المراقبة يكون بعين الحق في جميع أنفاسه بنعت الهيبة والإجلال ولا يطيق أن يطرف طرفة من الحق إلى سواه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النّساء: ١]، قال عليه السلام لأسامة بن شريك: «ما كرهت أن يراه الناس منك فلا تفعله إذا خلوت»[٢]، وسأل رجل ابن المبارك أوصني يا أبا عبد الرحمٰن، فقال: راقب الله تعالى، فسأله رجل عن تفسيره، فقال: كن أبداً كأنك ترى الله.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب من جاهد نفسه في طاعة الله، حديث رقم (٦١٣٧) [٥/ ٢٣٨٤] وابن حبان في صحيحه، كتاب البر والإحسان، باب ما جاء في الطاعات وثوابها، حديث رقم (٣٤٧) [٢/ ٥٨] ورواه غيرهما.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه بلفظ: «ما كره الله منك شيئاً فلا تفعله إذا خلوت»، باب الإخلاص، حديث رقم (٤٠٣) [٢/ ١٢٩].

www.alkottob.com

الفصل الخامس والعشرون: في الرعاية

الرعاية من الحق كلائته المريد من اقتحامه في جميع الموبقات ومصارع جميع المهلكات وعلى أن يخطر بقلبه جند الخطرات ورعاية المريد يحصل في قلبه بعد انشراح نور الغيب في صدره فيراعي جريان أنفاسه عن امتزاجها بغير ذكر سيده وهذا نعت حماية الصادق في المحبة جميع جوارحه عن مذلة الآثام وحفظ سره عن مطالعة الأنام، قال العارف: الرعاية إلزام القلب في قرب الرب بنعت ذم الجوارح عن مباشرة الحظ.

الفصل السادس والعشرون: في مقام الانتظار

وهو أن يجمع العبد همه في مقام المراقبة بعد خواطر شواغل الإنسانية عن صميم السر القِدْمي بنعت ترصد الروح في الجبروت والعقل في الملكوت رجاء وقوع برق لمعان القِدَم على طوارق القلب في مشهد الأنس وهذا الانتظار أصعب شيء عند الأبرار، كما قال عليه السلام: «انتظار الفرج بالصبر عبادة»[1].

الفصل السابع والعشرون: في مقام الاشتياق

الاشتياق نعت الروح الهائمة في جولانها في سرادق التجريد بعد إدراكها نور صفاء القدرة في خيال خيام فلك الغيب ليفوز بسنآت برق القدس ورائحة ورد الأنس ويقوى في طيرانها من معدن الفطرة إلى عالم الوحدة وقد أشار إلى هذا السر نطق الحق في العالم وخير ذرية آدم: «إني لأجد نفس الرحمٰن من جانب اليمن»[2].

الفصل الثامن والعشرون: في مقام التقوى

وأصلها تجريد السر في مطالعة شواهد الصفاتية ولوائح الذاتية عن الالتفات إلى المعترضات من الملك والملكوت بنعت ذوبانه في إجلال كشوف سناء سطوات القدم، وإلى هذا أشار قوله عليه السلام: «الإيمان عريان ولباسه التقوى»[3]، وقال العارف: التقوى معيار قلوب العارفين وظهور أسرار الصديقين.

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٢) أورده الهروي في المصنوع [١/ ٧٠].

(٣) أورهد العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (٢٧) [١/ ٢٢]، وأبو القاسم علي بن الحسن الشافعي في تاريخ مدينة دمشق، رقم (٥٠٩٤) [٤٣/ ٢٤١].

www.alkottob.com

الفصل التاسع والعشرون: في مقام الإشفاق

وذلك في مقام الإجلال وخوف معاينة لباس العظمة بنعت ذهاب الإياس والطمع في فهمية الفناء وزوال لذة مقام البقاء.

الفصل الثلاثون: في مقام الحزن

وذلك يكون بعد اتصال حبال جذب المحبة في قلب المهموم حيث تراكم أوجاع ملهب الأسرار نيران الشوق في جميع الأنفاس بنعت الفكرة الدائمة والحيرة الغالبة على الأسرار الهائمة، وهذا وصف سيد المرسلين عليه السلام حيث وصفه الواصفون بقولهم: كان عليه السلام دائم الفكر متواصل الأحزان، وحقيقة الحزن حرق الفطرة القابلة بنيران زند الصفة بنعت وقوع نور تجلي الجمال والكمال في حرق الطبع السليم من طباع الروح الناطقة، قال عليه السلام: «إن الله يحب كل قلب حزين»[(١)].

الفصل الحادي والثلاثون: في مقام الخشوع

ثم من رقّ قلبه بنور الحزن وصفا سره بسناء القرب يقع على روحه بهاء صفات الحق في لباس العظمة ويبصر بعين الإنابة صولة جلال القدم فيخشع سره في الأزل وروحه في الأبد وقلبه في الملكوت وعقله في الجبروت ثم تسري هذه الأنوار في وجود الصورة وتكون مطمئنة في العبودية مكسورة في الربوبية خاشعة في الطاعة ساكنة تحت مجاري القدرة لا يطيق أن يلتفت في مقام الحيرة إلى الجهات الست لتناثر أنوار العظمة من كل ذرة في وجوها، قال عليه السلام في حق المصلي: «لو خشع قلبه خشعت جوارحه»[(٢)].

الفصل الثاني والثلاثون: في مقام التواضع

وهو ميراث الخشوع وهو أن يفنى العبد في عظمة الله ويتذلل لكبريائه في رؤية ما يبصر من شواهد فردانيته ووحدانيته حتى يصل الله بنعت الفناء فيبقى ببقائه، قال عليه السلام: «من تواضع رفعه الله»[(٣)].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الرقاق، حديث رقم (٧٨٨٤) [٤/ ٣٥١] والبيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم (٨٩٢) [١/ ٥١٥] ورواه غيرهما.

(٢) هذا الحديث سبق تخريجه.

(٣) رواه عبد الله بن محمد أبو بكر القرشي في التواضع والخمول، باب التواضع، حديث رقم (١٢٠) [١/ ١٥٦] ورواه غيره بألفاظ متقاربة.

www.alkottob.com

الفصل الثالث والثلاثون: في مقام القناعة

وحقيقته طلب تجريد السر بها عن الالتفات إلى المخلوقين حتى يصفو مسلك محبته إلى الله عن شوائب الرياء والشرك وينفتح له كنز التوكل، قال عليه السلام: «القناعة مال لا ينفد»[(١)].

الفصل الرابع والثلاثون: في مقام صفاء المعاملة

صفاء المعاملة لا يكون إلا بعد خروج العلل الإنسانية عن معدن الطبع ويبقى القلب سليماً بنعت الفطرة عن كل علة نفسانية شيطانية ثم تبرز أنوار المعرفة من جمال المعروف فيصير صفاء المعاملة كاملاً بسناء المعرفة وفي هذا أشار أبو الحسين بن الهند رحمة الله عليه قال: لا يكون صفاء المعاملة إلا بصفاء المعرفة.

الفصل الخامس والثلاثون: في مقام الروح

وهذا يكون في ملازمة الذكر والخلوة وصفاء العبادة حين يهب نسيم الوصال على رياض الأنس يترفرف طير المحبة فيها بجناح القدس، كما قال تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ [الواقِعَة: ٨٩]، وقال عليه السلام: «روِّحوا قلوبكم ساعة فساعة»[(٢)].

الفصل السادس والثلاثون: في مقام الإرادة

ثم تكون الإرادة بعد تلهب القلب بشعلة رمي قوس التجلي لسر السر لينزعج سر استعداد فطرة الروح التي هي مركب جنود المعارف في بيداء القرب إلى معادن الأزل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القَصَص: ٨٥]، قال العارف: الإرادة احتياج اللب وانزعاج القلب.

الفصل السابع والثلاثون: في مقام التصبر

وإذا ارتبطت عرصة القلب برابطة المحبة سهل عليه حمل كلفة الامتحان بتكلف طبيعة المعرفة والتصبر في طوارق بليات التهذيب، قال تعالى: ﴿ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾ [آل عِمرَان: ٢٠٠]، وقال العارف: التصبر خمود نيران النفس الأمّارة برياح شفقة الحق.

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، عن جابر، حديث رقم (٦٩٢٢) [٧/ ٨٤].

(٢) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

الفصل الثامن والثلاثون: في مقام الصبر

وإذا سكن السر يتجلد القلب في تحمل مشقة البلاء بنشف سر الصميم ندارة مزن هواء الأنس ولا يتأذى بورود أحكام الاختيار وذلك حقيقة الصبر حيث طابت القلوب بمباشرة أنوار رؤية المبلي عند نزول البلاء، قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطُّور: ٤٨]، قال عليه السلام: «الصبر نصف اليقين»(١)، وقال بعضهم: الصبر الوقوف عند البلاء والعكوف على الصفاء.

الفصل التاسع والثلاثون: في مقام الخوف

إذا بقي في النفس بقايا رعونة الفطرة التي تنشعب بينها بدوّ رؤية دعوى الربوبية من طريق حملها على سلطان قهر القدم يلقي الحق سبحانه من قارورة الإجلال نيران سبحات العظمة فتحترق فيها طباع أوصاف الخليقة وصفا مرآة سر الروح بنور المشاهدة لينكشف عجائب الملكوت بنعت ماهيتها وذلك ذم صفات الإنسانية في معارك الربوبية، قال تعالى: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦﴾ [الرَّحمٰن: ٤٦]، وقال عليه السلام: «مخافة الله رأس كل حكمة»(٢)، وقال بعضهم: الخوف وحشة السر لما قصر في الأمر.

الفصل الأربعون: في مقام الرجاء

وإذا انهزم من حباب القدم خليقة القلب من صولة صدمات أنوار الكبرياء يهب من بساتين القدس رياح الأنس على جنودهم المتفرقة في سراب الحيرة ويتحرك جرس الوصلة لأطيار خواطر العلوية فيدعوها أهلية وصلة الأزل إلى عالم الأبد، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ﴾ [الشورى: ٢٨]، قال العارف: الرجاء طلوع صبح اليقين في قلوب أهل الحزن والحنين.

الفصل الحادي والأربعون: في مقام التوكل

ثم القلب المجتهد للعبودية يقبل مشاهد آيات الأقدار بوصف قبول الأمر طيباً بلذة مباشرة صفة القدم وإسقاط أسباب الفعلية التي تشغل خواطر الملكوتية عن تقديس الأسرار عن الالتفات إلى الوسائط، قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِى لَا

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٢) هذا الأثر لم أجده فيما بدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

يَمُوتُ﴾ [الفُرقان: ٥٨]، وقال عليه السلام: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»[(١)]، وقال العارف: التوكل هدوء الضمير عند هجوم التقدير.

الفصل الثاني والأربعون: في مقام التسليم

ثم تنقاد السر عند مراد الحق في زمان الامتحان على نعمة استرسال حق الطبيعة إلى حق الحقيقة، قال تعالى: ﴿أَسْلِمْ﴾ [البَقَرَة: ١٣١]، وقال عليه السلام: «أسلم تسلم»[(٢)].

الفصل الثالث والأربعون: في مقام التفويض

ثم يترك القلب تدبير الصفات في دوران الأوقات بنعت إعراضه عن التعرض لجريان عزائم التقدير بوصف سلو السر بمروحة المودة عن معارضات شواهد الواقعة. قال تعالى: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [غَافر: ٤٤]، وقال العارف: التفويض تلطيف الروح بمعرفة لطائف علم الغيب وخروجها من الاختيار عند هجوم جنود الاختيار.

الفصل الرابع والأربعون: في مقام الرضا

ثم إذا تجلى الحق سبحانه من نعت الرضا، اللطيفة المطمئنة بتقديس صفاء العبودية، وباشر نور الرضا حقيقة وجودها المستعدة لقبول أوصاف القدم بعد أن فني رضا المكتسب في نعت الحق فرضيت في الحق برضا الحق ورضا الحق برضا نفسه عن اتصافها بصفته ثم حفظها من جريان الخواطر المعوجة التي تنازع رضا القدم فصار رضاها رضا الحق ورضا الحق رضاها فاستوت شواهد الامتحان عندها على سنن ما بدا من الحق وعودها إلى الحق، قال الله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾ [المَائدة: ١١٩]، وقال عليه السلام في نعت أهل الرضا: «يغضب بغضبهم ويرضى برضاهم»[(٣)]، قال الأستاذ: الرضا أن لا ترجح البلاء على العطاء.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب الصبر عن المحارم..، حديث رقم (٦١٠٧) [٥/ ٢٣٧٥] ومسلم في صحيحه، باب الدليل على دخول طوائف..، حديث رقم (٢١٨) [١/ ١٩٨] ورواه غيرهما.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في عدة أبواب منها باب كيف كان بدء الوحي..، حديث رقم (٧) [١/ ٧] ومسلم في صحيحه، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل..، حديث رقم (١٧٧٣) [٣/ ١٣٩٣].

(٣) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

الفصل الخامس والأربعون: في مقام الخلق

فإذا اتصف بوصف الرضا جذبه بحار الصفة إلى لجج عين الجمع فتجلى له من صفة الرضا بجميع الصفات وألبسه نعوت الأزلية حتى صار مخلوقاً بخلقه وخليقة منه في ملكه يفعل بفعل الحق ويأمر بأمر الحق ويحتمل مؤن الحق بالحق، قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤]، وقال عليه السلام: «تخلّقوا بأخلاق الرحمٰن»[١] وقال بعضهم: الخلق تحمل المؤن بتقلد المنن.

الفصل السادس والأربعون: في مقام التوفيق

ثم يطير طير التوفيق من بساتين القدم إلى روضة جنان الجنان فيلقي من منقار الاصطفائية لآلي الإلهام إلى أصداف الفطرة القديمة بجذب نور التأييد في مقام العبودية، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، وقال العارف: التوفيق وجدان طريق رضا الحق بنعت نيل بركاته.

الفصل السابع والأربعون: في مقام العبودية

وإذا كان موفقاً بنجاية التوفيق صار محققاً بلطائف التحقيق ببذل مجهوده لجود الحق وصار ممهداً بركضات مراكب الأمر ساكناً عند جريان أقلام التقدير بنعت عرفان وجود المقدر، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، قال عليه السلام: «أنا العبد لا إله إلا الله»[٢]، قال الأستاذ: العبودية رفض الاختيار بصدق الافتقار.

الفصل الثامن والأربعون: في مقام الطمأنينة

وإذا صار عبداً تعرض بنعت الفناء لبقاء القدم فتدركه أنوار المذكور بوسائط ذكر القديم فيخرج من مقام التلوين إلى جناب الاستقامة فيسكن بالحق للحق بما من الحق، قال الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وقال العارف: الطمأنينة هدوء السر عند مرور الأمر بظهور أنوار البر.

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٢) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

الفصل التاسع والأربعون: في مقام الثقة

وإذا بلغ إلى هذه المراتب وثق بالحق برؤية ما سبق في الأزل له بنعت العناية فلا يضطرب برسوخ نور ثقة الحق في العبودية، قال العارف: الثقة معرفة وعد القديم واستقامة وفاء المعرفة عند مشاهدة الكريم.

الفصل الخمسون: في العناية

ثم أوصله الحق بعد كمال تربيته بنور الرعاية إلى رؤية العناية وهو أن يتحمّل الحق منه هفوات الخطرات ويجعلها سبب زلفة الزلفة وقربة القربة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٢٥]، وقال العارف: العناية وقوع المستقبحات مقام المستحسنات.

www.alkottob.com

الباب الثالث

في مقامات السابقين وفيه خمسون فصلاً

الفصل الأول: في مقام السلامة

وإذا دخل في مقام العناية تهافتت عن شجر القلب أوراق الطبيعة وبقيت ثمرات الحقيقة محروساً بصون الحق جلّ جلاله عن رياح القهر محفوظاً في بساتين ملك العناية برعاية الأزل، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٨٨، ٨٩]، قال العارف: السلامة خلوص السر عن معارضة النفس وخطراتها.

الفصل الثاني: في مقام العافية

وإذ سلم من الآفات صار ظاهره وباطنه جنانياً روحانياً ينزل عليه سكينة نور الكفاية ويلبسه الحق تعالى سهال الغيب ويجلسه في أسرة ملك الصفاء ويتوج بتيجان البقاء فيكون ملكاً متنعماً في مقام الإنس بحسن مشاهدة القدم بنعت انصراف جنود الغيرة عن ساحات راحاته في جمال الحق، قال الله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فَاطِر: ٣٥]، قال العارف: العافية خروج العارف عن رسوم الامتحان، قال عليه السلام: «اللهم ارزقني العفو والعافية»[1].

الفصل الثالث: في مقام المعاملة

وإذا صفا العبد بالعافية يكون أعماله سير القلب في عالم الغيب وتقطع أسفار الحضرة بشرائف الهمة ويتجلى بمراد الله في عباد الله، قال تعالى: ﴿فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ [الصَّافات: ٦١]، قال العارف: المعاملات تحمل الحالات وكتمان وجدان المغيبات.

---

(١) هذا الأثر بهذا اللفظ لم أجده وإنما ورد بألفاظ أخرى منها ما رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين بلفظ «اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي» حديث رقم (١٩٠٢) [١/٦٩٨].

www.alkottob.com

الفصل الرابع: في مقام معرفة الشريعة

وإذا صدرت الروح الملكوتية عن معادن القدس إلى مشاهد الأمر تطلب مرضعة ألبان الحقيقة من ثدي النبوة والشريعة، فإذا استوت الفطرتان فطرة الولاية مع فطرة النبوة، عرفت مشارب المعرفة في شرائع الشريعة، واستوفت لوائح كشف الربوبية بمصباح الشريعة، قال تعالى: ﴿نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال المشايخ: لا تقوم الولاية إلا بالقدوة والاقتداء بالشريعة.

الفصل الخامس: في مقام الطريقة

ثم تطرق من صورة الخطاب إلى مراد الحق من الخطاب وهو معرفة لب الإلهام والعلم بسبل الصفات، قال الله تعالى: ﴿سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ﴾ [المائدة: ١٦]، وقال العارف: الطريقة معرفة أحكام الإلهام والسير في مدارج الإسلام.

الفصل السادس: في مقام الإسلام

وإذا رسخ نور سكينة الحق في قلب السابق يستنير سره بصفاء برق القدرة الأزلية ويعرف عقله طرق الهيبة ويبدو من القدم سناء عين الألوهية انقادت أركان الطبيعة بنعت الإخبات لسلطان ظهور بوادي عساكر برهان الإلهام ويسهل للقلب الروحاني الخشوع على باب الربوبية وتبصر الروح عروس الإسلام الذي بدا من القدم بنعت الغربة لأهل القربة وتستقبله ببذل وجودها بوصف الصحبة إلى الأبدية وهذا وصف ذوي الخلة، قال الله تعالى لخليله بعد كمال تمكينه في المحبة: ﴿أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٣١]، وقال عليه السلام: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء»[1]، وقال العارف: الإسلام نور شعشعاني برق من ظهور سناء جلال الأزل للأرواح القدسية عند بروز عهد الاصطفائية في الأول.

الفصل السابع: في مقام الإيمان

وإذا تمهدت النفس المطمئنة لتعظيم أمر القدم يبرز لها مصباح أنوار الغيب ويستتر في صميمها بوادي المعرفة ويبصر بأنوارها معاني مغيبات الحضرة ويتقدح في سرها زنود نعوت الأزل بنور اليقين فيؤمن بالحق بعد رؤية الحق، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً، حديث رقم (١٤٤) [١/ ١٣٠] وابن ماجة في سننه، باب بدأ الإسلام غريباً، حديث رقم (٣٩٨٦) ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البَقَرَة: ٣]، قال أبو يزيد: كيف يؤمن بالغيب من لم يكن معه سراج من الغيب.

الفصل الثامن: في مقام الدين

وإذا كمل السابق في شرف القربة وقطع أعناق الجنود النفسانية بسيوف همة المحبة انكشف أنوار النبوة في مرآة الولاية فاجتمعت لقلبه متفرقات الخواطر فصار متديناً بالدين الأحمدي عليه الصلاة والسلام الذي هو طريق الأرواح السائرة من مناهل الفطرة إلى مشارب القدرة فيبذل وجوده بالله لدين الله لكشف ما في الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النِّساء: ١٢٥]، وقال عليه السلام: «إن الدين ليأرز إلى الحجاز كما تأرز الحية في جحرها»[1]، وقال العارف: الدين وضوح طريق القدوة لأهل النحلة.

الفصل التاسع: في مقام المروة

والسابق إذا عرف طريق الهمة يبذل نفسه لمراد المحجوب لمن له شأن في المعرفة ولا يرضى من وجوده إلا بذل موجوده بنعت قطع الطمع عن جزاء العمل والنظر إلى مبذوله بعد أن زكى منازل وارد الغيب عن هجوم عساكر الريب بوصف تهذيب الأخلاق للحياء في إقامته مقام أهل الوفاء، قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾ [الصَّافات: ١٠٣]، وقال العارف: المروة رؤية الأشياء بنعت الرضا من الحق، وقال بعضهم: المروة الإعراض عن زلة الإخوان.

الفصل العاشر: في مقام الفتوة

وإذا اتصفت الخلقية بخلق الخالق أبصر القلب في طريق المعرفة الكون بنعت العلة في شواهد الغيب فتمحض السر بتمحيض قدس المعارف عن علل الحوادث ولا يلتفت عند الدنو من الصفة ومشاهدة الذات إلى غير كشف القدم كما وصف تعالى رأس أهل الفتوة صلوات الله عليه: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النَّجم: ١٧] وكما وصف خليله بالفتوة قال: ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنبياء: ٦٠]، ووصف أصحاب الكهف حيث قال: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ﴾ [الكهف: ١٣] وقال شيخ الإسلام: الفتوة أن لا تشهد لك فضلاً ولا تُرد لك حقاً.

---

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

الفصل الحادي عشر: في مقام الجهاد

وإذا صار أهلاً لمراعاة الحق تسرف على أصنام الطبيعة فيكسرها بفأس الخلة ويقدس منازل عرائس أنوار القدم عن طواري الخطرات المذمومة حتى لا تحتجب مقصورات حجرات الملكوت عن أبصار عقوله المقدسة، قال الله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال عليه السلام: «جئنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»، قيل: المجاهدة بذل المستطاع في أمر المطاع.

الفصل الثاني عشر: في مقام المبالاة

وإذا اضمحل طبع السابق في رسم الاجتهاد لا يبالي في الأوامر والنواهي إلى المحمدة والمذمة لفرحه بإدراك لذة القربة ورؤية أنوار المعروف بشرط المعرفة، قال تعالى: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]، قال عليه السلام: «المؤمن إذا خالط الناس ويصبر في إذائهم خير من المؤمن الذي لا يعاشر الناس ولا يصبر في إذائهم»[١]، ثم إذا سكن من مقام المجاهدات يبالي بمراعاة الطبيعة المحترقة بنيران المحبة ويداويها برفاهية السماع والمشاهدة لقوله عليه السلام: «كلميني يا حميراء»[٢].

الفصل الثالث عشر: في مقام البصيرة

ثم ينفتح بصيرة سره بمفتاح نور الغيب فيبصر بها عجائب الملكوت ونوادر أنوار الجبروت ويفهم غوامضات العلوم الدينية ويهتدي بالله إلى طريق الله الذي كان مرضياً في الأزل، قال سبحانه: ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقال العارف: البصيرة وقوع كحل اليقين بميل الصفاء من مكحلة الحقيقة في عين الروح المطمئنة.

الفصل الرابع عشر: في مقام الإخلاص

وإذا بقي في حظ المحبة ولذة المشاهدة احتجب بهما عن إدراك أسرار توحيد القدم ويجب عليه إفراد الموحد عن توحيده حتى يكون خالصاً من نفسه في المعرفة مخلصاً في بذل وجوده بنعت التقديس عن الالتفات إلى الحدثان في توحيده، قال

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٢) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزُّمَر: ٣]، وقال عليه السلام: «الإخلاص سر من أسرار الله»[١] قال الأستاذ: الإخلاص إفراد الخدمة وإسقاط التهمة.

الفصل الخامس عشر: في مقام التبتل

وإذا صفا بنور الإخلاص تبتل من الحق إلى الحق بنعت فناء وجوده في وجود الحق، قال تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المُزمّل: ٨]، وقال شيخ الإسلام: التبتل تجريد الانقطاع عن التعويج على النفس بمجانبة الهوى وتنسم روح الأنس وشيم برق الكشف.

الفصل السادس عشر: في مقام الوجل

وإذا صار مشاهد الطريق عساكر أتراك التجلي قريباً من أنوار التدلي بوجل من صدمات سلطان سبحات وجه العظمة لأنه يطير في ميادين الإجلال يحتاج الخوف والوجل، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢] وقال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، وقال العارف: الوجل هرب القلب من أسد العظمة حين ينكشر أنياب كبرياء القدم.

الفصل السابع عشر: في مقام الرهبة

وإذا برز نور الهيبة رهب الفؤاد بنعت الحيرة حتى لا يجد مهرباً من الحق غير الحق فيستعيذ به منه فإذا لم يجد مناصاً من سرادق العظمة يفزع إليه منه ولا يبقى لهواء حسن الإنسانية في عالم الروح والأسرار سبيل من فورات عيون بحار الكبرياء، قال الله تعالى: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البَقَرَة: ٤٠]، قال العارف: الهربة إشفاق السر من سلطنة وقوع نور العظمة.

الفصل الثامن عشر: في مقام الإخبات

وإذا كان القلب بصيراً بكحل كشف العظمة لا يرى شيئاً من الأشياء إلا ويرى فيه وجود عظمة الله ويخبت عند رؤيته بالله وفي الله، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ [الحَجّ: ٣٤]، قال العارف: الإخبات انخباء الصورة بنعت خضوع الباطن على باب الربوبية.

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

الفصل التاسع عشر: في مقام الليان

وإذا صار مراقباً بنعت الإخبات لظهور نوادر غيب العظمة يكون مهدياً بتطهير القلب بالصفا وممهداً لجريان الحكم والقضاء ليِّناً في قبول مراد الحق منه متصلاً برسم الوفاء بمقام الفناء فإذا كان يفنى عن الفناء وعن وجود وجوده من سهولة قدس الفطرة وتأثير احتراقه بنور العظمة في هذا المقام بقول الحق سبحانه وتعالى في حقه: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [التكوير: ٢٦، ٢٧]، قال عليه السلام: «المؤمنون لَيِّنون»[1]، قال العارف: الليونة ليونة القلب من كشوف الربّ.

الفصل العشرون: في مقام الرغبة

ثم يبدو من بساتين الأنس له نسيم الوصل فيرغبه إلى مشاهدة القدس فيطير إلى جمال القديم بجناح الرجا والبسط حتى وصل إليه منه به فلا يبقى من وجوده شيء إلا صار للفناء مبذولاً وللبقاء موجوداً ويرتهن قلبه بالشوق وسره بالمحبة وروحه بالمشاهدة وعقله بالمكاشفة ونفسه بالعبودية وهذه النوادرات فيه من ميراث كشف جمال القدم الذي يتناثر من خلالها في أصداف صميم الأرواح جواهر العشق وكمال الرغبة النقل من مقام العبودية إلى طلاب عرفان الربوبية والوصول إليها بها حتى لا يبقى إلا إجلال وإعظام، قال الله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال العارف قدس الله سره: حقيقة الرغبة شهود السر مقروناً بالمشاهدة.

الفصل الحادي والعشرون: في مقام الطلب

وإذا فني عن الحق بطلب الحق بالحق فإذا وجده يطلب وجوده في مشاهدة الحق ليكون متلذذاً بحظ جلاله، وهذا الطلب هو النزول من مقام الفناء إلى مقام البقاء، وفي حقيقة التوحيد هو بهمة، قال الله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ [المائدة: ٢]، وقال العارف: طلب العارف من غيبته في المعروف فإذا وصل إلى حقيقة المعرفة سقط عنه مقام الطلب والطلب يجري في ذاته وهو لا يعلم.

---

(١) هذا الحديث لم أجده بهذا اللفظ إنما ورد بلفظ: «المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وخير الناس أنفعهم للناس» رواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٥٧٨٦) [٦/٥٨] والهيثمي في مجمع الزوائد، باب المؤمن يألف ويؤلف، [٨/٨٧].

www.alkottob.com

الفصل الثاني والعشرون: في مقام المداومة

المداومة لزوم السر في مشاهدة الحضرة واستقامة الباطن في جريان امتحان العبودية وسقوط الفطرة عن صفات الفطرة وبقاء العارف في ذوق المعرفة، قال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ [البَقَرَة: ٢٣٨]، وقال عليه السلام: «خير الأمور أدومها وإن قلّ»[1]، وقال العارف: المداومة تتولد من محافظة الله.

الفصل الثالث والعشرون: في السكينة

وإذا ارتفع أمواج بحر الخوف وغاص القلب لجة الخشية واحترق الفؤاد بمباشرة نيران الإجلال، وخاف السر من عساكر الفعل والصفة والذات حين تبرز جنود الكبرياء والعظمة بنعت التجلي، وصار العارف متلاشياً بعد الفرار منه إليه، يسطع سناء صبح الوصال من مطلع الغيب، ويتبسم أفواه القدرة بنعت الرضا، ونزلت أمطار غيث الصفاء على أرض القلب من مزن الوفاء، فهنالك يسكن الروح بروح الأنس وصفاء القدس، وترتبط خيمة الصدر بأوتاد حلاوة الذكر عن الإضرار برياح الاختيار، ثم يظهر طريق الاعتصام مخيل الاستسلام، فيظهر طير عافية الأمن من بساتين الجمال، ويجلس على أغصان ورد الذكر في رياض القلب يترنم بلبل السكينة بالآية الصادرة من معدن الغيب التي نزلت على صاحب هذه الواقعة صلوات الرحمٰن عليه حيث أخبر سبحانه ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٢٦] قيل في تفسير قوله سبحانه: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البَقَرَة: ٢٤٨]، أي طمأنينة، وقال العارف: السكينة ما سكن به القلب من وقوع خطاب الوعد وسلو السر من ظهور بشرى الصفة في مشاهدة المنّة.

الفصل الرابع والعشرون: في الإيثار

إيثار العارف ما دون الحق إليه بنعت التفويض والرضى واسترسال روحه بوصف الخضوع والخشوع متعرض لجريان مقاديره عليها ونفاذ الإرادة والمشيئة فيها لأنه علم من الحق أنه مالكه يؤثره على نفسه ويغسل يده من التصرف في ملكه ثم آثر رضاه على رضاه ولا يضايق على عباده بما لديه من الكون وما فيه، قال سبحانه في وصف رجال المحبة حيث وصفهم بأحسن الوصف: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب القصد والمداومة على العمل، حديث رقم (٦٠٩٩ و٦١٠٠) [٥/ ٢٣٧٣] ومسلم في صحيحه، باب أمر من نعس في صلاته..، حديث رقم (٧٨٣) [١/ ٥٤١] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، وقال المشايخ: كانوا مع أهل الدنيا بالأدب ومع الفقراء بالإيثار ومع الإخوان بالانبساط، وقال العارف: الإيثار فعل الأحرار.

الفصل الخامس والعشرون: في الانقطاع

وإذا أبصر القلب هلال الجمال في سماء الوصال عشقت روحه بمشاهدة عروس القدم ثم اشتاقت إليه بعد وجدان روح قرب القرب فانقطع إليه عن غيره واستراح سره عن ألم مباشرة ضرب الامتحان وألقت عقله أثقال الحوادث وصار المريد مجرداً بنعت الانفراد عن الأغيار، قال تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المُزمّل: ٨]، وقال عليه السلام: «ما عبد الله بشيءٍ أفضل من الزهد في الدنيا» وأصل الزهد الانقطاع، وقال العارف: الانقطاع انحلال حبال الامتحان عن رجال الرحمٰن.

الفصل السادس والعشرون: في الاستسلام

وإذا عرف العارف عجزه عن الربوبية رفع تدبيره عن ميادين المشيئة حيث ظهر عليه سر العبودية، قال تعالى: ﴿أَسْلِمْۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البَقَرة: ١٣١]، وقال العارف: الاستسلام فناء العارف في بقاء المعروف وسقوط التكلف عن المحب في مشاهدة المحبوب.

الفصل السابع والعشرون: في الاعتصام

افهم إذا انكشف للعارف الصادق لوائح القدسيات في لباس القهريات ومعها مقارع الامتحان بوصف التلوين عرفها بنعت النكرة وعلم منها مكايد الأزل ويستقبلها بمراكب الرضا ويخضع بين يدي الجبروت ثم يفر منه عالم اللطفيات ويطلب بوسائل المحبة مدارج قرب القرب ويتحقق في الفناء وينظر إلى سابق العناية وتستمسك بعروة الزلفة ويتلاشى عن حول عبودية في مشاهدة الربوبية ويتكلم سر سره في سرادق كبرياء الأزل بلسان الافتقار كما كان يتكلم سيد الأنبياء وقدوة الأخيار صلوات الله عليه في مقام الوفاء حيث ترقى في مدارج العبودية بقوله: «أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك إليك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[1].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، باب ما يقال في الركوع والسجود، حديث رقم (٤٨٦) [١/ ٣٥٢] والحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الوتر، حديث رقم (١١٥٠) [١/ ٤٤٩] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

وأعلم الحق سبحانه أهل القصة طريق الفرار منه إليه عند هجوم سطوات القهر، قال: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠]، وقال أبو المغيث الحسين بن منصور الحلاج: الاعتصام من الله بغير الله مقت في الله، وقال العارف: الاعتصام رؤية انكشاف مشاهدة الجمال بعد رؤية الجلال بوصف العظمة.

الفصل الثامن والعشرون: في الانفراد

الانفراد سر التوحيد ولاتوحيد تحقيق التجريد ومجموعها رؤية البقاء بنعت الفناء عن غير الله سبحانه وتعالى حيث اضمحل العقل في أفعاله وتلاشى القلب في صفاته وفنيت النفس في صدمات سناء ذاته وانمحقت الروح في كشوف عين عين القدم والبقاء، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القَصَص: ٨٨]، وقال العارف: الانفراد إفراد القدم عن الحدوث.

الفصل التاسع والعشرون: في العناية

وإذا اختار الله سبحانه عبده بالاصطفائية الأزلية في الأزل وسم عليه سمات الصديقين وأبرز منه لوائح المقربين ووفقه بأعمال المرسلين رجحت عنه طرق الحدثان ولذاتها حتى لا يتطرق من الحق إلى الخلق لحظة واحدة وإذا أراد به الامتحان أبلاه ببليات المحبة ولا يتركه عند مزلات الأقدام ويجذبه كل وقت منه إليه حتى لا يبقى في خاطره آثار ما دونه وكل وقته يجري أنفاسه بالسنة ويكون محفوظاً بعين العناية محروساً في كيف الكفاية، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ١٠١﴾ [الأنبياء: ١٠١]، وقال عليه السلام: «السعيد من سعد في بطن أمه»[1]، وقال العارف: أوائل العناية تحرك فطرة القدسية إلى معادن الغيب وأواخرها وقوع الجذب من الحدث إلى القدم ومطالعة الحق ما يجري عليه من المقادير الكائنة بوصف الحفظ والرعاية.

الفصل الثلاثون: في الوعد

دعا الحق سبحانه بألحان القدم أطيار الأرواح المستعدة للعرفان والإيقان من أقفاص العدم حيث لا حيث، وكشف لها جمال الجلال وكلمها بخطاب الخاص حين

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، عن أبي هريرة، حديث رقم (٨٤٦٥) [٨/ ٢٢٣] وهبة الله اللالكائي أبو القاسم في اعتقاد أهل السنة، قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] حديث رقم (١٠٥٧) و(١٠٥٨) [٤/ ٥٩٦].

www.alkottob.com

عرّفها لها بعد تعريف نفسه لها بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، ثم أراها شواهد الرضا وبصّرها مشاهد الألطاف بنعت الأمن ثم وعدها وصول الوصال بقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وقال العارف: الوعد ملوحة الرجال في مقام الأنس تروح السر بشمال الجمال.

الفصل الحادي والثلاثون: في الوعيد

إذا استروح القلب بنفحات المشاهدة وتولد منها أوائل الانبساط صارت النفس في جوار الروح طيبة باستنشاق روائح مسك القدس وهيجت هواها إلى طلب حظوظها من أوصاف البشرية زجرها الحق سبحانه بتهديد الوعيد على لسان الغيب وإلهام الملك وزُجر الباطن وظاهر السنة في الشريعة حتى ينهزم عساكر هواها في ميادين الشهوات عن جند العقول وتصير عرصة القلب ظاهرة عن غبار سنابك خيول الشياطين وهواجس النفسانية لئلا تطلع شموس التجلي وفي ساحة سرادق الفؤاد ذرة من إشراك الطبيعة، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٧٨]، وقال سبحانه: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقال عليه السلام: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»[١]، وقال العارف رضي الله عنه: الوعيد تطهير السر بمياه البر.

الفصل الثاني والثلاثون: في الوفاء

الوفاء من الله مقرون بتوفيق العمل للعبد فإذا وافق تأييد استعمال السنة واستشرف العبد على أحكام الغيب ووجد لذة الصفاء وصار أهلاً للحق ظهر من لاحق ما له في وعده وهذا بعد رؤية العبودية والربوبية ثم باشر وفاء الحق صميم سر العارف وجذبه إلى مهاد العبودية وسهل عليه طرق الأمر بنعت الإجابة ومباشرة العمل فصار مكتسياً بلباس الوفاء صافياً بعين الصفاء هادياً لطرق الرشاد مهدياً لمنهاج السداد مطمئناً عند جريان المراد، كما كان الخليل عليه السلام حيث عرض عليه جبرائيل عليه السلام طريق الاعتصام، فوفى في الحقيقة فترك الخليقة فقال: أما إليك فلا، فقال سبحانه وتعالى في شأنه: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم: ٣٧]، ثم وصف نفسه تعالى

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في أبواب عدة منها باب الصدقة في الكسوف، حديث رقم (٩٩٧) [١/ ٣٥٤] ورواه مسلم في صحيحه، باب توقيره ﷺ..، حديث رقم (٢٣٥٩) [٤/ ١٨٣٢] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

بأحسن الثناء عند إيفاء الوفاء بقوله: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١]، قال العارف: الوفاء في الحقيقة أن لا يختار المحب على محبوبه شيئاً دونه.

الفصل الثالث والثلاثون: في رؤية النعمة

رؤية النعمة حجاب بين العبد وبين رؤية المنعم فإذا كمل في الشكر ورقى في مدارج الحمد وصارت النعمة عنده مرآة انكشف فيها له جمال المنعم، فإذا رأى المنعم ومدحه مكان الشكر سقطت النعمة عن عينه وبقي المنعم في عينه ولا يحتجب به عنه أبداً وهذا وصف سيد الأنبياء عليه السلام حيث شكر الله سبحانه عنه بقوله عند رؤيته: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النجم: ١٧]، قال: رؤية النعمة بشرط ذكر المنعم مرقاة ترتقي فيها إلى رؤية المنعم، وإذا كان بخلاف ذلك بقي في مقام الشكر ولا يبلغ إلى مشاهدة الصفة.

الفصل الرابع والثلاثون: في الهجرة

هجرة العارفين من معادن الأشباح إلى عالم الأرواح أولهم رسوم المعاملات وآخرهم العيش في المعاينات يردون ما أخذوا من العناصر والأكوان إلى الحوادث ويسيروا في طريق القدم والبقاء، قال تعالى في وصفهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟﴾ [الأنفال: ٧٢] الآية، وقال عليه السلام: «المهاجر من هجر الخطايا والذنوب»[1]، وقال العارف: الهجرة انسلاخ السر عن وصف الطبيعة بنعت الحرمة في مشاهدة الربوبية.

الفصل الخامس والثلاثون: في المعرفة

إذا ظهر سر العارف من ممكنات أخلاق الطبيعة النفسانية يصير معدن الكرامات وتظهر في قلبه ينابيع الحكم والمعاملات السنية ويكون مثاب المراحة للأنام ويطرد ضايع معروفه في جميع الأحوال في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٨]، وقال جلّ وعلى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤]، وقال عليه السلام: «أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة» وقال العارف: المعروف فرع المعرفة وهو نور مصباح المحبة وإذا ارتفع ضوؤها يطير فراش الوهم حولها.

---

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

الفصل السادس والثلاثون: في المشورة

الشورى للعارفين صفة أهل العزم، فإذا سار القلب في ميادين الأقدار تظهر عليه أشكال الربوبية، ويتحير في ديوان المشاهدة، حتى يبصر مراد الحق في نفاذ الأمر، فضرب أحكام النقوش على محك خواطر الصديقين لثبوت المكاشفة والفراسة، قال سبحانه لصفيه وحبيبه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٩]، فإذا ارتكب أركان العقل والعلم، يأخذ الحق عنان الآراء، ويميله إلى عالم التفويض، حيث يختلط أمواج بحار الربوبية، وتنصرم أزمة المشورة بقوله: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٩]، وهي مراعات قلوب الإخوان من أهل العرفان، وفي الآثار: «ما خاب من شاور»[١]، وقال العارف: المشورة في مقام التلوين، والعزم في مقام التمكين، والمشورة سلو السر عن معارضة الطبيعة.

الفصل السابع والثلاثون: في الدخول

فإذا فرغ الصادق من تهذيب الأخلاق يدخل في المقامات بوسيلة المعاملات، ويدخل في الحالات بواسطة الكرامات، ويدخل في بحر المحبة بسفينة الحكمة، ويدخل في مهمة العشق بمركب الشوق، ويدخل في عالم المعرفة بمطية الهمة، ويدخل في بيداء التوحيد بنجائب الوصلة، فإذا دخل عالم الربوبية استغرق في قاموس القدم الذي ساحله البقاء الأبدي، قال: ﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ [الإسرَاء: ٨٠]، وقال العارف: لا يتهيأ الدخول لأحد في الحضرة إلا بهذه المراكب، ولا ينكشف له أبواب خزائن الملكوت والجبروت وفي قلبه آثار البشرية.

الفصل الثامن والثلاثون: في الخروج

مقام الخروج وصف أهل التمكين، فإذا خرج عن تأثر بوصف الأداء والوفاء في مراد الحق استقبل إليه عروس القدم من بدوّ البدوّ والأولية الأولية وألبسه لباس الربوبية والأحدية وجعله خليفة للخليفة فإذا خرج من عالم المشاهدة إلى عالم الملك والشهادة صار مرآة الحق للخلق، قال الله تعالى: ﴿وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا﴾ [الإسرَاء: ٨٠]، قال العارف: الخروج من النفس برؤية الحق علامة العبودية والخروج من الحضرة للتصرف في المملكة سمة الربوبية.

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ وإنما ورد بلفظ: «ما خاب من استخار وما ندم من استشار» رواه الطبراني في المعجم الصغير: باب الميم من اسمه محمد، حديث رقم (٩٨٠) [٢/ ١٧٥] ورواه غيره.

www.alkottob.com

الفصل التاسع والثلاثون: في القرض

القرض من الله تعالى كشف طريق المنن وظهور نور الانبساط وتربية المريد بصفاء الخطاب ونيل مراده بوسيلة سني المعاملات ومآل هذه الدرجات حقائق البسط وحسن الرجاء والخروج من القبض والترقي إلى معالي المقامات، قال الله تعالى: ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ﴾ [الحديد: ١٨]، وفي الحديث المرويّ: «إن دانقاً يعطيه العبد إلى أخ مسلم بالقرض خير من كذا صدقة»[١]، وقال العارف: القرض مفتاح كنز الغيب وسبب ذهاب شوائب الريب.

الفصل الأربعون: في الفراغة

ما وقع الفراغ إلا لصديق رباني ترك الدنيا لأهل الدنيا وترك الآخرة لأهل الآخرة ورفع تكلفه من ديوان القضاء والقدر ورضي بالمقدورات التي تصدر من الغيب عند كل نفس وهو مشاهد مشاهدة الجبروت والملكوت وتكون أزمة همته بتعلقه بسلاسل المشيئة يمضي حيث تجره وفي ذلك مستغرق في بحار الكبرياء ونعوت القدم والبقاء فارغ من الربوبية لعلمه بأنها ممتنعة عن مباشرة الحدث فارغ في العبودية عن حوله وقوته فيها لمعرفته بنفسه أنها أهداف سهام الإرادات والمشيئات وهذا محض الاتصاف لأنه تعالى من الخلق والرزق والأجل، قال النبي عليه السلام: «جفّ القلم بما هو كائن»[٢]، وقال الله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]، قال العارف رضي الله عنه: الفراغة لباس التجريد ومركب التفريد وإجناح التوحيد.

الفصل الحادي والأربعون: في الشفقة على الخلق

هذه الرتبة مرتبة الأنبياء ورؤساء المعرفة الذين بلغوا منازل النهايات ومعالي الدرجات وعرفوا أقدار الخليقة وعجزها عن الوصول إلى الحقيقة فترحّموا عليهم لأنهم موصوفون بصفات الكرم والرحمة التي استفادوها عن مشاهدة الكريم الرحيم القديم جلّ سبحانه ألا ترى كيف وصف سبحانه وتعالى أعز خلقه صلوات الله عليه بأحسن الوصف وأكمل الثناء بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال عليه السلام: «رأس العبادة التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله»[٣]،

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٢) رواه أبو عبد الله محمد المقدسي في الأحاديث المختارة برقم (١٤) [١٠/ ٢٤] والطبراني في المعجم الكبير، عن عبد الله ابن عباس، برقم (١١٥٦٠) [١١/ ٢٢٣] ورواه غيرهما.

(٣) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (١٥٥٨) [٢/ ١٥].

www.alkottob.com

وسمعت بعض المشايخ أن بعض العارفين ورد على قرية وذهب عليها والتصق منها نملة فلما ذهب بعيداً رأى النملة على ثوبه وعلم أنها من تلك القرية فرجع إلى القرية ووضعها على بيتها، وقال العارف رضي الله عنه: الشفقة من المريدين رقة القلب التي خلقت في الفطرة ومن العارف النظر من الحق بنعت كرم القديم والعطاء العميم.

الفصل الثاني والأربعون: في الغنيمة

ما وجد السالكون بعد المجاهدات من غنائم الكرامات هو ممزوج بالاكتساب وما وجد المجذوبون من عالم المشاهدات هو بعد إسقاط الأسباب، قال الله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنفال: ٤١]، وأبرد الغنائم ما وقعت بالبديهة في زمان المواجيد فينبغي للعارف أن يخبر عنها للمريدين والطالبين، كما قال سبحانه: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الأنفال: ٤١]، وقال عليه السلام: «أحلت لنا الغنائم»[١]، قال العارف رضي الله عنه: الغنيمة مما انكشف من أحكام الغيب بغير المراقبة والاستشراف.

الفصل الثالث والأربعون: في السلاح

سلاح المسلمين طهارة الظاهر والباطن عن رجس الدنيا وقذارتها، كما قال عليه السلام: «الوضوء سلاح المسلم وسلاح المؤمنين الاستعاذة بالله تعالى عن جذبات الامتحان»[٢]، قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، وسلاح المريدين صحبة الأستاذين وسلاح المحبين أنفاس المحبة التي تصعد الملكوت وأنها جمرات نيران الشوق تحرق ما دون الله تعالى في حواشي صدره من الخواطر والهواجس والوساوس، كما وصف النبي ﷺ صاحب الهيبة في الصحابة عمر رضي الله عنه حيث قال: «الشيطان يفرّ من ظلّ عمر»[٣]، وسلاح العارفين الذكر فإذا هجم عليه جنود القهر يذكر الحق بوصف القدم والبقاء فتتهافت أوراق البلاء عن شجر

---

(١) رواه البخاري بلفظ: «أُحلت لي الغنائم» باب قول لنبي: «أُحلت لكم الغنائم» حديث رقم (٢٩٥٤) [٣/ ١١٣٥] والطبراني في المعجم الأوسط، عن أبي هريرة، حديث رقم (٧٤٧١) [٧/ ٢٦٩] ورواه غيرهما.

(٢) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٣) رواه ابن أبي عاصم في السنة، باب في فضل عمر بن الخطاب. . ، حديث رقم (١٢٥٤) [٢/ ٥٨٢] ولفظه: «والذي نفسي بيده ما سمع الشيطان صوت عمر أو حس عمر سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غيره».

www.alkottob.com

خاطره، كما وصفهم تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ۝٢٠١﴾ [الأعراف: ٢٠١]، وسلاح الموحد إظهار زمرد التوحيد لأفاعي بيداء الابتداء فإذا ظهر ذلك الزمرد انطمست عيون تلك الأفاعي لأنه متسلح بسلاح قوله تعالى[١]: «سبقت رحمتي غضبي»[٢]، قال العارف رضي الله عنه: سلاحي هو بهو لهو لأنه هو هو لم يبقَ في الربوبية إلا هو، الأزل في الأزل، والأبد في الأبد، أين أنا ولا أنا، من أنا من القدم والبقاء، أعوذ به منه لا بالغير.

الفصل الرابع والأربعون: في الانتقام

ينتقم العارف لله من نفسه ما باشرت بأحكام المخالفة بالرياضة الطويلة والمجاهدة الكثيرة ويحرقها بنيران الإخلاص والصدق ثم يفنيها بسيوف المحبة ويكسر أصنامها بأنفاس الغيرة، كما مدح الله سبحانه وتعالى خير فتيان المحبة خليله عليه السلام حيث قال: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾ [الأنبياء: ٥٨] وما ينتقم إلا بانتقام الحق لأنه: ﴿عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤] غيور ما يريد أن يرى في ساحة قلوب العارفين من غبار ذرة، وقال العارف رضي الله عنه: الانتقام لله يقهر الخصوم من النفس والشيطان والأغيار والانتقام لغير الله بقهر المنتقم لأجل ذلك روى في الحديث المرويّ أنه كان عليه السلام ما انتقم لنفسه قطّ.

الفصل الخامس والأربعون: في الاقتصاد

إذ ظهر أشكال المقادير في لباس الألطاف تبين طرق الرشاد إلى المرضيات للعقل وتبين للقلب سبل المقاصد الإرادية المقرونة بأقوم الطريق وتنكشف حقائق المعاملات للروح فتسبل سبل الأحكام التي تمهد بها إلى أشرف المعارف وأسنى الكواشف فصورة العبد تقع على موافقة الأمر بنعت الطرافة والخلق ونظهر منه صورة العقل بلباس العلم والعمل ليس بظالم مقصر ولا بسابق مستقيم، قال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر: ٣٢]، وقال العارف: الاقتصاد ظهور المراد بنعت الرضا بلا تعب.

---

(١) في الحديث القدسي.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، باب قول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١﴾ [البروج: ٢١]، حديث رقم (٧١١٤) [٦/ ٢٧٤٥] والطبراني في المعجم الأوسط، باب من اسمه إبراهيم، حديث رقم (٢٨٨٩) [٣/ ١٨٩] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

الفصل السادس والأربعون: في السبب

السبب مدارج المعاملات وهو نفس الإرادة فإذا صار الإرادة معاملة فصار العمل مرقاة للمقامات والمقامات طريقاً للأحوال والأحوال للزلفة والزلفة للدنو والدنو للمشاهدة والمشاهدة للمعرفة والمعرفة للمحبة، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ [الكهف: ٨٤، ٨٥]، وقال العارف: الذنب سبب غفران التائبين ورقة الفطرة سبب إرادة المريدين وصفاء الروح سبب ترقي المحبين والكرامات سبب بلوغ الراضين والجذب سبب عيش العاشقين وظهور أنوار العقل في الشواهد سبب طرب المشتاقين وبروز سناء الصفة في المستحسنات سبب أنس المستأنسين وكشوف تجلي الذات في عيون الأرواح سبب معرفة العارفين.

الفصل السابع والأربعون: في النصب

المبتدي في المعاملات سعى في أثقال الطاعات، إذا لم يكن على درجة الخشوع فإذا خشع عند بذل المهج يجد حلاوة التواضع بين يدي الجبروت فيلبسه الحق قوة الروحانية فيسهل عليه حمل الامتحان قال: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البَقَرَة: ٤٥]، ونصب الحالات لا يكون إلا لأهل الهيجان الذين يصعقون عن حمل الواردات وبرحا المشاهدات فإذا وقعوا في بحار الأنس يستريحون بروح الجمال ويتخفف عليهم جريان رَحى أنوار كشوف الذات والصفات ولا يبقى هناك لغوب ولا نصب، قال تعالى في وصف الحامدين الذين سكنوا منازل المشاهدات بلا نصب الامتحان: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر: ٣٤، ٣٥]، وقال العارف رضي الله عنه: النصب مسّ قهر الغيرة أبدان المريدين وأرواح العارفين.

الفصل الثامن والأربعون: في التلافي

كل طاعة فاتت فهي من جناية النفس وقصورها عن الإذعان عند شاهد الأمر وتلك دَأبُها فالقلب الحاضر في الحضرة إذا قوي بالذكر وصفا الهمة يأخذها بالجناية حتى تؤديها ما سرقت من أعيان المعاملة في ديوان المجاهدة والمراقبة وذلك لسرها عن الهجوم بنعت الغلبة على موارد الطاعات وهذا غاية سرّ المراقبة وعد الأنفاس وتطهير الفؤاد عن الوسواس، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المدَّثر: ٣٨]، قال العارف رضي الله عنه: التلافي أحد أزمة النفوس عن السرور في الفترة والاقتحام في مراعي الشهوة.

www.alkottob.com

الفصل التاسع والأربعون: في العذاب

عذاب المريدين صحبة الأغيار لأنه في منزل الصفاء، ورؤية أهل الجفاء تورث ضيق صدره وتوقعه إلى الفترة عن المعاملة وعذاب المحبين لبث الواردات لأنه يعيش بها في مقام المجاهدات، وعذاب العارفين احتجابهم عن مشاهدة جلال الحق تعالى لأنه يطير بأجنحة المكاشفات في عالم المعاينات فإذا انقطع عن الطيران صار عاجزاً حيراناً معذباً بأشد العذاب، قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المَائدة: ١١٥]، قال السري السقطي في بعض دعائه: إلٰهي مهما تعذبني بشيء فلا تعذبني بذل الحجاب، وقال يحيى بن معاذ في وصف المريدين: دونه الأغيار حمىّ الروح معاشرة الأضداد تمنع الرزق، وقال العارف رضي الله عنه: هو تعالى عذاب العارفين لامتناعه بنعت القدم عن مطالعة الحدث ووصوله إليه بنعت الإحاطة، قال الشبلي في بعض مناجاته: إلٰهي إن قصدتك طردتني وإن هربت منك طلبتني لا لي معك راحة ولا إلى غيرك أنس المستغاث منك إليك وهذا إشارة إلى مقام سيد المرسلين ﷺ حيث استعاذ منه بقوله: «أعوذ بك منك»[(١)].

الفصل الخمسون: في النجاة

إذا أراد الله بالعارف الصادق الحياة الطيبة شدّ نفسه بحبل الطمأنينة ودفع شيطانه عن صدره بشهب غيرته حتى لا يسترق سمع الحقائق عن أفلاك خواطره وأبرد الدنيا والخلق وما فيها على خاطره حتى لا يطيق أن ينظر إليها إلا بنظرة الاعتبار، ثم قدس أسراره عن الالتفات إلى الحدثان وحفظه عن الفترة وأشده إلى أوضح مناهج المشاهدات وأنسه بقربه وأجلسه على بساط انبساطه ونشقه رائحة ورد الأنس في مقام القدس ولا يجري عليه أحكام الغيرة والامتحان ويبقيه في مشاهدة البقاء ووقاه عن الاحتراق في نيران الكبرياء والعظمة وأراه نفسه كما يريد منه أن يراه ولا يقطعه طرفة عين عن وصوله وأنس مناجاته ولذائذ مشاهداته وهذا غاية النجاة منه، قال الله سبحانه وتعالى لكليمه: ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠]، وقال في حق أيوب عليه السلام حين أخرجه من مكايد الامتحان وبلغه إلى مشاهدته وقربه وأنسه: ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [الأنبياء: ٨٤]، وقال في حق يونس عليه السلام: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ [الأنبياء: ٨٨]، وقال العارف: النجاة منه لا تكون إلا به وأصل النجاة الخروج من النكرة إلى المعرفة.

---

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه، باب الدعاء في السجود حديث رقم (٦٧١) [١/ ٣٣٥] والنسائي في السنن الكبرى، ماي قول في آخر وتره، حديث رقم (١٤٤٤) [١/ ٤٥٢] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

الباب الرابع

في مقامات الصديقين وفيه خمسون فصلاً

الفصل الأول: في مقام الاعتبار

العقل الصافي إذا تنوّر بنور الإيمان والإيقان، ويلتبس بصفاء العرفان كحل عينه بسناء التوحيد، ويتحرك من عالم الفطرة، ويدور في عالم تخليقه، ويطلب حكم الغيب في حسن اصطناع الربوبية، ويرى في مرآة الكون أشكال الملكوت، ليقيس أنوار الجبروت، ويلتقي بها إلى رفارف القدس ورياض الأنس، فإذا عرف أحكام الفعليات، ويستبدل الأشياء على الأشياء، ويرى من الأشياء موجدها، بلغ إلى أحكام المعرفة، وعرف المعروف بأنوار فعله وصفاته، قال الله تعالى: ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢]، وقال حارث المحاسبيّ: الاعتبار الاستدلال بالشيء على الشيء، وقال قوم: الاعتبار ما وضح فيه الإيمان واستتر فيه المعقول، وقال قوم: الاعتبار ما نفذ في الغيب ولم يرده مانع، وقال العارف رضي الله عنه: الاعتبار جولان العقول في الشواهد لاقتباس أنوار الصفات من مشكاة الأفعال.

الفصل الثاني: في المراعاة

المراعاة مراقبة العارف ما يبدو من الغيب من أحكام القهريات واللطفيات في القلب والنفس فكل شيء يتعلق بأوصاف البشرية تردها بأنفاس المعرفة إلى النفس، وتقدس بمياه الهمة كلّ خاطر دون الحق منها، وما يظهر من بوادي الحق تربية بجمع الهمة ويقره في مقام الذكر وصميم العقل لينور به طرق الحقائق، قال الله تعالى في ذنب من لم يراعِ أحكام معارفه: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧]، فمن قصد في جريان أنفاسه مراعاتها حتى لا يصعد من قلبه نفس إلا بتجريده عن ذكر ما دون الحق يقع في مراعاة الحق سبحانه وتعالى ويكون محفوظاً بعين الأزل عن جميع الزلل، ألا ترى كيف وصف الحق سبحانه صدّيقه يوسف عليه السلام: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف:

www.alkottob.com

٢٤]، وقال العارف رضي الله عنه: المراعاة دور العقل حواشي القلب لدفع الخطرات لئلا يدخل خيال في منازل الصفات.

الفصل الثالث: في الإرادة

من تنبه من نوم الغفلة يطارق الحرقة وينزجر مساوي الأفعال بزواجر الحقيقة ويرى نفسه هاربة عن مقام العبودية وقلبه محجوباً عن عرفان الربوبية يقبل إلى عالم الأمر ويطلب طرق الرشاد بنور العقل والإيمان من كل من له فهم من الله تعالى فإذا وقع في الهيجان ويهجم عليه واردات الغيب يروم بجميع القلب مشاهدة الرب سبحانه وتعالى فيصير مريداً لمراده وأسيراً على بابه ومذبوحاً بسيف محبته ومطروحاً على فناء قهره ولطفه لا يجري عليه من أحكام النفس والهوى شيء إلا ويحرق نيران أنفاسه فإذا رآه الحق بهذه النعوت أعانه على استفادة معاني الغيب حتى يصير حامياً على لطائفها وحاوياً لا يراعِ كرائمها ومراعياً لخصائصها فيبلغ بعدها حقيقة الإرادة وما يريد من الحق إلاّ مراده فهذه الأوصاف منه بأسرها إرادة المريدين ومنهج السالكين وطريق الراشدين ومدار جميعها جذبة العشق وإصابة نيران الشوق إلى الفطرة المستعدة للمعرفة، قيل: الإرادة اهتياج اللب وانزعاج القلب، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزُّمَر: ٢٢]، وقال العارف رضي الله عنه: الإرادة بديهة وقوع المحبة من الربّ في القلب.

الفصل الرابع: في البداية

إذا طلعت شمس الحقيقة في القلب وأنورت مشرق العقل واستوت في فلك الروح وأغارت ظلام ليالي الهجران يرى العقل بنور الغيب طرق المعرفة فيسلكها بمراكب الفكر والذكر، وتهيج من سويداء القلب عزائم المحبة في سلوك طرقات الغيب، ويتكلف فؤاده لطلب حظّ المشاهدة، ويستعمل القلب الإحساس والجوارح بآداب المنقطعين إلى الله، ليتأدب المتأدب بآداب المرسلين، ويطلب ولياً من أولياء الله الذي يتجلى الحق سبحانه من وجهه لهذا المبتدي، ويترك قبلة الأنام التي تأهبت النفوس في بيداء شهواتها، ويقبل إلى قبلة الأزل، ولا يزيغ بصره إلى غير الأزل قال الله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البَقَرَة: ١٤٨]، قال العارف رضي الله عنه: البداية تهزز السر إلى أعمال البر وإقبال القلب إلى مشاهدة الرب.

www.alkottob.com

الفصل الخامس: في الصفاء

للنفس صفاء وهو صفاء الفطرة وللقلب صفاء وهو صفاء الجبلة وللروح صفاء وهو صفاء الخاصة وللعقل صفاء وهو صفاء الاستعداد وللصورة صفاء وهو صفاء الخليقة، فإذا اطمأنت النفس صارت مصفاة بصفاء الخوف وهو أصل الطمأنينة التي وصفها الحق بقوله: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ [الفَجر: ٢٧]، وإذا صفا القلب بصفاء الذكر صار مصفا بطمأنينة الذكر التي وصفها بقوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرّعد: ٢٨]، وإذا صفت الروح بأنوار الحضرة صارت مصفاة بنور الغيب، قال الله تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النُور: ٣٥]، وإذا صفا العقل بنور الآيات صار مصفاً بكشف الأفعال، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ٥٤]، وإذا صفت الصورة بصفاء المعاملة صارت مصفاةً بسيماء الملائكة والروحانيين، قال الله تعالى: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ [البَقَرَة: ٢٧٣]، قال: ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفَتْح: ٢٩]، فإذا كملت هذه الصفات صارت مشكاة صافية يقع عليها صفاء المعرفة المستفادة عن مشاهدة المعروف وذلك أصل جميع الصفات، قال الله تعالى: ﴿جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النُور: ٣٥]، قال العارف رضي الله عنه: الصفاء صفاء العقل في الخليقة وصفاء العبادة في الشريعة وصفاء الصفة في الحقيقة وصفاء الملكوت في العقول وصفاء المشاهدة في الأرواح، وأصل الصفاء نور الغيب الذي يظهر من الحق بواسطة العقائد والعزوم.

الفصل السادس: في الفتوح

فتوح النفس هو الكرامات وفتوح القلب نور الصفات وفتوح الروح مشاهدة الذات وفتوح السر وقوع أنوار المعرفة والتوحيد على الأزل والأبد وفتوح العقل ظهور كاشفات الملكوت والجبروت، وهذه الفتوح خارجة عن اكتساب الإشارة، قال الله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فَاطِر: ٢]، قال العارف رضي الله عنه: فتوح المريدين الواردات وفتوح المحبين كشف الصفات وفتوح العارفين ظهور الذات وفتوح الموحدين بروز السرمدية والأبدية فوق ذلك وفتوح الخطاب الذي لا يصدر إلا للفاني عنه به الباقي بعد فنائه ببقائه وهنالك مشارب طيور الأرواح الساكرة بأشربة الوحدة، قال بعضهم: الفتوح على ثلاث مقامات: فتوح العبادة في الظاهر وفتوح الحلاوة في الباطن وفتوح المكاشفة في السر.

www.alkottob.com

الفصل السابع: في الرحمة

رحمة الله صفته قيل من صفة الفعل وقيل من صفة الخاصة الذاتية، فإذا كان من صفة الفعل فهي واسطة بين الذات والصفات كالخالق والرازق يتعلق ظهوره في الشواهد بأمور الإضافية، وهي بمجموعها تصدر من صفة الإرادة والقدرة، وإن كانت من صفات الخاصة الذاتية هي تتعلق بانكشاف صفاته لما يريده ورحمة الله تعالى إرادة الخير والنعمة والإحسان لمن يرحمه، وهي كانت قديمة سابقة على الغضب القديم فيما أخبر نبيه ﷺ عن الله سبحانه وتعالى بقوله: «سبقت رحمتي غضبي» وإنما جميع صفاته ظهر في عين الرحمة حين أوجد الخلق لأنها عين الجمع، كان في الأزل إذا أراد إيجاد الخلائق تجلى من جميع الذات لجميع الصفات، وتجلى من جميع الصفات لعين الرحمة، ثم رحمته تجلى للعدم بعين القدم فأجاد الخلق فإذا صدرت الأكوان من عين الرحمة، قال تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [القَصَص: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [البَقَرَة: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ [النُّور: ٢١]، وقال تعالى لنبي الرحمة وصفي المملكة صلوات الله عليه: «لولاك لما خلقت الكون» وفي رواية: «لولاك لما خلقت الأفلاك»[1] لأنه كان رحمة لجميع الخلائق ولأجله خلق الخلائق حيث وصفه الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وكلّ من بلغ إلى معرفة فهو يتصف بصفاته لتجلي المعروف بنعت المعرفة لقلبه فيصير رحمة لعباده وبلاده، كما وصف النبي ﷺ المصطفين من أوليائه حيث قال: «بهم تمطر وبهم تنبت وبهم تدفع البلايا»[2] ورحمة الأولياء رقة قلوبهم على جميع الأنام، قال عليه السلام: «إن في أمتي أقواماً أفئدتهم كأفئدة الطير ورحمتهم من كمال أخلاقهم لأن فطرتهم خمرت بمياه الرحمة لا يتولد من مشكاة إحسانهم إلاّ ضوء بمصباح أنوار تجلي الحق بنعت الكريم لأنهم متخلقون بخلق الله»[3] قال عليه السلام: «تخلّقوا بأخلاق الرحمٰن»[4]، وفي الحديث المروي قال عليه السلام: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا

---

(١) أورده علي الهروي في المصنوع، [١/ ٢٥٤].

(٢) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر بهذا اللفظ.

(٣) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٤) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[١]، وقال العارف: الرحمة خلق القدم لأهل العدم.

الفصل الثامن: في الاستعانة

لا يعرف العبد موضع الاستعانة لأن الاستعانة مقرونة بالمعرفة وهي تصدر على الواقعة الغيبية الإرادية بنعت مراد الله منه، فإذا عرف الحق وأمره يستغرق في بحر قدره جلّ سلطانه، ويفنى العبد بنعت التذلل والخشوع في بوادي أوامره ونواهيه لأنّ هناك تهب عواصف الامتحان عن بيداء قدم الرحمٰن، ولا يبقى على صفوان الأزل غبار أهل الأجل، فيعرف عجزه عن حمل موارده منه لتعينه في إثباته إلى امتثال أمره بآلة اكتساب الإنسانية المقرونة بنظر الرحمانية، ويعرف كيفية التطرق إلى طرق السعادة بلا شقاوة، وإلى وصال بلا فراق، ولما علم سبحانه عجز عباده عن الإقامة بأداء هذه الأمور الثقيلة الكاسرة أطباق الأكوان برزانة عظمها وجلال قوتها لأنها أمانة القدم، فالسموات والأرضون والجبال والبحار: ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، علمهم عند مباشرتهم الأمر القديم في نصب العبودية للربوبية بقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفَاتِحَة: ٤]، وذلك أوى عليه السلام عند رؤية الأمر منه إليه من كمال معرفته به وبأنه علم من نفسه عجزها عن حمل أوقار مقاديره التي وصفها الحق سبحانه عند إيقاعه على ظهر نبوته حيث قال: ﴿أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشّرح: ٣]، بقوله: «أعوذ بك منك لا أُحصي ثناء عليك»[٢] فرفع الله سبحانه عن ممكنات أمره إذا ورد على نبيه المختار أثقال قوله: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المُزمّل: ٥]، حيث تلطف بخطابه وتعطف عليه فقال: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ [طٰه: ١، ٢]، وقال العارف: الاستعانة التذلل في العبودية بنعت المعرفة بالربوبية في الجبرية.

الفصل التاسع: في الهداية

إذا هيئت الخلقية لاستعداد إدراك المعرفة وكحل عين العقل بكحل البرهان وكسى القلب كسوة الصفاء وألبس الروح سناء الغيب صار العبد مستعداً لجذبة الحق

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب رحمة الناس والبهائم، حديث رقم (٥٦٦٥) [٥/٢٢٣٨] ومسلم في صحيحه، باب تراحم المؤمنين..، حديث رقم (٢٥٨٦) [٤/١٩٩٩] ورواه غيرهما.

(٢) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

مستنشقاً لنفحات الحق، فإذا اتهب رياح السعادة من حضيض قاف العناية وتأتي إلى قلبه روائح ورد المشاهدة، ظهرت الهداية وبرزت أنوار الكفاية من مشارق الغيب، قال تعالى: ﴿يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النُور: ٣٥]، ثم أعلام الهداية أن تصدر منه موافقة الكتاب والسنة في جميع حركاته وسكناته، قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابُن: ١١] قال سهل بن عبد الله: الدعوة عامة والهداية خاصة، وأشار إلى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [يُونس: ٢٥]، رد المشيئة في باب الهداية إلى نفسه تعالى ومن باب الموافقة التي تورث الهداية، قوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النُور: ٥٤]، وعدهم الهداية بطاعة نبيه ﷺ، وقال العارف رضي الله عنه: الهداية إصابة نظر الروح إلى حقائق الغيب.

الفصل العاشر: في المتابعة

إن الله تعالى فطر بقدرته فطرة الخليقة مستعدة لنيل السعادة الأخروية وهي معرفته ومحبته، قال الله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الرُوم: ٣٠]، وهذه الفطرة خلقت لقبول ما جرت في السنة الإلَهية في الكتاب وعلى لسان نبيه، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، لأنه طيب الخليقة ودليل الطريقة وشارع الشريعة يربي ما صدر من الغيب من النطف المركبة على صورة الإنسان بلطائف حكمه وغرائب ما أوحى الله إليه من كلامه القديم ليبلغها بهداية الله تعالى وعونه إلى معادن السعادة التي في الغيب أوطانها، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ﴾ [هُود: ١٠٨]، لأنها معدن الأرواح القدسية ترجع إليها بالمراكب النبوية التي هي الكتاب والسنة لأجل ذلك قال عليه السلام: «كلّ مولود يولد على الفطرة»[1]، وطبع الإنسان مجبول بالسعادة والشقاوة سعادته تربيته في الإسلام والشريعة وشقاوته تربيته في الكفر والضلالة كما أشار عليه السلام: «فأبواه يهودانه أو ينصرانه»[2] ذلك أمر الله سبحانه وتعالى بطاعته وطاعة رسوله بقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [النُور: ٥٦]، فصار الأسوة والاتباع والطاعة لأمره واجباً على جميع الخلائق لأن بطاعته ينالون الدرجة القصوى من محبته وزلفته بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: ٣١]،

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

(٢) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

سئل ذو النون بمَ عرفت الله؟ قال: عرفت الله بالله، وعرفت ما سوى الله برسول الله ﷺ، وقال سهل: كل وجد لا يشهد به الكتاب والسنّة فهو باطل، وقال العارف رضي الله عنه: المتابعة وقوع حافر الحقيقة على حافر الشريعة.

الفصل الحادي عشر: في الثبات

الثبات شطر من حدّ الاستقامة ولا يحصل القلب الثبات إلا بارتباطه بأوتاد نور المحبة والشوق والعشق والمعرفة بالله وبآلائه وبأفعاله وصفاته ووعده ووعيده بكتابه وسننه وخطابه وإلهامه وواردات الغيبة بنعت المواجيد بعد الرياضية والمجاهدة ومقابلة نسخه درج أسراره بنسخ سنن الأنبياء والأولياء كما أخبر الله سبحانه وتعالى لنبيه عليه السلام بقوله: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هُود: ١٢٠]، فإذا حصل هذه الحقائق يثبت القلب في المقامات والرياضات والمعاملات، وإذا تمكن في هذه المنازلات يثبت أيضاً في كشوف المغيبات وأحكام المداناة وأسرار المشاهدات عند ظهور سطوات أنوار الذات والصفات وظهور خزائن عجائب الملكوت والجبروت، ولا يجري عليه أحكام الاضطراب والفترة والتردد، قال الله تعالى لنبيه عليه السلام: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٤٧]، أراد به أمته أي قل لهم اثبتوا عند عواصف القهريات لأن فيها عجائب اللطفيات، قال الله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الأنفَال: ١٢]، ثم أضاف ثبات قلوبهم بالإيمان والإيقان إلى نفسه فرفع تكلف العباد عن هذه الإشارة، قال سبحانه: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، قال العارف رضي الله عنه: الثبات للمريدين سكونهم في المجاهدات والثبات للمحبين سكونهم في الحالات والثبات للعارفين سكونهم في المشاهدات.

الفصل الثاني عشر: في الطهارة

لما خلق الله سبحانه وتعالى طباع الإنسانية جعلها عرصة للقلوب ومزرعة للصدور وبذر فيها حبات الغيوب من أخلاق الروحانيات والنفسانيات لتنبت في منابت الإيمان والإيقان نبات الأخلاق الكريمة والسجيات المذمومة امتحاناً واختياراً وجعلها مقرونة بأسرار إلهام القهريات واللطفيات وإنباتاً من هذه الإشارة بقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس: ٨]، وقال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هُود: ٧]، وقال

www.alkottob.com

عليه السلام: «إن في جسد بني آدم لمضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله»(١)، ثم إن الله أمر عباده بقلع بذر السجية النفسانية مثل البخل والحسد والكبر والعجب والبغي والغضب والشهوة والعداوة والشحناء والبغضاء والشرك والشك والرياء والسمعة والكفر والنفاق وحب الجاه والمال بقوله: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [التحريم: ٦]، وألطف بكلامه مع نبيه عليه السلام وأشار إلى أمته وقال: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾ [المدثر: ٤،٥]، أراد بالثياب أثواب الخليقة ويطهرها بمياه القرآن بنعت مباشرة أوامره ونواهيه، قال الله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ [الأنفال: ١١]، وقال: ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا﴾ [الفرقان: ٤٨]، وشبّه القرآن بالماء لأنه يطهر القلوب من هذه الدنسات كما يطهر الماء نجسات الأبدان، ثم بيّن أن من زكّى به نفسه عما ذكرنا أفلح وأنجح ومن ترك نفسه حتى تخفى هذه الشواغلات في مزارع الطاعات هلك وخاب عن جميع المراد بقوله: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٩، ١٠]، ثم مدح المتطهرين عن هذه العلل بأحسن المدح وبيّن أن جزاء طهارتهم محبة وقربة فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

فافهم أن الله تعالى اصطفى قلوب الأولياء والصديقين ونظر إليها لتجلي قدسه فطهّرها به عن لوث الطبائع وجعلها مرأى المكاشفات والمعاينات والفراسات وسبب نظرهم إلى المؤمنين طهارة لقلوبهم عن هوى النفوس ورجس الشياطين وهم أهل القدم تطهرت أرواحهم بتنزيه القدم وتقدست أجسامهم عن آثام اللئام، قال العارف: طهارة المريدين عن حبّ الدنيا وطهارة المحبين عن حبّ أنفسهم وطهارة العارفين عن حبّ ما دون الحق.

الفصل الثالث عشر: في الصلة

صلة النفوس إلى الطاعات وصلة القلوب إلى المراقبات وصلة الأرواح إلى المشاهدات وصلة الأسرار إلى المعاينات وصلة الأبدان إلى خلقة رجال الرحمٰن فإذا كملت هذه الصلاة في العبد ثم صلة رحمة مشتقة من الرحمٰن، قال عليه السلام:

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم (٥٢) [١/ ٢٨] ومسلم في صحيحه، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، حديث رقم (١٥٩٩) [٣/ ١٢١٩] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

«الرحمة شجنة من الرحمٰن»، فقال الله: «من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته»[١]، قال: «الرحم معلقة بالعرش يقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله»[٢]، وقال عليه السلام: «لا يدخل الجنة قاطع رحم»[٣]، ألا ترى كيف عين الله سبحانه قاطعين الرحم بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [البَقَرَة: ٢٧]، قال العارف: الصلة صلة القلوب إلى الغيوب، وصلة الجذب إلى القلب، وصلة الأنوار إلى الأسرار، وصلة الأرواح إلى عالم الأفراح.

الفصل الرابع عشر: في الرزق

للنفس رزق وهو حظوظها من الدنيا وما فيها، وللقلب رزق وهو ذكر الله تعالى، وللروح رزق وهو مشاهدته سبحانه، وللسرّ رزق وهو وصل قرب قربه، وهذه الأرزاق تأتي من سماء القيومية وبحار الأبدية في لباس أصداف فطرة الأقدار، قال الله تعالى: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات: ٢٢]، وهي مقسومة بقدر حواصل أطيار الأرواح، قال تعالى: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحِجر: ٢١]، قال عليه السلام: «الرزق مقسوم وهو أشدّ مطلباً للعبد»[٤]، من أجله حكي عن أبي يعقوب أنه قال: اختلف الناس في طلب الرزق فقال قوم: سبب الرزق التكلف والعناية وهو قول القدرية وصدق، لأن سبب الرزق الخلقة، قال سبحانه: ﴿خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ [الرُّوم: ٤٠] خصّ الرزق بخلقته لا بتكلف الخليقة، وقال العارف: حقيقة الرزق فيض فيّاض القديم حيث ارتحلت لجج أبحر ألطافه إلى سواحل إنعامه.

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة بلفظ: عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «إن الرحمة شجنة آخذة بحجرة الرحمٰن تصل من وصلها وتقطع من قطعها»، «الرحم شجنة الرحمٰن أصلها في البيت العتيق فإذا كان يوم القيامة ذهبت حتى تناول بحجرة الرحمٰن فتقول هذا مقام العائذ بك فيقول مماذا وهو أعلم فتقول من القطيعة»، إن الرحم شجنة آخذة بحجرة الرحمٰن تصل من وصلها وتقطع من قطعها» حديث رقم (٥٣٧) [١/ ٢٣٧].

(٢) رواه مسلم في صحيحه، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، حديث رقم (٢٥٥٦) [٤/ ١٩٨١] وابن حبان في صحيحه، باب صلة الرحم وقطعها، حديث رقم (٤٤٤) [٢/ ١٨٨] ورواه غيرهما.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، حديث رقم (٢٥٥٦) [٤/ ١٩٨١] وأبو داود، باب في الشح، حديث رقم (١٦٩٦) [٢/ ١٣٣] ورواه غيرهما.

(٤) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

الفصل الخامس عشر: في الفلاح

لما خلق الله سبحانه الأرواح المقربة فناداها إلى ساحة الكبرياء وأراها مفاوز القهريات وأمرها باقتحامها، فآوت الأرواح إلى أكناف ألطافه وفرّت منه إليه فطيّرها الله عليها بأجنحة السعادة والكفاية، وعرفها أحكامها وجعل معرفتها لها وسيلة إلى كمال معرفتها بصفاته وذاته، قال سبحانه: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريَم: ٧١]، ألا من لم يعرفني بالقهر لم يعرفني باللطف، ثم فتح أبواب الوصلة بعد نجاة الأرواح من مكر القدم وأحضرها في بساتين وصاله، وقال: ادخلوا جنة مشاهدتي لا عناء عليكم بعد أنتم أهل بساط كرامتي أفلحتم بكرمي من عذابي أبداً. ثم وصفهم بزكيات الأعمال وسنيات الأفعال وعلامة لسبق عنايتهم وسمة لقبول طاعتهم في كتابه القديم حيث لم يكونوا موجودين فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: ١، ٢]، جمع أوصافهم في هذه الآية تشريفاً وتوفيقاً لهم، وقال عليه السلام: «إن الله خلق الخلق في ظلمة فألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضلّ»[(١)]، فلذلك أقول: جفّ القلم على علم الله، أظهر عليه السلام وجه فلاح الصديقين والمؤمنين ولا تغير يا أخي ما ترى من عجائب التغيرات من أولياء الله فإني سمعت أنّ يوسف بن الحسين رحمة الله عليه ذكر فقال: خدمت سبعين حبراً أصغرهم ذو النون فقالوا كلهم لي لا نفلح أبداً فذكر هذه الحكاية كل وقت وبكى، فسئل عن الشيخ أبي عبد الله بن خفيف بمَ بكاؤه قال: ترحماً عليهم كيف أخطأوا في فراستهم، قال العارف: أصل الفلاح نسيان الدارين في مشاهدة القديم الأزلي السرمدي لأن من وصل إليه لم يهلك أبداً.

الفصل السادس عشر: في التهديد

التهديد حراسة الله سبحانه وتعالى عباده المصطفين عن مساوي الآثام وسراق الشيطان وغوائل الطغيان لئلا يباشر العبد معصيته فيحجب عن مشاهدته ووصلته وكل وقت يكون دليلاً بين يدي عظمته ليعرف به خصائص العبودية وعجائب الربوبية ويصير مهذباً عن أوصاف البشرية منوراً بنور جلاله وجماله، قال تعالى: ﴿وَارْتَقِبُوا إِنِّي

(١) أورده الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، الأصل السابع والثمانون والمائتان [٤/ ١٩٩] وأبو العلا المباركفوري في تحفة الأحوذي، رقم (٢٤٩٥) [٧/ ١٦٦].

www.alkottob.com

مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [هُود: ٩٣]، وقال عليه السلام: «اتقوا عباد الله»[١]، وقال العارف: التهديد أزمة النفوس شددت بها عن الدخول إلى الموبقات.

الفصل السابع عشر: في الاقتداء

أمهد الله سبحانه طرق الرشاد للمريدين السالكين منهاج الطريقة والحقيقة في أسوة نبيه وقدوته وزيّنها بأسواق الشرائع ووضع مراسمها بأنجم أبراج السعادة من أصحابه وأولاده، قال عليه السلام: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»[٢]، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزَاب: ٢١]، ليسلكها السالك بلا خوف ولا تردد ولا شك في بلوغ مقاصد الغيب، قال الله تعالى: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦]، لأنه ﷺ مرآة لشوق الحقائق من نظر فيها يرى برهان الربوبية في العبودية ولا يخطىء في العزيمة ولا يتخبط في ظلمات البغي لأن الله تعالى أوضح طرائق المعرفة بشرح رسالته وشموس هدايته وأقمار دلائل نبوته من تابعه: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦]، وهو مقام الواسطة إلى معرفة القديم لأن المريد لم يبلغ إلى مراده إلا بإرشاد صاحب دولة بعد توفيق الله تعالى، هكذا جرت سنة الله: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزَاب: ٦٢]، ألا ترى كيف أرسل كليمه إلى صحبة الخضر وشعيب عليهم السلام مع كمال قوته في المعرفة وذلك لأن المقتدي ضعيف البصر لا يطيق أن يبصر عين المشاهدة إلا في مرآة المهتدي، ولذلك قال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: ٣١]، ولذلك قال عليه السلام: «بعثت بالحنيفية السهلة السمحة البيضاء»[٣] وقال من غيرة المعرفة: «لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي»[٤]، قال أبو عثمان الحيري رحمة الله عليه: من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة ومن أمر

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٢) أورده الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، الأصل الثاني والعشرون والمائتان، [٣/ ٦٢] ورواه ابن منده في الفوائد، الصحابة كالنجوم، حديث رقم (١١) [١/ ٢٩] والحديث عند غيرهما.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم (٧٧١٥) و(٧٨٦٨) و(٧٨٨٣) [١/ ١٧٠ و٨/ ٢١٦ و٨/ ٢٢٢] وأحمد في المسند عن أبي أمامة، حديث رقم (٢٢٣٤٥) [٥/ ٢٦٦] ورواه غيرهما.

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان، باب الدعاء إلى الإسلام، حديث رقم (١٧٦) [١/ ١٩٩ - ٢٠٠]. وأورده ابن حجر العسقلاني في الزهر النضر في أخبار الخضر، ذكر من ذهب إلى أن الخضر مات [١/ ٨٧] والحديث عند غيرهما.

www.alkottob.com

الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النُّور: ٥٤]، ولما رأى النبي ﷺ طريق سيدي كهول أهل الجنة أنه أوضح الطرق خصهما بالاقتداء فقال: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر»(١)، وقال يوسف بن الحسين الرازي زاد الله قربه: اقتدوا بكل ما رأيتم مني إلا بشيئين لا تستدينوا على الله تعالى ولا تصحبوا المردان، قال العارف رضي الله عنه: الاقتداء اقتباس نور الوسائط زيادة على نور مصباح الإرادة.

الفصل الثامن عشر: في الآخرة

إذا قطع المريد حجب الدنيا وخلّص النفس من الهوى يبلغ باب القلب، فإذا فتح باب قلبه بمفتاح العبودية، ويدخل منظر الروح، ويرى عالم العقل وأنوار الغيب وعرائس الإيمان والإيقان، ويبصر في مرآة الفؤاد حقائق أشكال الملكوت، وقد وصل إلى الآخرة لأن هناك عالم الصغير فيه الجنة والنار والقيامة والحساب والعرش والكرسي والمرافق والدرجات والترقي والحالات والحور والقصور والقرب والوصال والكشف والمشاهدة، لأن القلب غيب وفي الغيب غيب وفي غيب الغيب حجب الكبرياء والعظمة والعزة والسرمدية والأزلية، من عرف تلك المواقف القدسية عرف الآخرة وما فيها، قال عليه السلام: «جوّعوا بطونكم وعطّشوا أكبادكم تروا الله بقلوبكم»(٢)، وقال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فُصّلَت: ٥٣]، وقال عليه السلام: «الجنة والنار أقرب إليكم من شراك نعلكم»(٣) وأشار بقوله إلى القلب وما فيه، قال العارف رضي الله عنه: الآخرة مكشوفة في مرآة قلوب الأولياء ولا يكون ذلك إلا في منازل المراقبات، ألا ترى كيف سأل النبي ﷺ من الحارثة: لكلّ حق حقيقة فما حقيقة إيمانك؟ قال: «عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري وكأني أنظر إلى عرش ربّي بارزاً وكأني أنظر أهل الجنة في الجنة يتزاورون وأهل النار في النار يتعاوون» قال عليه السلام: «عرفت فالزم»(٤).

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، عن حذيفة، حديث رقم (٣٨١٦) [٤/١٤٠] والهيثمي في مجمع الزوائد، باب فيما ورد من الفضل لأبي بكر وعمر. . ، [٩/٥٣] ورواه غيرهما.

(٢) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٣) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير، عن الحارث بن مالك الأنصاري، حديث رقم (٣٣٦٧) [٣/٢٦٦] والبيهقي في شعب ا»لإيمان، فصل فيما بلغنا عن الصحابة رضي الله عنهم، حديث رقم (١٠٥٩١) [٧/٣٦٣] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

الفصل التاسع عشر: في الحمية

للنفس حمية وهي عصبية الجهل وتلك مذمومة ممنوعة، قال الله تعالى: ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [الفَتْح: ٢٦]، مداواتها ترك صحبة أهل الدنيا وما فيها، وللقلب حمية وهي غيرة خلقها الله تعالى في قلوب الصديقين تهيج عند غلبات النفس والهوى وتضرب تراب المجاهدة في عين النفس والشيطان وتقطع أعناق خيول الخيال الطبيعي، ألا ترى كيف وصف الله سبحانه سليمان عليه السلام حين فات صلاة العصر عنه في رؤية الجياد قال: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ۝٣٣﴾ [ص: ٣٣]، وهذا من غاية غيرة التوحيد، قال عليه السلام: «من لا حمية له لا دين له»[1]، والحمية صفة القائمين بالقسط لله على مقام العبودية لا يبلغها إلا صاحب هيبة بها من الله تعالى في طريقه، قال العارف رضي الله عنه: الحمية دفع الخطرات في مقام المناهاة عن موضع تجلي الصفات.

الفصل العشرون: في المبايعة

المبايعة استكبار قوة الطاعة في محاربة العدو من الإخوان ولا يكون ذلك إلا للصديق إلا إذا عرف العدو من النفس والشيطان والدنيا والطبيعة ومكر مخائيلهم فيها وهو يقوى بقوة الإخوان في الله، قال الله تعالى: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البَقَرَة: ٨٧]، وقال عليه السلام: «المرء كثير بأخيه»[2] وإذا هاج سر الإرادة وصفا المحبة في قلب الصادق ثوّب إلى صحبة الأولياء ويطلب منهم المعونة في طاعة الله ويبايعهم فيها ليعينوه ولا يخذلوه لأن هناك في صفقة أيديهم في الأخوة تركه يد لطف الله، قال الله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفَتْح: ١٠]، قال عليه السلام: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله»[3] الحديث، قال العارف رضي الله عنه: المبايعة وثيقة الله في يد السالكين.

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٢) رواه القضاعي في مسند الشهاب، باب (١٢٦ المرء كثير بأخيه) حديث رقم (١٨٦) [١/ ١٤١] والديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، حديث رقم (٦٦٢٥) ورواه غيرهما.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في أبواب عدة منها: باب من الدين الفرار من الفتن، حديث رقم (١٨) [١/ ١٥] والحاكم في المستدرك على الصحيحين، تفسير سورة الأنعام، حديث رقم (٣٢٤٠) [٢/ ٣٤٨] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

الفصل الحادي والعشرون: في البيع والشرى

إذا خرجت الأرواح من أكناف الغيب طلب الحق تعالى منها النفوس الهاربة من عبوديته فبذلتها الأرواح بين يدي الجبروت في سرادق الملكوت فقالت العبد وما يملكه لمولاه، وقال تعالى: «بايعوها مني لتذبحوها بسيوف المحبة والمجاهدة والرياضة في ميادين جبروتي لئلا يكون في عزة فردانيتي من يشرك بي» فباعت الأرواح النفوس بثمن الوصلة ومتاع المعرفة في ديوان المشاهدة قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾ [التوبة: ١١١]، فاشتراها الحق منها بجنة وصاله وجنات قربه، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]، والبيع والشرى يكونان للعارف في مقام الانبساط، وفي الأثر: «المساجد سوق الله تعالى ادخلوها واشتروا جنة الله بطاعته»[١]، قال العارف رضي الله عنه: البيع والشرى في مقام العتاب والبسط والثواب.

الفصل الثاني والعشرون: في الربح

إذا بذلت نفسك إلى الله تجد من الله تعالى مكان نفسك للكرامات والآيات ولا تسكن بهما فينفتح لك أبواب العنايات وترى ربح معاملتك مع الله من ربحها قبولك بين يدي الله بالولاية والكفاية ويكشف لك صناديق كنوز عجائب الغيوب ويغنيك بها عما في يدك من المكونات، ومن لم يكن في دعوى محبته بهذه الصفة ويتقاعد في مقاعد الخائبين فيكون من الذين عيّرهم الله سبحانه بقوله: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦]، ولما رجع صهيب إلى النبي ﷺ من مكة فاتبعه نفر من قريش وخاصموه فاشترى نفسه منهم بماله في مكة فقال النبي ﷺ: «أبا يحيى! ربح البيع، ربح البيع أبا يحيى!»[٢] فأنزل الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البقرة: ٢٠٧]، قال العارف رضي الله عنه: الربح ما تريد بالواقعة من واردات الغيب عند بذل الأرواح.

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير، عن صيفي بن صهيب عن صهيب، حديث رقم (٧٣٠٨) [٨/ ٣٦] والسيوطي في الدر المنثور، قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧] [١/ ٥٧٧] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

الفصل الثالث والعشرون: في التجارة

التجارة مقام الصديقين لأنهم في مقام البسط والتمكين يجوز لهم التصرف في الدنيا لأنهم خزّان الله تعالى في بلاد الله لعباد الله لا يجري عليهم تغيير النفس ولا يدخل في عقد محبتهم نقص الهلاك، ألا ترى كيف كان سليمان عليه السلام في الملك ويوسف عليه السلام في الملك ونظرائهم من الأنبياء عليهم السلام كيف كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه في زمان خلافته يبيع الكرباس في السوق مع جلالته وهذا مقام لا يكون إلا لنبي أو صديق، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال عليه السلام: «يا تجار كلكم فجار إلا من أخذ الحق وأعطى الحق»[١] وصف القائمين بالنفس والهوى والقائمين بالحق بنعت الرضا وكان عليه السلام في زمان تمكينه جمع عليه من أموال قريظة وبني النضير وفدك وخيبر وكان له الحلة والسيف الذي كان في قرابه فضة والستور التي كانت في البيت والفرش والناقة والبغل والحمار والعمامة والخف الذي أهدى إليه النجاشي وذلك في زمان التوسع على الأمة والرخص في ترفيه المجاهدين بكرام الله تعالى والمتمكنين بروح الله سبحانه فصرف فيها للغير لا لنفسه خاصة، ومن لم يكن بهذه الصفة لهلك مع الهالكين لأنه مقام خلقه الله لمراتع الصديقين والمقربين، وكان أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه وعبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه بهذه الصفة من الصحابة، وقال شيخنا وسيدنا أبو عبد الله بن خفيف قدس الله روحه: لا يجوز للمريد أن يتصرف ويدخل في السعات ويجوز للعارف، وقال العارف رضي الله عنه: التجارة طرف القلوب في الغيوب لطلب سوق المشاهدة والمكاشفة والمناجاة والأسرار [شعر من المتقارب]؛

تشاغل قوم بدنياهم ... وقوم تخلوا بمولاهم
إذا زين الناس أسواقهم ... فسوق المحبين نجواهم

الفصل الرابع والعشرون: في الحذر حول حصن القلب

بثّ الله سبحانه جنود النفس والهوى وإبليس وأعوانه في أرض الطبيعة وهم يدورون في ميادين البشرية ويرمون من قارورات نيران الوساوس شعلاتها إلى عالم الروح لتحترق بها مواضع أشجار ذكر الحق ونوادر ما تجري من أحكام الغيب في

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

القلب، فينبغي للعارف الصادق أن يعرف تلك الجنود ومنشأها ومبدءها وطرقها وسلاحها وحيلها ومخائيلها حتى يقدر دفعهم عن حومة مزارع الصفاء ومشارب معرفة البقاء، قال الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧]، وقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨]، فإذا عرفهم بالحذر منهم أن يكون في جميع الأنفاس مراقباً لهجوم الوساوس ليدفعها بصفاء الذكر وحقائق الفكر وحقيقة الاستعاذة بالله تعالى من شرهم، قال الله تعالى: ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، وإذا عرف العارف عجزه عن المقاومة بإزاء قهر الجبروت وعلم جهله على العلم بمكر القدم فقد حصل له بذلك علم فإن من العلم أن يعلم الإنسان أنه لا يعلم وعلمه بجهله شطر صالح من العلم وحقيقة المعرفة وقوع العجز في المعرفة بالمعروف، كما قال الصديق رضي الله عنه: العجز عن درك الإدراك إدراك، وأصل الحذر الحذر من مسبب سبب ما يحذر الإنسان عنه وهو نفس الله سبحانه وتعالى حيث حذّر عباده عنه بقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]، والحذر كل الحذر هناك ولا يحصل الحذر من الله إلا بالله وذلك يكون بمعرفة الله سبحانه، وحقيقة الحذر منه أن يكون العبد خاشعاً متلاشياً بين يدي جبروته في جميع اللحظات حتى يأخذ يده من بحر قهره ويأوي إليه منه، قال الله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال عليه السلام: «من اعتصم بالله نجا»[1] أي نجا من كلّ هلاك، وقال العارف رضي الله عنه: الحذر إصغاء سمع القلب إلى نحو صواعق القهر.

الفصل الخامس والعشرون: في الآلاء

نصب الله سبحانه آيات الكون وجعلها مرآة للعارفين وتجلى منها لقلوبهم بأنوار أفعاله وصفاته وينثر من غيباتها نفحات مسك المشاهدات على الأرواح القدسية ليغير بها لبابها إلى عالم أُنسه وقدسه ويريها شواهد مملكته الخاصة من عالم الغيب وغيب الغيب ويعطيها من وسائل المشاهدة كشف القربة، وهذا يكون في أول بديهة وقوع المحبة الإلّهية في صميم القلوب من الغيوب لترتقي في مرقاتها إلى مصاعد سرادق المحبوب الأزلي فمن وقف في مدرجة من مدارجها فقد احتجب بمكر الله عن الله،

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

قال سبحانه وتعالى على لسان نبيه هود لعاد: ﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعرَاف: ٦٩]، وهذا يتعلق بحجاب المريدين حيث أحالهم من رؤية الصفات إلى رؤية الآلاء، قال بعضهم: لا تغتروا بالكرامات فإنها أعظم الحجاب، وقال العارف رضي الله عنه: رؤية الآلاء بعد رؤية الصفات تقاعد في المقامات عن الطيران في بساتين الصفات.

الفصل السادس والعشرون: في الشواهد

لما أراد الله سبحانه وتعالى أن يظهر جماله للأرواح الصادرة من أماكن الغيب علم قبل القبل عجزها عن إدراك رؤيته فأوجد شواهد الملكوت وآيات الجبروت وأبرز أنوار قدمه في شواهد أفعاله وأريْها منها مشاهدة جماله وفتح أبصار الأرواح بسناء بقائه وجعل بين الآيات روزنة بينه وبين الأرواح لتنظر بها إليه في جميع الأحوال ولا تنشد تلك الروزنة إلى يوم الكشف الكلي وإنّ لأهل المعرفة بالله مشاهدة في رؤية الكون، ألا ترى إلى قول الله سبحانه وتعالى حكاية عن خليله عليه السلام حين سأل جماله في رؤية الشواهد حيث قال: ﴿أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٠]، تعلل بالآيات وكان مقصوده جمال مظهر الآيات سبحانه وتعالى وهكذا كان النبي ﷺ في هذه الحالة بقوله: «اللهم أرنا الأشياء كما هي»(١)، قال الشيخ أبو عبد الله بن خفيف رحمة الله عليه: كان سؤال موسى وإبراهيم عليهما السلام سواء إلا أن الخليل عليه السلام ألطف في حسن الأدب حيث سأل الرؤية في إحياء الموتى؛ وأقول: إن سؤال سيد الأنبياء عليه السلام هكذا كان، قال بعض العارفين: ما نظرت إلى شيء إلا ورأيتُ الله فيه، وقال الواسطي: ضحكت الأشياء للعارفين بأفواه القدرة بل بأفواه القرب، جلّ جلاله نصب الشواهد للعقول وجعلها أدلة لوحدانيته لنا حتى تفكرت فيها وعلمت مكان قدرة القديم فيها وعلمت صفاته بأفعاله وذاته بصفاته وأعطت ما استفادت إلى الأرواح به لتقوى به في سير المعارف ورؤية الكواشف، والشواهد حظ العقول ورؤية الشاهد حظ القلوب ومعرفته حظ الأرواح وقربه حظ الأسرار، قال العارف رضي الله عنه: الشواهد للعموم ورؤية الصفات للخصوص ورؤية الذات لخصوص الخصوص.

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

* الرَوْزَنة: الكُوَّة، وهي مُعربة. والكوة: النافذة. والكوة: الخرق في أعلى السقف.

www.alkottob.com

الفصل السابع والعشرون: في الأصول

لكل طائفة من أهل المعارف أصل يدور على نقطته دائرة المعاملات والأحوال والمقامات والمكاشفات والمشاهدات والمعرفة والتوحيد والعلم والحكمة والوجد والهيجان والفناء والبقاء والتمكين والتلوين، وذلك الأصل أول باب التوفيق الذي فتح لصاحبه ليتطرق به إلى المقاصد الكبرى؛ أمّا أصل أهل المعاملات فأوله الزجر لأنه أوائل الانتباه ومنه يصدر الندم والحزن والتيقظ والتوبة والإنابة، ثم يصدر من هذه المراتب مخالفة النفس والهوى، ومعرفته عيوب الأحوال والمجاهدة، ويتولد من المجاهدة تطهير النفس، ثم يظهر منه تهذيب الأخلاق ومن تهذيب الأخلاق تظهر صفاء المقامات.

وأصل أهل الحالات الجذب وكشف أنوار الملكوت التي ترقق قلوبهم ويحثهم إلى التفكر والاعتبار والموعظة والتقوى والحرقة والهيجان، ثم يظهر منه الهمة والمحبة والشوق والعشق والإشفاق والخوف والرجاء.

وأصل أهل المقامات وقوع العلم باطلاع الحق وذلك بعد السير في المعاملات ويظهر المراقبة والخشية والبصر والرضاء والتسليم والتواضع والتفويض.

وأصل أهل المكاشفات بروز نور اليقين في صفاء الأنس ويظهر منه رؤية الملكوت، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٧٥]، الآية.

وأصل أهل المشاهدات الحضور ويتولد منه كشف القدس وسقوط نور الإلهام والخطاب ثم بعد ذلك معاينة الصفات، وأصل أهل المعرفة ظهور الحق بلباس الملكوت وهو مقام الالتباس فإذا عرفوه باختلاف المتشابهات يظهر منه لطائف كشوف عين الذات والصفات.

وأصل أهل التوحيد رؤية العظمة والكبرياء والربوبية والأزل والأبد ويظهر منها الحيرة والغيرة واليقظة والصعقة والدهشة والوله والهيمان.

وأصل أهل العلم وقوع طرف عين الروح على ألواح الملكوت المرقومة بعلوم أسرار الغيب وتظهر منه اللسان والبيان والفصاحة والكلام.

وأصل أهل الحكمة كشف حسن البطون أفعال المقادير ويظهر منه أفعال المجهول وتقليب الأعيان، كما فعل الخضر عند موسى عليه السلام.

www.alkottob.com

وأصل أهل الوجد والهيجان تنسم صبح الصفة في وجوههم ويظهر منه البكاء والضحك والرقص والسماع والزفرة والزعقة والتصفيق والتخريق.

وأصل أهل الفناء الاستغراق في بحر الأزلية بنعت رؤية الأولية ويتولد منه الاصطلام والمحو وفناء الفناء والفناء عن فناء الفناء.

وأصل أهل البقاء الإنس بالجمال ويتولد منه الصحو والسكر والطمأنينة والهدوء.

وأصل أهل التمكين سكون أمواج بحر الوجل والاستقامة في الكشف والمعاملات ويظهر منه الآيات والكرامات والخلق العظيم والخلق الشريف.

وأصل أهل التلوين اختلاف ظهور الصفات، ويتولد منه تغيير المعاملات وتبديل الحالات ولأهل هذه المقامات أسرار لا يعلمها إلا العلماء الراسخون وقد قال الله سبحانه وتعالى في وصف مشارب هؤلاء: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ٦٠]، وبيّن عليه السلام منازل رجال هذه الأحوال حيث وصف الراسخين من أصحابه بقوله ﷺ: «أقضاكم عليّ وأفرضكم زيد وأقرأكم أُبيّ وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل»[١]، ووصف أعيان الصحابة كلّ واحد مما يليق بحاله.

قال سهل بن عبد الله: أصولنا سبعة أشياء: التمسك بكتاب الله تعالى، والاقتداء برسول الله ﷺ، وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب الآثام، والتوبة، وأداء الحقوق، وقال الحصري: أصولنا ستة أشياء: رفع الحدث، وإفراد القدم، وهجر الإخوان، ومفارقة الأوطان، ونسيان ما علم وما جهل.

قال العارف رضي الله عنه: أصول القوم عشرة أشياء: أولها الفطرة القابلة المستعدة لمعرفته القديم الأزلي. والثاني منها أخلاق كريمة ظهرت من تلك الفطرة. والثالث منها صفاء المعاملة. والرابع منها الجذب الإلّهي بنعت كشف الملكوت والجبروت. والخامس منها الأنس بالعبودية بذكر الله تعالى وطاعته. والسادس منها مباشرة حلاوة المحبة في القلب بنعت الشوق والعشق. والسابع منها بروز جمال الحق لعين الروح حتى يعشق به. والثامن منها اطلاع نظر القلب بنعت المعرفة على الصفات. والتاسع منها وقوف السر على كبرياء الذات بنعت التوحيد والفناء. والعاشر منها الفناء في الأزلية والأبدية والخروج من الفناء بنعت البقاء والاستدامة في الصحو، وهذا هو مقام الاستقامة والتمكين والله أعلم.

---

(١) أورده الآمدي في الإحكام، المسألة الثامنة إذا اتبع العامي بعض المجتهدين [٤/ ٢٤٤].

www.alkottob.com

الفصل الثامن والعشرون: في الفرع

افهم أن الفرع في مذهب أهل المعرفة ما يتولد من المعرفة بعد رؤية المعروف بنعت الكشف مثل الكرامات والآيات والفراسات والمعاملات والحالات والخطاب والإلهام والوحي والمقامات والمواجيد والسماع وجميع الحكم وحقائق العلم وهو فرع المعارف والكشف، ثم لهذه المراتب فروع مثل الآداب السنية والأخلاق الكريمة والظرافة واللطافة والفتوة والمروة وقد بيّن الله سبحانه في كتابه أصلاً وجعل له فروعاً مختلفة وأراد في الحقيقة المعرفة التي هي أصل جميع المواهب وفروعها هي ما ذكرنا وشبّه الأصل والفرع بإنزال المطر وما ينبت به من النبات والأشجار، قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقًا لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة: ٢٢]، وشرح رسول الله ﷺ في وضوح ما أشرنا بقوله: «بني الإسلام على خمس»[١] وبيّن أن أصل جميعها شهادة أن لا إلّهَ إلا الله وما بعدها فرع لا إلّه إلاّ الله مثل الصلاة والزكاة والحج والصوم، وقال العارف رضي الله عنه: للشريعة فرع وهو الفقه، وللطريقة فرع وهو الحكمة، وللحقيقة فرع وهو المعرفة.

الفصل التاسع والعشرون: في الثمرة

الإنسان شجر القدرة، أصله الطبيعة وعروقه الخليقة وماء الحياة وأغصانه الجوارح وأوراقه أنفاسه ومنابت أنواره الحواس الخمس وثمراته حركاته وما يتولد منها من الخير والشر، والنفس فيه شجرة وثمرتها الشرك والرياء والهواء والمعصية وجميع الأخلاق المذمومة، والفطرة شجرة وثمرتها ميلها إلى معدنها، والقلب شجر وثمرته الرقة والصفاء والوفاء وجميع الأخلاق المحمودة، والعقل شجر وثمرته الحكم والتدبر والتفكر والتذكر وإدراك حقائق الأشياء بماهيتها، والروح شجرة وثمرتها الروح والراحة والطرب والطلب وطيرانها في الملكوت وإدراكها مشاهدة الجبروت، قال الله تعالى في هذه الأوصاف وهذه الأشجار وهذه الثمرات: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ﴾ [الأنعام: ١٤١] إلى قوله: ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ [الأنعام: ١٤١]، ثم الإيمان شجرة ذات أغصان ولها ثمرات هي الطاعات والعبادات والأخلاق الجميلة، كما وصفه رسول الله ﷺ بقوله: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها لا إله

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب أمور الإيمان..، حديث رقم (٨) [١/١٢] ومسلم في صحيحه، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، حديث رقم (١٦) [١/٤٥] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»[١]، وقال العارف رضي الله عنه: الكائنات فرع شجر القدم أخرجتها بحسن تجليها من العدم.

الفصل الثلاثون: في الوسيلة

إن الله تعالى وضع بينه وبين المتوجهين إليه وسائل وجعل لكل طائفة منهم وسيلة بينه وبينهم ليسلكوا بها إليه، جعل وسيلة المسلمين الإسلام وأعماله وجعل وسيلة المؤمنين الإيمان وأركانه وجعل وسيلة العارفين المعرفة وحقائقها، فوسيلة المريد المجاهدة ووسيلة المحب المراقبة ووسيلة العارف المحاضرة ووسيلة الموحد الانفراد عما دونه، ثم جعل سبحانه وتعالى الآيات وسيلة للعقول وكشف الغيب وسيلة للقلوب وحلاوة الخطاب وسيلة للأرواح، قال الله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المَائدة: ٣٥]، قال العارف رضي الله عنه: أفعاله وسيلة العموم وصفاته وسيلة الخصوص وهو وسيلة العارف من عرّف نفسه لهم بلا واسطة الكون إسقاطاً لتعبهم وقطعاً لإشغالهم من دونه وتشريفاً لهم بين الطالبين لأنه خصهم لنفسه، قال الله تعالى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ۝٤١﴾ [طه: ٤١].

الفصل الحادي والثلاثون: في الحرمات

بين الله وبين العارف منازل ومراتب ومقامات ومناسك وهي في بيداء النفس والقلب والعقل والروح وفي كل منزل ومرتبة ومقام ومنسك علامات وشواهد ومشاهد ولها أمارات وكل واحد منها نوع من العبودية التي فيها حل وحرام في الحل مشاعر المكاشفات، وفي الحرام امتناع المشاهدات في عصمة الطالبات، إذا كوشف عن الملكوت فتحت له أبواب الانبساط والرخص والتأويلات، وإذا تسترت الجبروت نصب له الحرمات وتغلق عليه أبواب المباحات تجريداً للطريقة وتقريباً للحقيقة وغيرة على المشاهدة وتحريماً للنفوس عن المباشرة في الحظوظ؛ لأنه مقامات التنزيه والهيبة والقدس في العظمة، قال الله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البَقَرَة: ١٩٧]، وإذا عثر في موالاة إقدام النفوس وباشر ممنوعات المقامات بشرط الغفلات تذبح نفسه في مناسك القربات حياة للروح وافتتاحاً لأبواب خزائن الفتوح، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ [البَقَرَة: ١٩٤]، وقال عليه السلام: «ألا إن إبراهيم

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، باب بيان عدد شعب الإيمان..، حديث رقم (٣٥) [١/ ٦٣] ورواه غيره بألفاظ متقاربة.

www.alkottob.com

حرّم مكة فلا يجتلى حلالها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها ولا يحل لقطتها إلا للمنشد» وقال العارف قدس الله روحه: حرامات الحقائق جمال الحق لا تحل إلا بعد قطع الحدثان ووجدان مشاهدة الرحمٰن.

الفصل الثاني والثلاثون: في الدلائل

إذا شاهد العارف مشهد الحضور ويقع له واقعة من الغيب ويتردد فيها النفس وتعارض تحفة الغيب ينصب العقل دلائل العلم ويأتي القلب بشواهد الملك وتأتي الروح بمزيد الإيقان ويأتي السر بالطمأنينة بنعت العرفان، فإذا تمت هذه العلامات للنفس لا تشتريها منهن فيأتي الله سبحانه بمزن السعادة ويمطر منه مطر الإلهام، ثم ينور عالم القلب بأنوار الغيب، ثم يتجلى للروح فتنهزم النفس والشيطان ولا يبقى لهما أثر في مقام الكشف، قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١]، ثم وصف الله سبحانه نزول المسوّمين من الكروبين عند اضطراب قلوب المؤمنين وفرار الشيطان عند رؤية جند الرحمٰن عند بروز أدلة العرفان بقوله: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ [الأنفال: ٤٨]، وقال العارف: هو الدليل وهو المدلول.

الفصل الثالث والثلاثون: في الصدق

الصدق صنو النبوة حيث ظهر وهو نتيجة المحبة تبرز من مكمن الغيب لرعاية طريق المحبوب وتهذيب سبيل المعرفة عن شوائب الطبيعة وذلك بعد استواء السر عن رياح الاقتداء في منازل الامتحان بنعت ذهاب الاعوجاج عند نزول البلاء والعارف صادق المحبة صادق الوعد في ميثاق العشق بوصف ترك ما دون المعشوق يتكلم بلسان الحق، كما وصف الله سبحانه أبا بكر الصديق رضي الله عنه بقوله: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزُّمَر: ٣٣]، ثم وصف صدق المعاهدين الذين بلغوا نَحْبَ المراد في مشاهد المراد بقوله: ﴿مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]، ثم بيّن أنهم في كنف مشاهدة وهو معهم بوصلة بقوله: «إن الله مع الصادقين»، قال أحمد بن خضرويه: من أحبّ أن يكون الله معه على كلّ حال فليلزم الصدق فإن الله مع الصادقين، وقال عليه السلام: «الصدق يهدي إلى البر»[١]، وقال العارف: الصدق تقديس الهمة عن غير الله في مشاهدته.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٧٨] حديث رقم (٥٧٤٣) [٥/٢٢٦١] والحاكم في المستدرك، كتاب العلم، حديث رقم (٤٤٠) [٢١٧/١] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

الفصل الرابع والثلاثون: في الصواب

إذا تقدست الروح وصفا العقل وتنور القلب وذهب دخان النفس وصار ميدان الأسرار صافياً عن غبار خيول الخيال وقيام الوهم تبين فيه أشكال الملكوت وعاينت حروف لوح المحفوظ في عيون هؤلاء بالعقل يتفكر فيها صدر من الغيب ويزنه بميزان العلم وتتفرس القلب في شواهده ويزنه بميزان العقل والعلم وتبصر الروح مراد الحق فيما يظهر من القدر وتزنه بهذه الموازين ثم يقابله بنظر السر فإذا كان السر بقلبه بنعت الطمأنينة بعد أن يراه على ماهيته بنور الغيب يصير ذلك صواباً لأنه يخرج من هذه الحجب بمراد الشريعة والحقيقة والطريقة، ونعته أنه يوافق ما تكون في منازل العبودية ومجموعه حقيقة فراسة المؤمن، قال عليه السلام: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»[1]، قال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزُمَر: ٢٢]، وما وصف فيكون في ديوان الإرادة بعد كمالها في ديوان المحبة بعد ظهور جمالها وفي ديوان المعرفة بعد ظهور جمالها، وقال العارف رضي الله عنه: أصل الصواب إفراد القديم عن الحدث بنعت المعرفة والمشاهدة، قال سبحانه: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [النَبَإِ: ٣٨] إلى قوله: ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النَبَإِ: ٣٨]، قيل في تفسير الصواب أنه قال: لا إلّه إلاّ الله وأصل لا إلّه إلاّ الله إفراد الله بنعت التنزيه عن الكون وما فيه.

الفصل الخامس والثلاثون: في التذلل

إذا بلغ العارف مقام رؤية العظمة ويعرف الحق بنعت الكبرياء وباشر حلاوة المحبة والعشق روحه بنعت الروح والأنس يصير متذللاً بنعت الخشوع والخضوع بين يدي جبروته في سرادق ملكوته قال الله تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١]، وقال عليه السلام: «إذا تجلّى الحق تعالى خشع له كل شيء»[2] وهذا مقام التوحيد، قال بعض المشايخ: التوحيد اضمحلال العارف في عظمة الله تعالى، وقال العارف رضي الله عنه: التذلل في الإرادة وصف العبودية وفي المحبة وصف المعرفة وفي العشق وصف التوحيد.

---

(١) رواه الترمذي، في سننه، باب ومن سورة الحجر، حديث رقم (٣١٢٦) [٥/٢٩٨] والطبراني في المعجم الأوسط، من اسمه بكر، حديث رقم (٣٢٥٤) [٣/٣١٢] ورواه غيرهما.

(٢) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

الفصل السادس والثلاثون: في الاستحسان

إذا انفتح عين الرضا في وجه التوكل بنور الصدق وذهب غبار الطبيعة بصفاء الإخلاص ونور الاختصاص يرى ماهية الوجود وما يظهر منها من حسن اصطناع الله سبحانه في جميع الذرات وما ألبسها من سناء القدس وظهور عجائب بحار الملكوت بلباس الجبروت في سواحل الآيات يهيج سر المعرفة بنعت العشق والمحبة ويستحسن جميع مقدورات الغيب في لباس الأفعال فيرى في أسنان الأسد وعيون الأفاعي ما يرى في أسنان الحور وشرفات القصور ويستوي عنده رؤية الحسن والقبح لأنه في رؤية العظمة وهناك لا يبقى رسوم الحدثان واستوى أفعال القهر واللطف ويخرج من عين الكل جميع الأشياء بنعت واحد وفي ذلك مدح الله سبحانه نفسه تعالى في إيجاد الكون وما فيه وبيّن أن لا يصدر شيء منه إلا بكمال الحسن بقوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السَّجدَة: ٧]، ومن غاية عرفانه صلوات الله عليه بما يبرز في مرآة الأشياء من أنوار المشاهدات أنه وفى في بحر ترائي الغيب في طلب رؤية أهِلة الصفات في سر الآيات وسأل ما أخبر الله سبحانه عن صفاء محبة خليله في ترائي المشاهدة ورؤيته حسن الأزل في لباس شواهد الملكوت حيث قال: هذا ربي هذا ربي هذا ربي، فسأل ما رأى الخليل بقوله: «اللهم أرنا الأشياء كما هي» وهو سبحانه إذا تجلى من شيء لشيء حسن ذلك الشيء بتجليه في عيون جميع المعارف والمشاهدين وإذا استتر عن شيء قبح ذلك الشيء في أعين الناظرين وذلك في مقام الأنس، قال أحمد بن عطاء: في معنى المعرفة إنما قبحت المستقبحات باستتار وحسنت المستحسنات بتجليه، قال العارف رضي الله عنه: استحسان الأشياء لا يكون إلا لمن يرى موجد الأشياء في الأشياء.

الفصل السابع والثلاثون: في العهد

إذا أحضر الله سبحانه جند الأرواح العاشقة في ديوان المشاهدة عرّفها نفسه بنعت الخطاب حيث قال: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فشهدت على ربوبيته فعهد الله سبحانه معها عهد العشق، وأشهدها على العهد بأن لا يختار عليه شيئاً دونه، فهجرت من مكان الغيب ودخلت في الأشباح ونظرت في الأكوان وطلبت منها مكونها، وما وقفت إلا بالله على الله إلى مقام الرجوع فوصلت إلى معدنها بمزيد الشوق والعشق والاستيحاش عما دونه لأنها خلقت من الملكوت وليس لها قرار إلا في معادن القدس ورياض الأنس، قال سبحانه: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾

www.alkottob.com

[الأحزاب: ٢٣]، وقال أيضاً: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُواْ﴾ [البَقَرَة: ١٧٧]، وقال عليه السلام: «حسن العهد من حسن الإيمان»[1]، وعهد العارف لا يكون إلا في منزل الإرادة حيث جاهد نفسه، فإذا بلغ مقام التمكين يترك العهد؛ لأن العهد تعرض لجند المقادير القائمة بمشيئة الأزلية، وليس في مقام صدق التوكل عهد؛ لأن كل عهد منه ينقض في مقام العشق، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: عرفت الله بنقض العزائم وفسخ الهمم، قال بعض المشايخ: تركت العهد ثلاثين سنة وما عاهدت عهداً مخافة أن أنقضه، وقال العارف أعلى الله درجته: العهد عقد السر على ملازمة الصدق في المحبة.

الفصل الثامن والثلاثون: في الميثاق

إذا أراد الله تعالى تشديد أمر المعرفة، وتوفيق العارف في المحبة دعاه إليه بالسنة الوصلة وقرّبه منه وأجلسه على بساط المملكة وخاطبه بخطاب الأكابر وأمره بأمور العظام في العبودية. وأخذ معه ميثاق الربوبية تشريفاً له وتعظيماً لمقامه الذي هو مقام الجبرية بأنه لا ينسلخ عن خلاصة المعرفة بمباشرته حظوظ النفس في متابعة الشيطان مع تقاعده في حجاب الدنيا وهذه السنة التي جرت في الأول مع سادات الأنبياء والأولياء حيث قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [آل عِمرَان: ٨١]، وأمثاله من الآية، قال العارف رضي الله عنه: الميثاق من الله تعالى وتقدس فتح أبواب الانبساط بمفتاح الاحتشام، ومن العارف بذل الروح بنعت الاستسلام.

الفصل التاسع والثلاثون: في العذر

زلة العارفين سبب زلفتهم إذا وقعوا في بحار الامتحان سبحوا فيها بنعت الحيرة فلما عرفوا استعانوا منه إليه فأنقذهم الله منها بأيدي المنن فلما نجوا عن ورطات

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الإيمان، حديث رقم (٤٠) [١/ ٦٢] ورواه الطبراني في المعجم الكبير، مناقب خديجة رضي الله عنها، حديث رقم (٢٣) [٢٣/ ١٤] ورواه غيرهما ونصه: «عن عائشة قالت: جاءت عجوز إلى النبي ﷺ وهو عندي فقال لها رسول الله ﷺ: «مَن أنتِ؟» قالت: أنا جثامة المزنية، فقال: «بل أنتِ حسانة المزنية كيف أنتم كيف حالكم كيف كنتم بعدنا؟» قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فلما خرجت قلت: يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال فقال: «إنها كانت تأتينا زمن خديجة وإن حسن العهد من الإيمان».

www.alkottob.com

المعصية يقومون على باب العظمة ويتكون منه عليه يعتذرون من زلاتهم بعد العرفان بها وانكسارهم بنعت الخجلة في محل الحياء ويفنون فيه من صولة الإجلال يفتح الله سبحانه أبواب الكرم وينثر على رؤوسهم لآلي بحار القدم ويطلق ألسنتهم بالاعتذار ويهيج أسرارهم إليه بنعت الافتقار حتى يقولوا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣]، وهو يقول لهم سبحانه وتعالى: إني أحبكم وأقبل عذركم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وقال: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝٢٥﴾ [ص: ٢٥]، بيّن أن هفوة الصادق عنده سبب زلفته وزيادة قربته، ثم يقول الله سبحانه: «أنتم يا عبادي معذورين غير مغرورين سبقت مشيئتي بزلاتكم كيف تطيقون دفع سابق أمري أنا أعتذر إليكم من إجراء المعصية عليكم بكشف وجهي الكريم لكم ولأحبائكم» ثم يقعدهم: ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القمر: ٥٥]، بين سفرة الملائكة فيدخلون عليهم من كل باب ويقولون: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۝٢٤﴾ [الرعد: ٢٤]، وتحقيق بيان ذلك في عذره إظهار تنزيه القدم في إرادته القديمة إخراج إرادة العباد عن مشيئته بقوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، وقال عليه السلام: «إذا أحبّ الله عبداً لم يضره ذنب»[١] وقال العارف رضي الله عنه: معرفة العارف بجهله عذر العارف وإظهار فردانية الربوبية عن مشاركة إرادة الحدثان عذر المعروف في العارف.

الفصل الأربعون: في التلقف

إذا قطع لسان العارف بمقراض الغيرة حيث أراد أن يقف مواقف مدح القدم ويتحير في مشاهدة العظمة بنعت معرفته على جرائمه وخجلته في رؤية الاحتشام لا يبقى له لسان التوبة ولا لسان المدح ويبقى في بحر التحير ويكاد أن يذوب من الخجلة يلقفه الله كلمة العذر عن العصيان ويعطيه لسان المدح كما وصف حال آدم عليه السلام حيث قال: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝٣٧﴾ [البقرة: ٣٧]، ولما تحيّر عليه السلام في سرادق الكبرياء عن النطق في المدح والثناء حيث قال: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[٢] فألهمه التحيات حتى

---

(١) هذا الأثر ذكره عبد الرحمٰن بن رجب الحنبلي في شرح حديث نبيك، وهو ليس بحديث بل من كلام بعضهم [١/ ١١٣].

(٢) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

يقول: «التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله»[١]، قال العارف رضي الله عنه: التلقف أخذ الأسرار حقائق الإلهام عن لسان الأنوار.

الفصل الحادي والأربعون: في العدل

إذا أراد الله تعالى أن يعرف العارف لباس القهريات أوقعه في ميادين الشهوات حتى يلوث لباس العبودية بلوث الطبيعة ثم يباشر قلبه بسمّ أفاعي الفراق حتى تحرق في نيران الأشواق فلما لم تبقَ آثاره ويعلم منه خلاصة تبرز بنعت الكرم من عالم القدم لهذا الفاني فيوجده بعد فنائه حتى لا يبقى في ظلمات القهر ولا يكون كمن يغتر بماء هو: ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور: ٣٩]، ويلطف عليه بلطائف آلائه ونعمائه ويريه بعد ذلك عالم اللطفيات حتى يعرفه بحقيقة القهر واللطف ولا يكون ذلك إلاّ في مقام غيرة الحق على نفسه ليمتنع بجوده عن مطالعة الخليقة يسقطه ثم يأخذه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨]، وأخبر عليه السلام من مقام الفضل والعدل اللذان السابقان في الأزل بقوله: «سبقت رحمتي غضبي»[٢]، وقال العارف رضي الله عنه: العدل من العارف قطع نفسه من اقتحامها في حومات حمى الله الذي هو محارمه والعدل من الله تعالى أن يدقق في حساب خطرات النفوس في مقام المحاسبات.

الفصل الثاني والأربعون: في الفضل

كل ما صدر منه تعالى هو فضل منه على عباده وذلك فضل العموم، وفضل الخصوص أن يدعوهم إلى عبادته ويوفقهم بها. وفضل الخصوص أن يعرف لهم نفسه قبل إتيانهم بابه، ويعطيهم مقام مشاهدته قبل مجاهدتهم حتى يعشقوا به ويحبوه ويشتاقوا إليه، ويخاطبهم بخطاب الوصلة ويؤنسهم بحلاوة جذبه وصفاء ذكره ويوقعهم في بحار التفكر التي حارت العقول بها وطارت الأرواح عنها وذهلت القلوب من لطماتها، ثم يظهر فيها لهم ويحيرهم في قدمه وقدم قدمه سبحانه ما ألطف سبحانه ما أعظم شأنه، ألا ترى كيف وصف فضله على خليله وحبيبه وكليمه وصفيه حيث قال:

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، باب التشهد، حديث رقم (٤٠٣) [١/٣٠٢] وأبو نعيم الأصبهاني في المسند المستخرج على الصحيحين، باب في التشهد، حديث رقم (٨٩٥) [٢/٢٦] ورواه غيرهما.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، باب قول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١﴾ [البُرُوج: ٢١] حديث رقم (٧١١٤) [٦/٢٧٤٥] والطبراني في المعجم الأوسط، باب من اسمه إبراهيم، حديث رقم (١١٤) [١/٤٢] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [الأنبياء: ٥١] وقال: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ﴾ [الشورى: ٥٢] فقال: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [آل عمران: ٣٣] وقال: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة: ٤]، وقال ﷺ: «لا يدخل الجنة أحد بعمله»[1]، قيل: يا رسول الله ولا أنت؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته»، وقال الواسطي: ما أكرم شيئاً إلا على الابتداء ولو أكرمه بعوض ما كان فضلاً، قال العارف رضي الله عنه: فضله ظهوره على عباده حتى عرفوه به لا بهم.

الفصل الثالث والأربعون: في الفداء

إذا فرح العارف ببديهة شهود العين ويكاد أن يطير من الفرح والأُنس بمشاهدة الأزل يرجع إلى نفسه ويريد أن يفديها بين يدي الله سبحانه وتعالى لأنه لا يقدر على شيء غيرها فيذبح نفسه عن الدنيا والآخرة وما فيهما في منحر التوحيد وإفراد القدم عن الحدث، لأن تحقيق المحبة في المشاهدة بذل الروح والنفس والدنيا والآخرة، حيث تلعب فرسان ميادين التفريد برؤوسهم عند ضرب صولجان العشق على كرة الوجود لجلال رؤية الموجود القديم ولنيل مقام البر في الفتوة، قال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ [آل عمران: ٩٢]، فلما رأى سبحانه غاية جهده في بذل الروح حيث لم تبقَ له الروح والنفس وما دونه في محل الفناء من صولة صدمة سطوة العزة حيث لا حيث أن كشف قدس القدس والقدم في السرمدية والأبدية في الأزلية يهب له روحاً من أنوار كرم قدمه بنعت التجلي والتدلي بوصف مباشرة ظهور الصفة في سر سره حتى لا يبقى بروح بقائه ولا يفنى بعد ذلك أبداً، قال الله سبحانه في وصف قربان خليله وما أفداه: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الصافات: ١٠٧]، من بلغ إلى هذه الرتبة صار غنياً بالله وجب عليه أن يشتري أسرار الإرادة بكشف مقام الولاية، قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ﴾ [البقرة: ٨٥]، قال العارف رضي الله عنه: فداء النفس ترك الشهوات وفداء القلب ترك الكرامات وفداء العقل ترك الغفلات وفداء الروح ترك الكائنات وفداء السر رفع اللحظات عن المقامات.

---

(١) رواه الربيع بن حبيب الأزدي البصري في مسنده، باب الآداب، حديث رقم (٧٣٦) [١/ ٢٨٢] والطبراني في مسند الشاميين، من طريق أرطأة عن أبي بشر، حديث رقم (٦٩٨) [١/ ٤٠٢] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

الفصل الرابع والأربعون: في الإجابة

إذا ظهر السر عن اللحظات وبرى القلب عن الشهوات وماتت النفس عن الهوى والزلات وصفت الروح بأنوار المشاهدات وتفرس العقل نور الغيب بنور الآيات وصار العارف مستأنساً بالخلوة والمناجاة ساكناً عن الغفلات طاهراً عن الخطرات يجد برد اليقين وصفاء المحبة وذوق القربة ويستنشق رياحين الوصلة والانبساط ويتعرض لنفحات الإجابة بعد اضطراره في منزل الافتقار يخرج من الغيب له ما يريد من الحق في عمارة البلاد وسعادة العباد، وقال الله تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال النبي ﷺ: «اطلبوا الإجابة عند رقة قلوبكم»[1] ثم خصّ أهل الحقائق من المتصوفة بهذه المثابة، وقال: «ارغبوا في دعاء أهل التصوف أصحاب الجوع والعطش فإن الله تعالى ينظر إليهم ويسرع إجابتهم»، قال العارف رضي الله عنه: الإجابة نتيجة الحرمة وموهبة يقع بين المشاهدة والمعرفة.

الفصل الخامس والأربعون: في الآيات

بدأ بعد السلوك في أول مقام الجذب برهان الولاية في تسخير الطاعات وسهولة حبس النفس وتطفية نيران الهوى وطيران العقل في الكون ودخول القلب في الغيب واستماع الروح أصوات الإلهام من طيور الملكوت وسفرة الجبروت، ثم يظهر من العين نفوذ النور في المقدورات وفي السمع إدراك الخفيات وفي الإنسان لطائف الفصاحات وفي اليد قرة بطش قهر الله وفي الرجل طي الأرض فيصير العارف من قرنه إلى قدمه آية من آيات الله في بلاد الله بين عباد الله، قال الله تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الذاريات: ٢٠]، وكان ﷺ آية الزمان قدوة رجال الرحمٰن من عرفه فقد عرف آية الله، كما قال عليه السلام: «من عرفني فقد عرف الحق»[2]، وقال العارف رضي الله عنه: الآيات فتح عين القدرة لأهل النحلة.

الفصل السادس والأربعون: في الكرامات

إذا بلغ الصديق مقام التمكين ولا يبقى عليه حظ من الحظوظ وقطع عن الأسباب ولحق بمسبب الأسباب وسكن قلبه بلذة الرضا وعقد عقدة المحنة بين عقد

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٢) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

التوكل والتسليم ويرى من حول الإنسانية وقوة البشرية جعله الله رحمة لخلقه وقدوة لعباده بأن كساه قدرة من قدرته ونوراً من نوره وأظهر له ولهم منه كرامات سنيات وآيات بينات تقر بنورها عيون المريدين الصادقين وذلك طمأنينة لقلبه وسكينة لسره ولذلك سألها الخليل قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وهذا لأجل قطع لسان المعارضة عن النفس والشيطان في صدق الولاية، قال تعالى لحبيبه: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤] ثم بين: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الذاريات: ٢٠]، وما ذكر عليه السلام من وصف كرامات أولياء أُمته أكثر من أن يحصى عددها، قال الله تعالى في وصف ما أعطى من الكرامات لمريم عليها لسلام: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ﴾ [مريم: ٢٥] إلى قوله: ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ [مريم: ٢٦]، وقال سهل بن عبد الله: من زهد في الدنيا أربعين يوماً صادقاً من قلبه مخلصاً في ذلك يظهر له الكرامات من الله عزّ وعلا ومن لم يظهر له ذلك فلما عدم في زهده من الصدق والإخلاص، فقال بعضهم: الكرامات أن يبلغ المراد قبل ظهور الإرادة، وقال قوم: الكرامات الإعطاء فوق المأمول، وقال العارف رضي الله عنه: حقيقة الكرامات سقوط الكرامات عن العارف حتى لا يشتغل بشيء دون الله.

الفصل السابع والأربعون: في المعجزات

المعجزات خاصة للأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين وذلك آخر درجة في الصدق والإخلاص، لا تبرز إلا إلى من جاوز حدّ المقامات والحالات والمكاشفات والمشاهدات وبلغ كشف الأزل والأبد وبقي في رؤية العظمة والكبرياء تظهر منه كلّ ما يحتاج إليها لا له ولكن هداية للأقوام والحدثان، كما كان النبي ﷺ مخصوصاً بانشقاق القمر والعروج في المعراج ونبع الأصابع وآيات أخرى، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ١٨]، وأسنى معجزاته عليه السلام قوله: «بعثت بجوامع الكلم وأنا أفصح العرب»(١)، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ

---

(١) روى الحديث في نصفه الأول البخاري في صحيحه في أبواب عدة منها باب ثياب الحرير في المنام، حديث رقم (٧٧١١) [٦/ ٢٥٧٣] ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد. .، حديث رقم (٥٢٣) [١/ ٣٧١] ورواه غيرهما. وأما نصف الحديث الثاني وهو: «أنا أفصح العرب» فقد أورده الهروي في المصنوع [١/ ٤٠].

www.alkottob.com

ﵟٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ٨٧ﵞ [الحجر: ٨٧]، وقال سهل بن عبد الله: الآيات لله والكرامات للأولياء والمعجزات للأنبياء ولخيار المسلمين، وقال العارف رضي الله عنه: معجزات الأنبياء لطمأنينة الأمة وكراماتِ الأولياء لطمأنينة نفوسهم وهذا أخص فرق بين الكرامات والمعجزات والولاية والنبوة.

الفصل الثامن والأربعون: في الولاية

أول الطريق الإرادة ومعها المجاهدات، وأوسط الطريق المحبة ومعها الكرامات، وآخر الطريق المعرفة ومعها المشاهدات فإذا تمكن في هذه المراتب ولا يجري عليه أحكام التلوين وصار سبّاحاً في بحار التوحيد وسر التفريد يكون ولياً نائباً للأنبياء وصادقاً من الأصفياء، والولاية اسم جامع بجميع منازل الصديقين، من جمع فيها حقائقها كان أمة، قال الله تعالى: ﵟإِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗاﵞ [النحل: ١٢٠]، وقال عليه السلام: «إن قس بن ساعدة كان أمة»[١]، ومدح خيار أمته بالولاية والإلهام والمحادثة والكلام قال: «إن في أمتي محدثين ومكلمين وإن عمر منهم»[٢]، وكمال الولاية التخلص من آفات النفس التي تورث الغم والحزن والبلوغ إلى مقام السلامة، قال الله تعالى: ﵟأَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ﵞ [يونس: ٦٢]، وقال العارف رضي الله عنه: الولاية الاتصاف بخلق الحق سبحانه.

الفصل التاسع والأربعون: في الكفاية

إذا رفع العارف عين السر عن الالتفات إلى الخليقة وقع في عين الكفاية، ويفتح له باب المراد بعد قطع جميع الأسباب من العرش إلى الثرى، فإن مقصوده هو الله سبحانه وهو كفايته لا يريد شيئاً سواه إذا احتاج إلى ضرورة لا يتفرق من الله همته إلى شيء دونه، ويقوم بالله لله مع الله فيكون الله حسبه في جميع أنفاسه وكفايته في كل أحواله، كما ذكر سبحانه: ﵟوَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓﵞ [الطلاق: ٣] وقال: ﵟوَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗاﵞ [النساء: ٤٥]، وقال عليه السلام: «من التمس رضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة»[٣] الحديث، فقال بعض الأولياء في دعائه: يا كافي

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٢) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه، ذكر رضاء الله جلّ وعَلاَ عمن التمس رضاه بسخط الناس، حديث رقم (٢٧٦) [١/ ٥١٠] وابن المبارك في الزهد باب الإخلاص . . ، حديث رقم (١٩٩) [١/ ٦٦].

www.alkottob.com

السموات والأرضين، وقيل قصد أحدهم بندار بن الحسين قال له بعض أحبائه: مُر لي أن أدفع شره، قال: كفاية الله خير وأحسن قيل: أكله أسد في الطريق، قال العارف رضي الله عنه: الكفاية الخروج من أوصاف العبودية إلى أوصاف الربوبية.

الفصل الخمسون: في الكلاءة

إذا طلع شمس القدم وأضاءت بنورها مطلع العدم ولا يبقى أثر الكون وما فيه في مشرق القلوب بسناء الغيوب وصارت الأرواح لها أهلية للبقاء في بقاء المشاهدة يدخل العارفون في كنف كلاءة الأزل وهو تعالى يقيهم من قهر سلطانه وبليات امتحانه ويخلصهم من طوفان بحار عذابه حتى يكونوا من الله بعين الله محفوفين عن قهر الله ذلك أمر سبحانه نبيه بالاستقامة في النبوة بقوله: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطُور: ٤٨]، وسأل عليه السلام في بعض دعائه قال: «اللهم واقية كواقية الوليد وأكلأني كلاءة الوليد»[١]، وقال العارف رضي الله عنه: الكلاءة حسن الرعاية ولا يكون ذلك إلا لمراد محبوب معشوق صادق، كما قال تعالى لحبيبه عليه السلام: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المَائدة: ٦٧]، وقال لكليمه عليه السلام: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩].

---

(١) رواه بشقه الأول «واقية كواقية الوليد» (أي المولود) أبو يعلى في مسنده، مسند عبد الله بن عمر، حديث رقم (٥٥٢٧) [٩/٣٩٦] والقضاعي في مسند الشهاب، حديث رقم (١٤٨٤) [٢/٣٣٩] ورواه غيرهما وأما الشق الثاني فلم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

الباب الخامس

في مقامات المحبين وفيه واحد وخمسون فصلاً

الفصل الأول: في مقام الوقت

إذا بدا سلطان المحبة في قلب المحب بعد فراغه من المقامات ويتشوق في طلب كشف جلال المحبة ولا يبقى عليه من حظ الطبيعة شيء صار قلبه مرآة للملكوت، تبدأ فيه أنوار الجبروت في أوان القربة ويكون بين صحو ومحو وبين حضور وغيبة، فكلما يلوح له برق التجلي من مزن الغيب ويمطر على أرض قلبه من سماء القدم غيث الإلهام ويثبت فيه ورد الشوق ويهيج سره من أصل الفطرة إلى معدن القدس وتغلب سبحات المشاهدة على سناء الروح وتكون الروح في محل الدهش فهو في مقام الوقت، وفي حالة نزول هذه الأحكام سمّاه العارفون صاحب وقت، ومعنى الوقت: ظهور حقائق الغيب بوصف الكشف لعين روحه، فإذا طابت بحلاوة الكشف فيكون في وقت وشأنه الغيبة عن الوجود والخروج عن الأوصاف المعهودة، ألا ترى كيف أشار سبحانه إلى حال موسى عليه السلام في وقت التجلي حيث قال: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وفي ذلك الوقت يكون العارف في مشاهدة الحق لا يزاحمه الحدثان، ولا يدخل في قلبه شيء من الأكوان، الخطرات عنه تصرمت واللحظات عنه انطمست، كما وصف رسول الله ﷺ، وقته بنعت انقطاع الحق عن قلبه المبارك في مشاهدة مولاه جلّ جلاله وصلوات الله وبركاته عليه وعلى وقته العزيز، قال عليه السلام: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل»[1] أي إذا كنت حاملاً برجا شهود الأزل لا يحملني المقربون والمرسلون ولا العرش ولا الكرسي ولا السموات ولا الأرضون لرزانة أمانة القدم على قلبي لأني هناك في مقام الاتحاد، ولا يحملني الكون وما فيه لأن شعرة من شعراتي في فرقي أثقل من العرش والكرسيّ».

---

(١) أورده الهروي في المصنوع [٢٥٨/١] والعجلوني في كشف الخفاء حديث رقم (٢١٥٩) [٢/ ٢٢٦].

www.alkottob.com

وافهم أن الوقت وقت العارف لا وقت المعروف لأنه منزّه عن الخفاء والبداء والزمان والمكان يكشف عن وجهه الكريم رداء العظمة والكبرياء لعيون العارف كما يشاء كيف يشاء ليس هنالك مساء ولا صباح، قال ﷺ: «ليس عند الله مساء ولا صباح»، وهذا نبذة من أحكام التوحيد لئلا يغلط من لم يبلغ مقام رؤية التنزيه، وإذا تتابع عليه أنوار الحقائق صار وقته سرمداً وبقي في خالص الذكر وأطعم ذوق الحال ولا يفتتر عن صفاء الوقت أبداً وإن ذهب حدة السكر، كما قال الشبلي رحمة الله عليه في بعض أوقاته لأصحابه: أنتم أوقاتكم مقطوعة ووقتي ليس له طرفان، ثم قال: وقتي سرمد ويجري بلا شاطيء، يعني بذلك أن الحال الذي خصني الله به من صفاء التعظيم وخالص الذكر له ولهب فؤادي من شوقي وانقطاعي إليه لا نهاية له ولا انقطاع والشيء إذا لم يكن له نهاية ولا غاية فهو سرمد، وقال الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾ [الكهف: ١٠٩] الآية، لم يجعل لها غاية لأن الموصوف بها ليس له نهاية، وقال بعضهم: من عرف الله أحبه ومن أحبه غرق في بحر الهم، وقال العارف رضي الله عنه: الوقت بقاء كشف المشاهدة في القلب بنعت المواجيد.

الفصل الثاني: في الوجد

الوجد من مقام المحبة وما بدا في غير مقام المحبة فذلك صفاء ورقة، وحكم الوجد أن يكون الواجد غائباً عن الخلق والنفس حاضراً في مشاهدة القرب لا يجري عليه خطرات النفوس، فإذا بدا أنوار الغيب له ويرى عرائس الملكوت وصنوف حقائق الآيات وغرائب الصفات ولمعات الذات صار واجداً له علامات على حسب ما يرى من المغيبات، فلكل نظر له علامة في ظاهر صورة مثل البكاء والضحك والحمرة والصفرة والاقشعرار والاضطراب والتصفيق والرقص والتخريق والزعقة والشهقة والسقطة وأمثالها من سجية أهل المواجيد والكشف.

ألا ترى كيف وصف الله سبحانه المصطفين الأخيار من الأنبياء والأولياء. وصف إبراهيم خليله عليه السلام بالتأوّه بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ﴾ [التوبة: ١١٤]، ووصف موسى عليه السلام بالصعقة في وجد التجلي حيث قال: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣] وبين مواجيد الجمهور في أنها شاملة على جميع الأوصاف في الوجد حيث قال: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨]، ثم وصف أولياءه في زيادة الإيمان عند استماع الذكر بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢] وقال: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ

www.alkottob.com

ذِكْرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزُّمَر: ٢٣]، وروي في الحديث المروي أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قرأ عند النبي ﷺ سورة النساء فلما بلغ إلى قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١]، فصاح صيحة رسول الله ﷺ. ومعنى الوجد في الظاهر المصادقة، قال الله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩]، يعني صادقوا، قال الجنيد رحمه الله: الوجد هي المصادقة.

واعلم يا أخي أن حقيقة الوجد لا يمكن عنها العبارة لغير صاحب الوجد لأنه يتعلق بوقع أنوار الغيب وذوق القلب في الطرب والفرح بالله مع الله لله، قال عمرو بن عثمان المكي: لا يقع على كيفية الوجد عبارة لأنها سر الله عند المؤمنين والموقنين وليس لأحكام الوجد نهاية لأنها ليس لها غاية وما ذكرت لمعة مشتملة على جميع أوصافها لمن له فهم. قال العارف رضي الله عنه: حقيقة الوجد مباشرة نور الغيب قلب الواجد بالبديهة وذلك سلب.

الفصل الثالث: في مقام التواجد

إذا تحقق الوجد في الواجد واستترت عنه في بعض الأوقات فإنه لا يصير عن ذلك ويتكلف في طلب الوجد بوسائط كثيرة مثل السماع والقول وإنشاد الشعر والجلوس في حلقة العارفين وتعرضه لكلام المعارف وطلبه شواهد الغيب عن رؤية الإخوان وتكلفه في الحركات مثل التصفيق والدوران والقيام والرقص لتقع له جذبة الحقائق من الغيب ويصير واجداً بعد تواجده. ولا يجوز ذلك إلا لعارف صادق مخبر شائق، قال الله تعالى في بيان ذلك: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال عليه السلام: «ابكوا فإن لم تستطيعوا فتباكوا»[1]، حكي عن الشبلي رحمة الله عليه أنه تواجد يوماً في مجلسه فقال: آه ليس يدري ما بقلبي سواه، فقيل «آه» من أيّ شيء؟ فقال: من كل شيء، وسئل بعض الصوفية عن الفرق بين الوجد والتواجد فقال: الوجد بَوادي الغيبة وإرسالات الحقيقة، والتواجد داخل في الاكتساب راجع إلى أوصاف العبد من حيث العبد.

(١) رواه ابن ماجة في سننه، باب في حسن الصوت بالقرآن، حديث رقم (١٣٣٧) [١/ ٤٢٤] والبيهقي في السنن الكبرى، باب البكاء عند قراءة القرآن، حديث رقم (٢٠٨٤٧) [١٠/ ٢٣١] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

وافهم أن الواجد إذا تواجد يكون محموداً من حيث صدقه ولكن يكون محجوباً عن مشاهدة محبوبه، «وليس التكَحُّل في العينين كالكحل» شعر [من الوافر]:

إذا اشتبك الدموع على خدود   تبين من بكى ممن تباكى

وقال العارف رضي الله عنه: التواجد من العارف مباح ومن المريد حرام. أول التواجد صدق وآخره إخلاص.

الفصل الرابع: في مقام الطرب

دواعي الطرب في المحب كثيرة، وأصل جميعها مصادقة شهود الجمال حيث استأنس به ويرد عليه شواهد مزيد القربة بنعت تبسم صبح الصفة في وجهه، ومن هذه القاعدة يتولد طرب المحب بالمشاهدة ويبلغ إلى محل يكاد أن يطير من الفرح والطرب بالوصل بعد الفصل، قال الله تعالى: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يُونس: ٥٨]، وقال العارف قدس الله روحه: الطرب وجدان القلب لمعة شعاع الجمال بنعت الرضا والمباشرة مع رفع النكرة وتهييج حلاوة السكرة في الروح بوصف المعرفة.

الفصل الخامس: في مقام النشاط

إذا طابقت فطرة الطينة فطرة العلوية وصارتا متجانستين ويسقط نور الغيب في مرآة العقل من شهود التجلي وتعرف الروح قبول الحق من الحق بأمارات الوارد والخطاب وانفتاح أبواب الأسرار والأنوار، وتنظر خفيات لطائف ظهور الصفات حيث تمكنت في الرجاء واليقين يطير كلما يدرك غريب المقام بجناح الشوق والعشق وينشط بالأهلية مع الغيب وهذا نفحة من مقام الشوق، قال العارف قدس الله روحه: نشاط الصديقين من إدراكهم فيض إدراك الحق إياهم عند وقوع كل امتحان وعلمهم بديمومية بقاء القديم حيث حضر الزمان لا يدخل في سرمديته فإذا موجب نشأ بقاءهم مع الحق بلا زوال ولا ملال.

الفصل السادس: في مقام السماع

إن الله سبحانه اصطفى أشخاص الغيبيين حين خمر طينتها بصفاء مباشرة الصفة واجتبى أرواحهم حين أبرزها من مكان الغيب بتجلي الذات فصيرها جميعاً بين نور الصفات ونور الذات عاشقة بجماله وجلاله والمنبي عن هذا قوله القديم جلّ جلاله

www.alkottob.com

في وصف أول فطرة الوجود ومنبع نوادر عجائب الغيوب صفيه آدم عليه السلام حيث قال: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩]، فتلطفت الأجسام من فيض الصفات وتعشقت الأرواح من فيض الذات واتحدت الأشباح بالأرواح وأصغت أسماعها في شهود الغيب لأصوات عناديل الخطاب فسمعت بنعت العشق خطاب الخاص عند دور أزهار برقي المقامات حين قال تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فطابت به في أول سقوط نور الفطرة من زند القدرة إلى أبد الأبد بنعت السرمدية فكل شاهد بقي فيه حلاوة خطاب القدم في هذا العالم عند سماع كل صوت طيب ورؤية مشاهدة كل مليح ومستحسن واستنشاق كل رائحة طيبة يسمعون بنعت الأولية عن كل صادر من فعل الحق واسطة من الصفة والذات كأنه يسمع من الحق بالحق فكل ذرة من الكون له لسان خاص متكلم له بالكلام القديم فيهيجه من وجوده إلى بقاء الحق بنعت الفناء، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٨]، ومن ذلك حبيب الله ﷺ أشفق على كتمان الأسرار حيث قال للحادي: «لا تكسر القوارير»[١]، وقال بعضهم: السماع سفير الحق، والعارف يقول: صفير بلابل الصفة من أغصان ورد الوصلة.

الفصل السابع: في مقام الحال

من فرغ من السلوك في الوسائط المزكية أصل الفطرة عن العوارضات الحاجبة لطيفة القدسية عن معدنها الأصلي الذي هو مصدر بروز نور المحبة التي تسقط من زندها أنوار الخليقة ومكث بنعت السرمدية معدن سره عن الخواطر الشاغلة في منازل المراقبة وبقي منفرداً عن وارد الامتحان تهب من بيداء الأزل رياح الوصلة وتنشىء سحاب القربة على سماء روحه التي هي في رياض الأنس، وتمطر عليها من غمامة المشاهدة بعد لمعاتها بروق المكاشفة غيث الخطاب، ثم يظهر منها أنوار الكبرياء وسناء الجلال والجمال، فطابت الروح هناك بلذة الخطاب، وتصير منقلبة بانقلاب نوادر الواردات تخوز بنعت السكر من الصفة إلى رؤية الصفة، فكل صفة تظهر لها تجليها من نعت الأولية إلى نعتها حتى تكون في كل لحظة على ألف مقام، ومن كان بهذه الصفة صار مجذوباً، وقته وحاله مقرونان بكشوف الصفات وأنوار الذات، فكلما

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب قول الرجل للشيء ليس بشيء..، حديث رقم (٥٨٥٧) [٥/ ٢٢٩٤] ورواه مسلم في صحيحه، باب قرب النبي ﷺ..، حديث رقم (٢٣٢٣) [٤/ ١٨١٢] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

تبرز من شوامخ القدرة أنوار القربة فيتواجد ويصيح ويبكي ويرقص، وهذا أوصاف أهل الأحوال، ألا ترى كيف وصف الله سبحانه وتعالى كليمه موسى وما جرى عليه من الأحوال حيث برز الحق سبحانه بنعت التجلي له حيث قال: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وهكذا كان حال نبينا ﷺ في برحاء الوحي وتغيره عند نزول واردات الغيب عليه، وعند القوم: الحال نازلة نزلت من الغيب على صاحب قلب تغيره من أوصاف البشرية، وقال العارف: الحال وجدان القلب بروز بديهة كشف الصفة من الحق بنعت الخروج عن ظاهر الرسوم.

الفصل الثامن: في مقام الرقص

لما وقع نور بديهة المشاهدة في صميم سر العارف عند إلقاء سمعه إلى غيب الغيب تصادف روحه جمال الحق سبحانه في لباس الرضا والانبساط فتفرح بالله وتكاد تطير من بنية الإنسانية فبقيت محبوسة في سجن الفطرة متحيرة، فكلما انكشف لها نور الحق تميل إلى مصاعد الملكوت وتجر صورتها بأذيالها في هذا العالم فنعتها من الفرح بالله الرقص والحركات والدوران وأمثال هذه الهيئات، وذلك من سرعة وقوع سناء الصفات لها بوصف الاستبشار وجميع ذلك من وجدان مرادها من رؤية الصفات واستماع خطاب الخاص، وهذا ميراث آدم عليه السلام لأنه في حديث مروي: «إن آدم عليه السلام دار في الجنة ورجع إلى الحضرة وخجل، فسأل الله تعالى عنه فقال: ما هذا الخجل؟ فقال: من الفرح بجمالي فإنك ما خلقت خلقاً في الجنة أحسن مني، فقال سبحانه وتعالى: جعلت خجلك ميراثاً بخواص ذريتك من أهل المعرفة والوجود»[١]، وقال العارف رضي الله عنه: الرقص انقلاب الروح في مزار الأزل حيث ترى وجود الحق في لباس الحسن.

الفصل التاسع: في التصفيق

أصل وقوع التصفيق في الوجود من الفرح بالله حيث تبدأ في الكشوف صفات الأزلية بنعت الحسن والرضا فإذا وجد الواجد مراده من المشاهدة فهيجه وجدان حبوته في مقامات مشاهدات الصفات إلى التصفيق فليصفق من رؤية هلال المشاهدة عند بروزه في عين اليقين من سموات القدم بعد ذهاب العدم فهذا خاصة بهذا المقام، وربما يقع من تلطف الخطاب وظهور الحق في مقام الالتباس ووقوع الانبساط ونور

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

الوجد يسري في الروح العاشقة ثم تصدر منها لذة القرب إلى بنية الصورة فتجري راحتها في جميع الأعضاء؛ فيورث كل عضو علامة من الوجد كما تقع في اليد بصيرة إلى التصفيق، ألا ترى إلى الجبل موصوف بالتجلي كيف وصف الله سبحانه فقال: ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فهذا من ذلّ للصورة من صولة تجلي الحق على الروح والروحانية، قال العارف: أعلى درجات التصفيق وجدان الربوبية في العبودية.

الفصل العاشر: في الهيجان

المحب الصادق كل وقت في شبكة الجذب متهيج السر لكشوف سر الغيب في سره وشهود الروح مشاهد القرب، فإذا بدا مزيد من المشاهدة ماج بحار هيجانه شوقاً إلى زيادة المزيد، والهيجان وصف المحبين إذا كانوا مجذوبين فإذا وصلوا سكن هيجانهم، قال العارف: الهيجان ارتفاع نيران المحبة بعد كشوف جمال المحبوب.

الفصل الحادي عشر: في الهيمان

فإذا غلب عطش الشوق وبلغ المحب بعض حسن الوصال فهم من شرب كأس المحبة وزيادة القرب في القرب، فإذا صفا وقته في المحبة تبدو له بعض أنوار الوحدانية فيقع في أودية معارف القدم فتصيرها بما يذهب به سيول أنهار الصفات ولا يراه بعد، قال العارف: الهيمان له قلب المحب بنعت الحيرة في وادي الفناء في المحبوب.

الفصل الثاني عشر: في الغلبة

صفة الشاطرين في المحبة إذا شطحوا وداروا في مزار المشاهدة وشمُّوا رائحة الانبساط وذلك من صولة وارداتهم والجرأة في حالاتهم وذلك من بعض جنون السكر حين يكلمهم الحق بألسنة الوصلة وتسقط عنهم مؤن الخليقة وامتحان العبودية، قال العارف: الغلبة مصارعة العارف المعروف بعد انسلاخه من رسوم الإنسانية والتباسه بأنوار الربانية.

الفصل الثالث عشر: في السرور

إذا عشق الروح الوالهة بعروس التجلي ويدخل في رياض القدس يسر بما يعرف من الحق قبولها واصطفائيتها في الأزل، فكلما ينكشف لها أنوار الجمال تصير مسرورة من الله بالله على الله، قال تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٧١]، قال العارف: سرور العارف من معرفته بدوام الديمومية.

www.alkottob.com

الفصل الرابع عشر: في الفزع

إذا ظهر الحق بنعت الكبرياء في عين المحب يفزع من سطوات عظمته وهناك محل الامتحان اختبره الحق برؤية العظمة ليراه هل يفر منه به فإذا كان المحب صادقاً لا يقف في منزل الهيبة فإنه حجاب ومراد الحق من العارف في مقام الفزع بعد ذلك احتراقه عن الأوصاف البشرية واتصافه بأوصاف الربوبية، قال العارف: لا يذهب الفزع من العارف إلا في مقام الاتحاد والوحدة في الأحدية؛ لأن الفزع مقرون بالعلم بالله وليس هناك محل العلم؛ لأن العلوم للسلوك وليس في الأزلية مسلك.

الفصل الخامس عشر: في تخريق الثياب

إذا صفا حال المحب مع الله سبحانه ويراه بنعت مراده يزيد شوقه على شوقه ويضيق على روحه الصورة الطينية، وتصير مجذوبة بتعلقات الأنوار القدسية الملكوتية وتريد أن تخرج من الكون وتطير بأجنحة الشوق إلى المشوق فتخرق صاحبها ما عليه من الثياب وذلك من استيحاشه عن معاشرة وجود الحدث والأنس بجمال الأحد، قال العارف: هذا نعت من استغاث منه إليه وغبن باحتجاب المعشوق عنه.

الفصل السادس عشر: في الاتصاف

وإذا تجلّى الحق سبحانه لقلب المحب من سناء الصفات يستفيد المحب بشرط المعاشرة والذوق من رؤية كل صفة نوراً فيتخلق به ويتصف بصفته بعد ذهاب الحدث في القدم فيصير ربانياً، كما قال تعالى: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ [آل عِمرَان: ٧٩]، وكما قال النبي ﷺ: «تخلّقوا بأخلاق الله»[١]، وقال العارف: لم يقع الاتصاف إلاّ ويكون معه ذوق الأنانية لأن الصفة الإنسانية قد ذهبت وبقيت صفات الألوهية.

الفصل السابع عشر: في الامتحان

إذا وقع التحقيق في قلب المحب من المحبة ودخل وسط الطريق يصير ممتحناً بالقرب والبعد والكشف والغطاء والطاعة والزلة لأنه وقع في عين القبول من الأزل حتى يذوب نفسه في تدبير الحق ويفنى عقله في قهر قدرته ويزول قلبه من عتابه ويضمحل روحه من فقدان مشاهدته في خفيات حجابه وإن كان سره غير محجوب عن مشاهدة العين ومراد الحق من مزيد الشوق وارتفاع نيران العشق، قال السراج

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

رحمة الله عليه: الامتحان لقوم عقوبة، ولقوم تمحيص وكفارات، ولقوم استدعاء زيادة وارتفاع درجة.

الفصل الثامن عشر: في الشجاعة

إذا قوي قلب المحب في المحبة، دمر عن نفسه دماراً، وقطع عروق شهواتها عن بنية الإنسانية، وضرب عنق الشيطان بسيف الغيرة، ولا يبالي بكل شيء دون الله، ولا يفزع من كل شيء دون الله، ويضع قدم همته على كل شيء دون الله، لأنه ملتبس بنور العظمة في محل الإجلال يفزع منه كل شيء، قال تعالى في وصفهم: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال عليه السلام في وصف أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: «الشيطان يفر من ظلّ عمر»[١]، قال العارف: الشجاعة جرأة الربوبية في العبودية.

الفصل التاسع عشر: في التملق

التملق وصف المحب عند المحبوب وذلك من غاية حبه وشوقه له إليه، قال تعالى: «بي تملقوا»[٢] أو مرادهم من ذلك فناؤهم في الله لنيل ذوق شرب قدسه من بحار أنسه وهو بجلاله يحب تملق العارفين والمحبين لما قال لداود عليه السلام: «تملق لي يا داود فإني أحب الملق»[٣]، قال العارف: التملق حركة الحدث بنعت الفناء إلى القدم.

الفصل العشرون: في المرض

مرض المحب من سطوة الجبروت وفنائه تحت أثقال واردات الملكوت، فإذا قويت صبابته وبقي في مجمل الامتحان يقع عليه مرض المحبة لذوب روحه في سناء الهيبة واضمحلال قلبه في نيران الخوف ونور الإجلال، ويتجلى جسمه من هموم العشق وبث الشوق، وهذا المرض شفاء كل عليل من المعرفة، قال ﷺ في نعوت هؤلاء المرضى: «يحسبونهم مرضى وما هم بمرضى»[٤]، وقال العارف: مرض المحب وقوفه بين الحياء والخجل.

---

(١) هذا الحديث سبقت الإشارة إليه.

(٢) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٣) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٤) رواه ابن المبارك في الزهد، في الرضا بالقضاء والقدر عن أبي رزين العقيلي، حديث رقم (١٢١) [١/ ٣٠] وأورده المناوي في فيض القدير، حرف الراء، [٤/ ٢٧].

www.alkottob.com

الفصل الحادي والعشرون: في الشفاء

فإذا كشف ضرّ فراقهم شفاؤهم بحسن جماله من مرض محبتهم، ويخاطبهم بلطائف بره حيث يتجلى لهم بشرط الانبساط حين ينكشف سحاب العظمة عن أقمار الصفات ويربحهم مراوح أنسه ومفروجات جمال قدسه وغرائب لطيف خطابه، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وفي الحديث: «إن ذكر الله شفاء كل عليل»، قال العارف: شفاء المحب من حيث مرضه ومرضه من حيث شفائه رؤية العظمة توجب المرض، ورؤية الجمال توجب الشفاء. الأول شوق والآخر ذوق.

الفصل الثاني والعشرون: في الشهادة

إذا كان المحب مقتولاً بسيف الغيرة فانياً تحت رجاء العظمة ينال درجة الشهادة الكبرى وهي الحياة الأزلية الأبدية، قال تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عِمران: ١٦٩]، وقال عليه السلام: «أرواح الشهداء في أجواف طير خضر»[١] الحديث، قال العارف: يكون المحب في كل نفس شهيداً وشاهداً، شهيداً في معارك الكبرياء شاهداً منازل البقاء، فإذا نظر إليه الحق ويراه متعرضاً لقدمه فيرفعه من البين غيرة على الوحدانية وأين الحدثان في طوفان الآزال والآباد.

الفصل الثالث والعشرون: في التوقد

وقود نيران المحبة من زند برق المشاهدة تحرق بحرارته ما خفي في اللطيفة القدسية من سر الفطرة الحدثية فيكون بنور المعرفة مستخلصاً سبيكتها من غبار البشرية تبرق ببرق التجلي ويوقد من دهن شجرات التدلي، قال تعالى: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [النُور: ٣٥]، أنشد الجنيد قدس الله روحه وزاد جلاله [شعر من البسيط]:

يا موقد النار في قلبي بقدرته ... إن شئت أطفأت من قلبي بك النارا

قال العارف: إذا برق لوائح الكشف توقد في القلب المحب نور العشق.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة..، حديث رقم (١٨٨٧) [٣/ ١٥٠٢] والحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الجهاد، حديث رقم (٢٤٤٤) [٢/ ٩٧] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

الفصل الرابع والعشرون: في الصعقة

إذا ضاق صدر المحب عن حمل بُرَحاء[1] الوحدة يصعق، وإذا فرح ببقاء الحق حين ينكشف له أنوار الديمومية، ويتصف بالنور في النور، ويضرب عليه صدمات أسرار الأزل يصعق كما كان موسى عليه السلام، قال تعالى في وصفه حين اطلعت عليه شمس عزة القدم وتشعشعت له أنوار الصفة: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، قال العارف: صعقة المحب من رؤية كشوف عجائب الصفات وكل صعقة منها له مقام بل ألف مقام، أولها إرادة الفناء وآخرها إرادة البقاء.

الفصل الخامس والعشرون: في الشهقة

أكثر ما تقع هذه الحالة من فهم الخطاب في منازل الحضور والشهود حيث يبدو للسامع بنعت إصغاء القلب في المراقبة أنوار لطائف الخطاب، فيباشر حلاوتها أسراره فيجد لذة طيب كلام الله تعالى، فيضعف روحه عن حمل صولته فينشهق هذا إذا كان بغير إدراكه معنى الخطاب مقنعاً بالسمع ولو يلحقه معاني الخطاب فيسمع بمقدار قربه عند شاهدة الحضرة، ففي كل نوع من الخطاب وفهم معناه للسامع الصادق شهقات وزعقات على حسب الخطاب، فهم يسمعون بالتعظيم والإجلال والقرب والوصال والخوف والهيبة والزجر والعقاب، لكن لهم أيضاً من رؤية سناء الصفات وجمال الذات بغير الخطاب حالات، حال في شهود الالتباس وظهور الصفات في الفعل وجميع العين في الصفات، ولكل حال مراتب لهم في المواجيد المختلفة تغير بتغاير الألوان مثل الشهقة والصياح والتخريق، ولهذا الباب معانٍ لا أطيق أن أوردها هاهنا، وهذا المعنى من رسوم أهل الوجود نبذ، ألا ترى كيف صاح رسول الله ﷺ حين سمع كلام الله تعالى حيث قرأ ابن مسعود: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١]، قال بعض العارفين: إذا صاح العارف الصادق لله ملأ بين الخافقين صياح، وقال العارف: الشهقة من المحب إذا باداها ذوّب الفؤاد في المراد.

---

(١) البُرَحاء: الشدة، وخص بعضهم به شدة الحُمَّى. وبُرَحاء الحُمَّى وغيرها: شدة الأذى (لسان العرب).

www.alkottob.com

الفصل السادس والعشرون: في الخطف

إذا بلغ المحب إلى وادي الأزل ويترصد من حيث لا حيث مكنون غيب الصفات وتدنى دنواً أقصى غايات بذل الوجود يبرز في حين بلا حين سطوات القدوسية فيخطف أيضاً له عقله وروحه وسره وقلبه حتى لا يراه في رؤيته ويغيب في ظهوره عنه له يبقى بلا عين ويورث له سكراً من لذة رؤية بروق التجلي ويتحير بين الحضور والغيبة ليزيد له حرق الشوق منه إليه، قال العارف: الخطف خطف نار التجلي عندليب الروح الناطقة بمنقار القدم من العدم.

الفصل السابع والعشرون: في السلب

المسلوب فوق المجذوب لأنه سلبه الحق من الحدث إلى القدم ومن الرسوم إلى الحقيقة ومن العبودية إلى الربوبية لأنه مراد بالاصطفائية الأزلية حيث لا علة ولا عبودية، قال العارف: السلب إذا هاج أمواج بحار الوحدانية بعشاق جمال الأزل إلى قعر قاموس الأبد.

الفصل الثامن والعشرون: في السقط

هذ حال من غاص في بحر السكر والوله والهيمان يسقط في الدوران عن تأثير وصول أحجار منجنيقات طوارق الكبرياء والعظمة فكل سقطه من العارف من صدمة حيزوم الأزلية، روي في الحديث أن النبي ﷺ قرأ ليلاً آية التسمية في الصلاة فسقط مرآة، قال تعالى: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، قال العارف: سقط المحب في الوجد عن ثقل أحكام تجلي القدس.

الفصل التاسع والعشرون: في العوض

إذا بذل المحب ما للحق إلى الحق وينسلخ من وجوده وما يعيش به من لذائذ الأنس في العبودية فيجيبه الله به عوضاً فيبقى بالحق ولا يزول عن المقام والحال إذا لحق عوض وجوده فيبقى وجوده بلا علة، قال العارف: لو يكون المحب في بذل وجوده في رؤية العوض ورؤية الفعل والبذل فهو غير صادق فإن الكل للكل وهو متكلف في رؤية العوض. والأعواض من الحق على مقدار همم العارفين، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [البَقَرَة: ١١٢].

www.alkottob.com

الفصل الثلاثون: في التغير

تغير النفس في العبودية فترتها وملالها من طلب مفقود الغيب وذلك من قهر فعل الله عليها إذا امتنع لذة مباشرة أفعاله عنها وتغير العقل عجزها عن إدراك لطائف القدرة الأزلية وتغير القلب عن غيم الامتحان، قال عليه السلام: «إنه ليغان على قلبي» فإذا خرج عن غمامة الاختيار وتبرز له أنوار المشاهدة تتغير في ارتقائه في مراقي الدرجات فتغيره بتغاير ألوان الكشوفات الغيبية وتغير الروح من طيرانها في هواء هوية الصفات فلكل صفة فيها مباشرة وتغيرها بنعت المواجيد فيغير الصورة في أحكام الوجد والمحبة من تغاير هذه الأشكال الغيبية قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرّعد: ١١]، قال العارف: التغير في سالكي المعرفة والمحبة بعرفانهم أقدار الخليقة عند الأزلية.

الفصل الحادي والثلاثون: في الفرح

أصل هذه المقام من رؤية جمال الحق والعلم ببقائه ودوام ديموميته وسماع لطائف خطابه في حجال الأنس من نور القدس حيث يظهر سناء الآلاء والنعماء، فإذا زاد له كشف الجمال زاد له الأنس بالله، فإذا زاد أنسه به زاد الفرح به، قال تعالى: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يُونس: ٥٨]، وجملة ذلك هو من نتائج المحبة فالفرح شرائع المحب، وهو ينشعب من أحكامها التي هي محل التوحيد، والمعرفة تقديم إحسان الله وسوابقات رحمته على غضبه في حق المحبين الصادقين وكيف لا يفرح بالله من يظهر الحق له في لباس الحسن والجمال الذي يهيج قلوب المحبين إلى الفرح والسرور أبد الآبدين، قال العارف: الفرح نشاط الروح بلطائف الفتوح.

الفصل الثاني والثلاثون: في الرهبة

إذا وقع العارف في بحر المحبة فالرهبة سفينته ينجو بها من لطمات الامتحان في المحبة لأن المحب يكاد أن يجتري من ذوق الحب على إسقاط بعض الأدب فيتجلى له نور الهيبة ويزمّ نفسه بأزمة الرهبة ويمنعها بها عن الالتفات إلى عالم الرخص والرفاهية ولولا ذلك لتعطلت عنه الأحكام في سكر المحبة، قال تعالى للمنعمين عليهم تسنّي الأحوال والآلاء والنعماء: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البَقَرَة: ٤٠]، قال العارف: الرهبة حكم المحبة في العبودية ومنع المحب عن دعوى الربوبية.

www.alkottob.com

الفصل الثالث والثلاثون: في المؤاخذة

هذا مقام الواصلين الذين هم في محل رعاية الله وحفظه يحاسبهم في المراقبات وبالنقير والقطمير في المعاملات لئلا يتراكم غبن الخطرات على محل المؤانسات، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٤]، قال العارف: المؤاخذة بقية الامتحان وإفراد العبودية عن الربوبية.

الفصل الرابع والثلاثون: في الرجولية

المحب البالغ من أبطال الهيبة يجاهد بالله ويعبد الله بالله ويسقط الكون عن مسلك القدس بصولة محبة الله، قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النُّور: ٣٧] قال العارف: لا يستحق اسم الرجولية إلا لمن خرج من فرع الطبيعة وليونة البشرية.

الفصل الخامس والثلاثون: في المعروف

إذا انقدحت زنود المحبة ينشرح منها أنوار الآلاء والنعماء فكل شيء يصدر من صاحبها فهو معروف وإحسان مقبول عن أهل السموات والأرض؛ لأن وجود المحب رحمة الله على عباده وبلاده يستنقذون بهم في الدنيا والآخرة، قال عليه السلام: «أهل المعروف بالدنيا هم أهل المعروف بالآخرة»، قال العارف: المعروف لا يكون إلا من المعروف بالمعرفة والمحبة والمعروف ظهور خلق الله في خلق المحب.

الفصل السادس والثلاثون: في النوال

إذا برز الحق بنعت الجمال والرضاء في منزل الأنس يتعرض المحب إليه بنعت الطمع فيسري نواله إليه لأنه في محل المواهب فينتشر من قماطير كرم القدم سنى العطايا ما يستغرق المحب فيها ويعطى وإن لم يسأل، قال تعالى: ﴿أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: ١٠]، قال العارف: النوال من الحق يزيد المحب للمحب.

الفصل السابع والثلاثون: في الدرجات

الدرجات تتعلق بالسلوك، فإذا وصل المحب المحبوب وانقطع السير، تذهب الدرجات وبقي القرب في القرب، منازل العبودية درجات في السير، ورؤية الصفات درجات في الوصل، فإذا ظهر أنوار الذات لم تبقَ الدرجات ولا الدركات، والمحب إذا سار بالعلم بقي في الدرجات، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾

www.alkottob.com

[المجَادلة: ١١]، إذا دنا بدنو الله يفنى المحب مع الدرجات ولا يبقى إلا الحق المنزّه عن العلات، قال العارف: درجة المحب في الحقيقة حبّه وليس للحب خذلان المحبوب غير محدود.

الفصل الثامن والثلاثون: في مقام المناجاة

إذا ذهب عن ساحة الصدر غبار النفس والشيطان ولوث الخطرات المذمومة وصار القلب صافياً بصفاء الذكر وهاج من صحراء صحن الملكوت نسائم أنوار الجبروت إلى قلوب المحبين من روزنة الغيوب، وباشر لطائف التجلي اللطيفة القدسية والفطرة الأولية بوصف الحلاوة، وخاطب لسان الوصل الخفي الأزلي فؤاد المكتبين في المحبة الخالصة بأسرار القرب، يهيج صميم أسرار المحبين إلى قوام القدم ويتعرض إلى نفحات بساتين المشاهدة ويصغى أسماع الخاصة محادثة الله سبحانه وسمع مناداة الحق ونجواه مع لطيف خطابه وحقائق كلام القديم وتطيب بطيب مناجاته ولذائذ كلامه وما تظهر من الحق خصائص محبته وشوقه إلى وصال المحبين، فيناجي الله سبحانه وتعالى بغرائب النجوى، وتظهر منها عجائب الشكوى فيعرض إليه حوائجها في المحبة والشوق فيجري بينها وبين الله تعالى أسرار لا تطلع عليها أهل الملكوت، وهي بذاتها مقامات لا يعرفها إلا أهلها وهذا معروف بين الأحباب، ألا ترى كيف قال تعالى في وصف كليمه عليه السلام: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ۝٥٢﴾ [مريَم: ٥٢]، قال بعض العارفين: ما أطيب مناجاة المحبين مع حبيبهم، قال العارف: المناجاة نتيجة الافتقار إلى كنوز مشاهدة الملك الغفار.

الفصل التاسع والثلاثون: في المودة

إذا صفا الحب عن حظ المحب من المحبة، وقران المحب بلاء الحب وخرج عن امتحان بنعت تقديس العبودية، ووصل مشهد الأنس ورشح في قلبه عروق المعرفة، تنقل من مقام المحب إلى مقام الودّ ويصير متمكناً في أحكام ما تجري من الربوبية عليه، ولا يحتجب بامتحانها ويصل حبل الاصطفائية الأزلية إلى عروة عناية الأبدية، ويعرف صاحب الود من الحق مقام ودّه في ودّ الأزل يجرّ أذيال هممه إلى مقام الأمن في اليقين فلا تنكسر زجاجة أسراره وقوارير حقائقه على أحجار القهريات فيعيش بعيش الصفات ويغيب عنه بها في عين الذات وإذا كان كذلك فقد بلغ إلى نهاية الحب الذي حقائقه الود، قال السراج رحمة الله عليه: الحب فيه قرب وفيه بُعد والودّ لا فيه قطع ولا بُعد ولا قرب وأيضاً قال: الودّ وصل بلا مواصلة لأن الوصل

www.alkottob.com

ثابت والمواصلة تصرف الأوقات، وقال العارف: الودّ وصف الوصال بغير تغيير الأحوال.

الفصل الأربعون: في رضاع السالك

إذا خرج من مقام الإرادة وصل إلى بداية المحبة يربيه الحق في حجر الوصل بألبان الجمال، فإذا تمكن وبلغ مبلغ مقام أهل النهايات في المحبة يقتضي شأنه الأنس بلطائف الوصال، فمثله كمثل صبي تغذيه أمه شهيات لقيمات الحالات وهو مقام الرضاع محمول عنه أثقال التكليف لأنه في محل الأنس، والمستأنس بالحبيب لا يحتمل ضربة الامتحان، فكل شربة في الحب من ثدي كل صفة ولا نهاية للشربة لأن الصفات غير محدودة وهو بحكم الصفات فطبعه مطبوع بتجلي الصفات، قال عليه السلام: «الرضاع يغير الطباع»[1] قال العارف: الرضاع في أول ترقي الروح وطيرانها في أقطار المعارف والكواشف.

الفصل الحادي والأربعون: في الفطام

إذا خرج من بحر الصفات إلى بحر الذات، وقع في النكرة من المعرفة ويكون فطيماً من ألبان مرضعة الصفة لأنه بالغ في المعرفة، وإذا تمّ المعرفة تتولد منها النكرة، وصاحب النكرة منقطع عن الوصال والحال، ويكون في بوادي قهر الأزلية وسطوات السرمدية محجوباً من الحق بالحق وصفة الفراق في الوصال والوصال في الفراق والقرب في البُعد والبُعد في القرب، وهذا المجموع قول الصديق رضوان الله عليه: «وهكذا كنا حتى قست القلوب» قال العارف: الفطام صفة من خرج من العبودية ووصل إلى الربوبية فهنالك يسقط بنعت الغيرة من الحق إلى نكرة لا نهاية فيها.

الفصل الثاني والأربعون: في القتال

قتال المحب أوله مع النفس ثم مع الشيطان فإذا انهزما عن محل فكرة في المحبة يتعرض لنفس محبته عقله فيصرفه عن محل المعرفة ثم يقاتل قلبه غيرة على تقلبه عن محل التمكين ثم يقاتل روحه لغيرته على محبوبه لئلا يكون غيرة البين لأنه

---

(١) رواه القضاعي في مسند الشهاب، السلام قبل الكلام، حديث رقم (٣٥) [١/٥٦] والديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، وأورده غيرهما.

www.alkottob.com

في بداية التوحيد وأوائل التوحيد لا يقتضي إفناء ما دون الله، قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٩٠]، قال العارف: قتال المحب اعلام نفسه عند مشاهدة القدم.

الفصل الثالث والأربعون: في الفيض

الفيض فيض الصفات حيث تلوح أنوارها في قلب المحب فيقتبس قلبه سناء الكرم من جمال القدم ففيض الله كشوف جماله لأهل المحبة في المراقبة، قال العارف: فيض الله جذبة الصفة بالبديهة.

الفصل الرابع والأربعون: في بروز النور

بروز النور في مقام المحبة أوله نور الفعل وهو محل التباس، ونور الصفة وهو مقام المشاهدة في المتشابهات، ونور الذات وهو مقام المعرفة، قال تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النُّور: ٣٥]، وقال: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزُّمَر: ٢٢]، قال العارف: مقام النور علم والعلم كله حيرة في الحق.

الفصل الخامس والأربعون: في اللوامع

اللوامع بروق التجلي في مبادي المشاهدة فلكل لمعة لمحة في الوجد فلذلك قبل الوجد برق ولكل وجد له خلق ولكل خلق رسم في السلوك وذلك الرسم مرآة في وجه المحب تتلألأ صفة الحال منها، قال العارف: اللوامع أنوار الصفة تبرز من عين الذات بواسطة الفعل في أماكن المحبة.

الفصل السادس والأربعون: في اللوائح

اللوائح أتمّ من اللوامع لأن اللوامع مبادي الكشوف واللوائح غلبة سلطان إشراق أنوار أقمار الصفات تحدث منها حقيقة الجذب الذي يلوح نوره للأسرار الظاهرة من أكدار الخليقة لزيادة السمر في الدرجات والقرب والمشاهدة ولكن لا يدوم يحصل منه الخفاء في القبض والبداء في البسط وذلك الاستيفاء صبابة المحب وإغراؤه إلى دنو الدنو وبها يرى المحب جمال حضرة الجلال وتبصر بها بطون مكنونات الملكوت والأفعال ويتفرس بها ضمائر القلوب وأسرار الغيوب، قال العارف: اللوائح أنوار التجلي التي تجلت بها حقائق العلوم في العقول.

www.alkottob.com

الفصل السابع والأربعون: في الدهشة

إذا يرى المحب من حبيبه ما لم يره منه من الأوصاف الخفية في أماكن الصفات من غرائب حسن القدم في الذات بالبديهة ويستولي عليه سطوة الهيبة من عظمته وبهائه فيضمحل عقله ويفنى علمه ويثبت سره فيفر مدهوشاً من صدمة الجبروت وذلك عند اليأس وقطع الطمع من إدراك المشاهدة في الحال، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾ [الشورى: ٢٨]، قال الشبلي قدس الله روحه في بعض أقواله: يا دهشتاه، قال العارف: الدهشة حيرة القلب من نوادر الكشف.

الفصل الثامن والأربعون: في الاستغراق

إذا سبح المحب في بحار المحبة يكون ساكناً ما دام قريباً من شط تلك البحار، فإذا ماج موج أنوار قاموس بحر الجلال والجمال أغرقه في لجج بحر العظمة والكبرياء، ولا يقدر أن يرجع إلى الحواشي وبقي فانياً في القدم والبقاء وصفته الهيمان والوله والذهاب والسكر، قال العارف: الاستغراق لا يكون إلا في صفة المشاهدة وهو فناء المحب بالمحبة في جلال الحق سبحانه.

الفصل التاسع والأربعون: في الغمرات

كمال الحب الغيبة في أفكار هموم العشق والغوص في بحر الأنس بجمال المحبوب وشرائطها دهشة القلب من مباشرة نور البهاء في صميم الفؤاد، وإذا كان كذلك يتحير المحب في غمرة بحر المشاهدة، قال تعالى في وصف عشق زليخا: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف: ٣٠]، قال العارف: غمرات المحبة غلبة سلطان بهاء المشاهدة على الروح العاشقة.

الفصل الخمسون: في جنون المحبة

إذا استهتر المحب في المحبة بنور الحب وصار والهاً ولا يعرف أوقاته وزمانه وما يجري عليه من أحكام العبودية من غاية غيبته في الحق بفناء عقله ولبّه وعلمه فيما يجد من جمال مشاهدة الله تعالى، فسماه صاحب هذا الحال من له حكم في الطريقة عاقلاً مجنوناً ويقال للمستهترين في المحبة أنهم عقلاء المجانين وهو شأنه كأنه مرفوع القلم عنه ولكن في مقام الأدب هو مأخوذ برسم المحبين، قال عليه السلام: «لا يبلغ

www.alkottob.com

أحد إلى درجة الحقيقة إلا ويقال له مجنون»(١)، قال العارف: جنون المحبة تحير الأرواح في الأفراح.

الفصل الحادي والخمسون: في مقام محبة الله المحبين

محبة الله تعالى عند بعض شيوخ الفقه محافظة الله إياهم ودليل قولهم قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦] ونعم ما قالوا ولكن هو أول مقام أهل البداية في المحبة، وعند العارف أن من بلغ إلى مقام حب الله تعالى له فكلما يصدر عنه فهو عند الله مقبول إما محبوباً أو مكروهاً لأنه على حكم إرادة القدم وهو غير مخير ولا متكلف في محل الرضاء بالتصنع وأنه على رؤية اصطفائية الأزلية، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٥٤] أخرج فضله عن العلل الحادثة في البين وأنه كل وقت في مشاهدة جماله وجلاله محمولة عنه ما هو غيره مأخوذ به وأوصافه أكثر من أن يحصى عددها، ولا يجوز أن يفشي أسراره فيما بينه وبين الله تعالى حتى لا تتعطل أحكام الرسول عند من لا يفهم مقالتها، قال العارف: محبة الله عبده قطعه عن غيره من العرش إلى الثرى، ومحبة هذا المحب يتولد من نظره إلى عين الله وجلاله وعظمته وكبريائه، ومحبة الله له التي سبقت بنعت الاختيار لخواص المحبين، وسئل النوري رحمة الله عليه عن حقيقة المحبة فقال: هتك الأستار وكشف الأسرار، وسأل واحد عن سمنون رحمة الله عليه: ما حقيقة المحبة؟ فقال: تسأل عن محبة الله أم تسأل عن محبة العبد؟ قال: صف لي محبة الله ومحبة العبد، فقال: ويحك لا تطيق أن تسمع وصف محبة الله عبده فإني ذكرت الآن مع الخضر عليه السلام ولم تطق الملائكة أن يسمعوا.

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

الباب السادس
في مقامات المشتاقين وفيه خمسون فصلاً

الفصل الأول: في مقام الفرار

فرار المشتاقين من الله إلى الله يفر من الجلال إلى الجمال ومن العظمة إلى البهاء ومن القدم إلى البقاء لا يحمل مشاهدة الله إلا بالله، قال تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريَات: ٥٠]، فإذا تجلّى له عرائس الصفات يعجز عن حمل وارادات سطوات الصفات فيفر من الصفات إلى الذات ومن رؤية الصفات إلى رؤية الذات، وهذا وصف حال النبي ﷺ حين وصل بالحق إلى الحق في قوله: «أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[1] وهذا مقام ترقي الروح الشائقة في مدارج الذات والصفات، قال العارف: أول الفرار من الحدث إلى القدم وآخر الفرار من القدم إلى القدم.

الفصل الثاني: في الإسراع

إذا احتجب المشتاق بنور الأفعال وفيض الآلاء والنعماء تهيجه نيران الشوق إلى طلب رؤية الصفات والذات لأنه مجذوب الأزل إلى الأبد بالعناية الأولية، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٣]، قال العارف: مسارعة المشتاق تطرق من وقوف الهمة بلذة الحال إلى رؤية الجلال.

الفصل الثالث: في العطش

إذا وقع في سراب الحيرة فبدوة المشاهدة تهيمه في وادي النكرة بعد إدراك المعرفة فيشتاق من الله إلى الله، لا عن الله إلى الله فإن كمال العطش في الشوق في مقام المشاهدة، قال بعضهم: من وصل إلى الحق ذهب شوقه، فأجابه بعض الكبار وقال: حقائق الشوق في المشاهدة وأشار إلى أن جمال المشوق لا نهاية له فأيضاً

---

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

عطش المشتاق لا نهاية له وتواجد بعض العارفين يثبت وهو قوله: واقف بالماء عطشان ولكن ليس يسقيني، قال العارف: عطش الشوق من حرق القلب بنيران الجلال فيطلب مزيد الإحراق حتى لا يكون وجوده عند وجود المشوّق كالفراش يقع في نور الشمع إرادة إحراقه به وإفراد معشوقه عن نفسه.

الفصل الرابع: في البث

إذا وقف المشتاق بين الفصل والوصل يبدو له بث خوف من فقدان الوصل وبقائه في الفصل فإذا وصل لا ينقطع عنه البث خوفاً من احتجابه عنه به، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي﴾ [يُوسُف: ٨٦]، قال العارف: حقيقة البث الخوف عن التفرق لشفقته على مشوقه.

الفصل الخامس: في الشكوى

مكان شكوى المشتاق هو مقام المناجاة وشكواه بسط بساط الحاجة بين يدي الله، ويشكو منه إليه بغرائب الألفاظ ظاهراً وباطناً ويكون قبل وصوله إلى المشاهدة وبعد وصوله إليها، فإذا وجد الحق بوصف الرضا يشكو من فقدانه عند وجدانه، فإذا زاد شوقه يشكو من وجدانه إلى مزيد وجدانه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يُوسُف: ٨٦]، قال بعض المشتاقين في مناجاته: يا مأوى شكوى المشتاقين، وقال العارف: الشكوى نتائج الانبساط في رؤية المراد.

الفصل السادس: في ضيق الصدر

إذا كمل الشوق ضاق صدر المشتاق عن معاشرة ما دون الله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ﴾ [الحِجر: ٩٧]، وهو محل الفيض عند ركوب التوحيد العظمة إذا كان سيره في الكبرياء والجلال، وذلك تربيته بأنوار العزة وحقيقته من فقدان ما مكن في صدره من الشوق إلى الوصال الكلي، قال أبو المغيث رحمة الله عليه: الشوق ضيق الصدر من معاشرة الخلق، قال العارف: ضيق صدر المشتاق من خوف زوال الشوق عنه وذهاب الوارد.

الفصل السابع: في السؤال

مقام السؤال في مهمة بلايا الشوق حيث يحتاج المشتاق تخليص قلبه من حرق لوعات الفراق. فيتعرض لمقام المناجاة فيسأل منه مشاهدته وحسن وصاله والأنس في

www.alkottob.com

حجر دنوه، ولا يسأل إلا بالأدب حيث يعرف من الحق حسن الرضاء، وسؤاله على وفق حاله من إدراك جمال الصفات وذلك لا نهاية له لأن المسئول لا نهاية له، ومحل السؤال محل القرب، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦]، قال العارف: سؤال العارف أمر الله إياه إلى طلب مزيد الفناء فيه.

الفصل الثامن: في حسن الظن

سر المشتاقين مشاهدة حسن اصطناع الله له، وخاصيته الاصطفائية وما سبق له من الكرم في القدم فيقع بينه علم بالله ومشاهدة رضاه، فلا يتغير عند اضطراب المكرمات في محل الامتحان، فمن ذلك يفرحون بالله ويشتاقون إلى جماله وينكشف جمال الحق بوصف مرادهم لأنه عند ظنونهم، قال تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي» وقال عليه السلام: «حسن الظن بالله من عبادته لله هاهنا معرفته بالله»، وقال العارف: حسن الظن من جلوة جمال القديم في أرواح المشتاقين وهو سرور يقع من نور فيض العناية.

الفصل التاسع: في الحجاب

حجاب أهل البداية ما يتعلق بهذا العالم، وحجاب المتوسطين ما يتعلق بعالم الآخرة، وحجاب أهل النهايات امتناع جمال القديم بوصف الغيرة، وهذا أصعب الحجاب لمشاهدة الحضرة لبعضهم تأديب، ولبعضهم تذويب، ولبعضهم تقريب، قال الواسطي رحمة الله عليه: كل مبتغٍ لمعنى من المعاني محجوب عما استتر، وكل مستقر في مقام محجوب عما أشار. والتمام منهم هو الغيب عن شاهده يشاهد غيره والفاني عما هو فيه بما شاهد من غيره، قال العارف: الحجاب عقوبة على كل حال وقليل منهم تخلصوا منه يقطع نسبة القدم عن الحدث.

الفصل العاشر: في الإضاءة

إذا تغرّب قلب المشتاق في ضباب العظمة ويطلب الحق بالحق يضيء نور الفعل ثم يضيء نور الصفة ثم نور الذات ويبصر بالحق والجمال الحق ويدرك به الجبروت والملكوت، وهذا منزل من منازل صديان بحار الأزل الذي عند تحيره في طلب جماله حيث غاب الحق بالحق عنه، قال العارف: الإضاءة بروز برق تجلي المشاهدة في مقام الغربة.

www.alkottob.com

الفصل الحادي عشر: في تمني الموت

إذا تضوّع نفحات المشاهدة واستنشقها المشتاق يهيج إلى زيادة القرب فيبرز له جمال الأزل بنعت الأنس في الحسن فيتلذذ به مشتاقه ويريد أن يبقى فيه ويعلم أن حقيقة ذلك لا يكون إلا بمفارقة القدسية عن بنية البشرية فيتمنى الموت بوصف الرضا، قال تعالى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤]، لم يلتفت إلى رسوم النبوة ويختار الشوق إلى جماله فيترك ما هو دونه، قال: ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البَقَرَة: ٩٤]، قال عليه السلام: «من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه»[١]، قال العارف: المشتاق محبوس الامتحان وكمال مراده أن يخرج من الامتحان.

الفصل الثاني عشر: في الموت

إذا برز الحق بوصف العظمة ينكسر المشتاق تحت سنابل حيزوم الأزل ويموت بالعظمة عما دون الله ثم يفارق عن وجوده ورب مشتاق قد مات في رؤية مشوقه، وهكذا كمال الشوق والمشتاقين إذا ظهر لهم مشوقهم بالبديهة، قيل: الموت راحة المشتاقين، قال عليه السلام: «تحفة المؤمن الموت»[٢] قال العارف: موت النفس في مقام الخوف وموت العقل في مقام الإجلال وموت الروح في رؤية القدم وهذا الموت بالحقيقة حياة، قال تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عِمرَان: ١٦٩].

الفصل الثالث عشر: في العطف

إذا مال قلب المشتاق على نعته طلب المشاهدة إلى عالم المستحسنات ليرفع عن مشهد تجلي الصفات حظ الروح العاشقة بجمال القديم عن مقام الالتباس فإذا وصل إلى مقصوده من شرب صفو الحال يكاد أن يسكن إلى وسائط القرب بميله، عطف الله تعالى في حقه أزمة إرادته إلى كمال قدسه لأنه في محل المراعاة والرعاية ويكون محفوظاً لا يتركه في محل الوقوف، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسرَاء: ٧٤]﴿إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ﴾ [الإسرَاء: ٧٥]، قال العارف:

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب طلوع الشمس من مغربها، حديث رقم (٦١٤٢) [٥/ ٢٣٨٦] ومسلم في صحيحه، باب من أحب لقاء الله. . ، حديث رقم (٢٦٨٤ ـ ٢٦٨٥) [٤/ ٢٠٦٦] ورواه غيرهما.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الرقاق (٧٩٠٠) [٤/ ٣٥٥] والقضاعي في مسند الشهاب، هدية الله إلى المؤمن. . ، حديث رقم (١٥٠) [١/ ١٢٠] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

من استحسن شيئاً دون الله أوقفه الله عليه، وأصل العطف حفظ الله تعالى سائقه عن الوقوف على شيء دونه.

الفصل الرابع عشر: في البشارة

بشارة الله للمشتاقين حيث مدّ بهم قهر جلال العظمة وأوقعهم في بحر الإياس عن إدراك أنوار القدم والوصول إلى مشاهد الأزل والتحير في مهمة سبل الصفات فإذا لم يجد السالك للوصول منافذ يهاديهم ويبشرهم بدنوه منهم ووصوله إليهم بتعريفه إياهم حقائق قرباته ولطائف مداناته فهم عند ذلك طارت أرواحهم وفنيت عقولهم وطاشت أسرارهم فرحاً بجماله وحسن وصاله، قال الله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ [التوبة: ٢١]، قال العارف: البشارة سفير الله يخبر عن رضوان الأزل عن شواق جمال شاهد الأبد.

الفصل الخامس عشر: في الاضطرار

إذا غلب الشوق على المشتاق ويريد أن يذوب في شوقه من كمال الشوق وهو مباشرة حلاوة المحبة مع لطائف المشاهدة في قلبه يتعرض لمشهد قرب القرب ويطلب وصول الحق بنعت الثناء في التواضع من عجزه في جمال القدم وقلة إدراك مراده منه، يستغيث منه ويسأل الله بنعت الاضطراب بقاءه في مقام المشاهدة، فيعلم الله سبحانه فناءه وعجزه واضطراره وقلقه في حبه وأمانته في شوقه فيأخذ يده ويقيم أوَدَه ويجيب دعوته ويبقي له جمال الكشف حتى يستوفي مشتاقه المضطر حظاً وافراً من مشاهدة القدم، قال الله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢]، ولهذا المضطر مباح أن يتعلل في الغيبة في كل مستحسن في الكائنات من طيب وسماع وجمال، قال الله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]، يعني إذا لم يجاوز من مقام المحبة إلى الطبع البشرية، قال العارف: لا يقع الاضطرار إلا للأحرار حيث يرون الله بوصف الذوبان والهيمان.

الفصل السادس عشر: في الاحتياج

لكل نفس الشائق حاجة حيث أوقعه حلاوة حاله إلى الله تعالى ليخلصه عن محل الامتحان ويوصله إلى حقائق العرفان ويريه بدايع لطائف قربه ويكشف له أنوار جمال صفاته وذاته ويعرفه نوادر علوم الأسرار من أحكام الربوبية والألوهية ولا تنتهي حاجة المشتاق أبداً لأن جمال المشوق غير محدود، قال العارف: احتياج المشتاق عجز في الربوبية وطبع الوصول إلى الحقيقة.

www.alkottob.com

الفصل السابع عشر: في العرض

إذا بقي المشتاق في ضباب النكرة وانطمس عنده طريق المعرفة يعرض عجزه عن إدراك هلال جمال القدم في غيوم العدم ويطلب من الحق سبحانه كشف الصفات من الآيات وكشف الذات من الصفات، قال العارف: عرض المشتاق متعلق بعرض المشوق لأنه يعرض لعاشقه في كل نفس جمال جلاله من روازن حجرات ملكوته ويتجلى من خزائن جبروته.

الفصل الثامن عشر: في التعريض

هذا الحال إذا وقع ضيق الصدر من شدة القبض، ويحرس لسان السر عن المخاطبة في مقام الانبساط، ويكون المشتاق في أماكن الحضور ويبدو له نور البسط لا يجري أن يتعذر أو يتكلم ولكن يحرك سره بتحرك همته إلى التعريض في عرض حاله إلى حضرة الجلال ويسأل مراده بنعت تعريض السر، وهذا صفة من كان في مقام الحياء والخجل فانٍ عن الحال والمقال، فإذا هاج رياح العناية في مهبّ صفاء الوقت يسكره أنوار التجلي ويقربه إلى الانبساط والمحادثة، قال العارف: التعريض وصف الخامدة من كمد القبض في معركة قتلى الامتحان بسيوف الشوق.

الفصل التاسع عشر: في مقام الفراق

حقيقة تنزيه الأول يوجب فراق الكل عن مشاهد إدراك وصل القدم بنعت المعرفة على الكنه لأن الصمدية ممتنعة عن إدراك الخليقة وجود الموصوف بالوصف والقصد، فإذا كان كذلك فأين الوصال للأحد تعالى عن أن يدرك الحوادث، والحمد لله الذي لم يكن بينه وبين الكون وما فيه علة أو نسبة، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، والحمد لله الذي لم يخص أحداً في هذا المقام بالفراق بل الكل محجوبون عن معنى جلاله، لكن ما أشار القوم فيه أن الذي وقع في امتحان الفترة والاستيحاش بالفراق عن الزلة فيكون محجوباً لعوارض البشرية عن مشاهدة القرب ولا يكون ذلك إلا لإبطال المعرفة الذي يعرض الوقائع المعرفة وتجلي القدم حجبهم الله ويعاب بحسنه عن حسنه وبجماله عن جماله وبجلاله عن جلاله غيرة بالربوبية وزيادة عرفانهم في القربة وإذابة أرواحهم في الشوق وإفناء أسرارهم في العشق، ألا ترى إلى شأن آدم عليه السلام وأكل الحنطة وشغل نوح عليه السلام بالمسألة وكيف

www.alkottob.com

قال النبي ﷺ: «إنه ليغان على قلبي»[١]، قيل: الفراق خطب عظيم ينزل بكل حرّ كريم، قال العارف: الفراق نيران الغيرة تنقدح من زند العزة.

الفصل العشرون: في العذاب

عادة أمر المحبة انقلابها بالوصل والفصل فإذا كان سائر الشوق يسري في لطفيات الصفات فهو في منازل الأنس والراحة وإذا كان سيره في قهرياتها فهو في منازل العذاب لأنه يسبح في بحر النكرات وهناك استتار واحتجاب، قال العارف: عذاب المشتاق فقدان راحة الشوق.

الفصل الحادي والعشرون: في النجاة

نجاة المشتاق نجاة من نفسه بالمجاهدة ومن شيطانه بالمحاربة ومن طبعه بفيض القربة ومن البعد بالقرب ومن الستر بالتجلي ومن القهر باللطف ومن الله بالله، وحقيقة النجاة وصول الشائق مقام الأنس لأن هناك تنكشف لطائف جمال القدم بغيرة النكرة ويسمع لطيف الخطاب بغير تغيير ولا توبيخ، قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٢]، قال العارف: لا تكون النجاة للمشتاق إلا في منزل الاتحاد لأنه في محل الربوبية بغير العلة.

الفصل الثاني والعشرون: في الطمع

إذا عرف المشتاق دلال عرائس القرب يطمع في معالي مقامات الوصال لرؤية مشاهدة جمال الأزل بنعت الرضاء ولا يكون ذلك إلا بعد ظهور الحق له بعد إياسه عن الوصول إلى معرفة القدم جلّ عزه وتعالى شأنه، قال تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السَّجدَة: ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعرَاف: ٥٦]، قال العارف: الطمع معرفة الروح بقبول الحق في سبق السبق.

الفصل الثالث والعشرون: في الأماني

أماني المشتاقين أطماع الأرواح القدسية حقائق وصولها عن عين جميع الصفات بنعت الاتحاد، يا فتى من تعلم أماني الأشواق في منازل الأنس ولمعان أنوار القدس

---

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

وهي انتهاء الروح العاشقة بجمال القدم حيث ترى مواقع مرادها من الحق سبحانه، قال: ﴿وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٢]، قال العارف: أماني أهل الشوق ما يتولد منها صدق المراد.

الفصل الرابع والعشرون: في التمني

إذا بلغ الشوق إلى محل الكمال فأدنى ما يشتهي المشتاق ويتمنى هو مفارقة روحه من الصورة الترابية ووصوله إلى جمال الحق سبحانه وأعلى تمنيه كشف بلا حجاب ورؤية بلا عذاب أعني عذاب البُعد، قال تعالى: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البَقَرَة: ٩٤]، قال العارف: التمني وجدان برد حلاوة مقام يتضوع نفحاتها المشتاق الحق في محل فقدانه.

الفصل الخامس والعشرون: في الحبس

حبس الله أرواح المشتاقين في أسجان الشوق، فإذا طارت أرواحهم في حجب ممالك الغيب فلا تطيق أن ينفذن من أقطار المعرفة إلى كنف أنس المعروف وذلك لترقيها من الحدثان إلى جمال الرحمٰن، قال العارف: الحبس رياضة الروح في الفصل لسرعة الوصل.

الفصل السادس والعشرون: في المنع

منع الله المشتاقين من ذبح أنفسهم على باب الربوبية، ثم منعهم من الالتفات من حسن جماله إلى مستحسنات الكون، فإذا أرادوه بوصف الوصول تصديهم قهريات منع القدم لئلا ينظروا إلى الحق بعلة العبودية، قال العارف: المنع عند العشاق وهو غيرة العشق والمعشوق.

الفصل السابع والعشرون: في الذوبان

إذا أنقذ نيران القلب بنار الشوق من نور وجهه المتجلي جلّ جلاله بجلاله حيث برزت الروح الشائقة من مكمن القدرة بالقدرة الأزلية تذوب الفطرة المقدسة الإنسانية واللطيفة الملكوتية في أنوار الكبرياء بصولة سطوات العزة والعظمة حتى لا تبقي القلب والروح والعقل في مشاهدة الله، وتذوب هذه الجواهر القدسية بنور القدس فيظهر هنالك إفراد الوحدانية بالوحدة عن الحدثان عند أسرار مقام الذوبان، وَمَنْ لم يذب في الشوق ولم يذق طعم لطائف الشوق؟ قيل: غلب شوق الله على بعض العشاق فذاب تحت مرقعته، قال العارف: ذوبان النفس بالقلب وذوبان القلب بالرب.

www.alkottob.com

الفصل الثامن والعشرون: في الانتظار

وصف مراقب المشاهدة الذي فني عما دون الله بالله يترصد فتح أبواب فتوح الكشوف من عالم الغيوب، وينتظر فزع طوارق التجلي باب الروح الناطقة بأظافير لطائف القربة والمنتظر محرق في انتظاره كشف جمال الحق وكثير نفع له منتظرة بالبديهة والغرض في ذلك تربية العشق وزيادة الشوق، قيل في الحديث: الانتظار موت أحمر، قال العارف: الانتظار عقوبة الأحرار.

الفصل التاسع والعشرون: في السبق

السبق للعشاق سبق عناية المعشوق حين اصطفاهم بمحبته وشوق جماله قبل القبل فهم شائقون بالأرواح في الملكوت والجبروت حين يكلمها الله بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فسمعت خطابه فبقيت في الأشواق إلى رؤية جمال الحق سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر: ٣٢]، قال عليه السلام: «سبق المفردون» قيل: وما المفردون؟ قال: «المستهترون بذكر الله»[1]. قال العارف: السبق سبق شوق الله للمشتاقين، قيل سباقتهم بشرط الأرواح في الأشواق.

الفصل الثلاثون: في المناداة

إذا استغرق المشتاق في بحر هموم المحبة وتحير في وادي المحبة وصار مصروعاً بصواعق العظمة مطروحاً على باب الأزلية يناديه الحق بألحان بلابل الصفات في أماكن حجال الأنس ويدعوه بنداء كلامه ولطيف مناداته منه إليه ليغيثه من معادن التحير فيتكلم منه بأنباء عجيبة وأسرار غريبة وهذا المقام يكون قبل المشاهدة وبعد المشاهدة، قال تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ [مريم: ٥٢]، قال: ينادي المشتاق بالأسرار وينادي المشوق بالأنوار وللمناداة مقامات لا يعرفها إلا صاحب الخطاب الأزلي حيث انفرد الحق له بالكلمات الأبدية.

الفصل الحادي والثلاثون: في الأنين

إذا انكسر المشتاق تحت وطأة الجبروت ومرض بجراحات سيوف تجلي الملكوت يئنّ بأنفاس القربات ويحنّ بلوعات المداناة حين يحترق بنيران الفرقة في

---

(١) رواه الترمذي في سننه، باب العفو والعافية، حديث رقم (٣٥٩٦) [٥/٥٧٧] ورواه غيره بألفاظ متقاربة.

www.alkottob.com

غربة أسراره في قفار الديمومية وصحاري الأزلية، قيل: إن الله يحب أنين العارفين، وفي الحديث: «إن الله سبحانه يسمع أنين أوليائه ويباهي به أهل ملكوته»، قال العارف: أنين المشتاق صفير روح العاشقة في حبس المحبة.

الفصل الثاني والثلاثون: في البكاء

أخص وصف المشتاقين البكاء وهو عرق قلب المشتاق إلى جمال المشوق، وله أصل، وذلك من تأثير حرارة الروح من أنوار التجلي، وهو علامة كل مقام في المعرفة فعلى قدر كشف الصفات يكون البكاء ولا نهاية لكشف الصفات فإذاً لا نهاية لبكاء المشتاقين، من مشتاق يبكي من رؤية العظمة ومن مشتاق يبكي من رؤية كشف الجمال والجلال أو القدم أو البقاء أو من سماع الخطاب أو من كشف الحجاب من عيون بحار الذات ولا يحصى عدد هذه المقامات فإنها كشوف الأزلية وهدايا السرمدية، ولا يعرفها إلا أهل الشوق والمعرفة. قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣]، وقال عليه السلام في بعض دعائه: «اللهم ارزقني عينين هطالتين تبكيان من خشيتك»[(١)] وضع عليه السلام حقائق البكاء على محل العلم بالله فإنه أشرف المراتب في المقامات والبكاء منها أجلى البكاء لأن صاحبها وقع في رؤية العظمة والكبرياء والجلال، وهذه الصفات ليس فيها خفاء البشرية في مباشرة حلاوتها قلوب الطائرين إليه بأجنحة الشوق والبكاء، قال العارف: البكاء من المشتاق المتحقق في شوقه بكاء منه به له عليه، قال السراج رحمة الله عليه: البكاء طيران الأرواح إليه بالحنين.

الفصل الثالث والثلاثون: في التأوه

هذا وصف صاحب حال له قلب قلق حزين مملوء من المحبة والشوق، فإذا غلب عليه تعذيب دلال المحبة من طول الفراق ونيران الأشواق ويضيق صدره من عظم ركوب بُرَحَاء[(٢)] سطوات العظمة ويذوب قلبه من تواتر كوارث تجلي الصفات،

---

(١) رواه ابن رجب الحنبلي في التخويف من النار، الباب الثاني والعشرون في ذكر بكاء أهل النار. . ، [١/١٤٨] ورواه الطبراني في الدعاء، باب ما كان النبي ﷺ يدعو به. . ، حديث رقم (١٤٥٧) [١/٤٢٩] ورواه غيرهما.

(٢) البُرَحاء: الشدّة والمشقة، وخص بعضهم به شدة الحمى. . ويقال للمحموم الشديد الحُمَّى: أصابته البرحاء.

www.alkottob.com

وتفنى روحه من لوعات الإجلال في رؤية الذات يتأوّه، تصعد أنفاس المعرفة والعشق، كما وصف الله تعالى خليله حيث قال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ﴾ [هُود: ٧٥]، يعني يتأوه في الوجد والحال من غلبة الشوق وهذا من أعلم علامات العارفين، قال العارف: التأوّه صرير أقلام الصفات على ألواح الأرواح.

الفصل الرابع والثلاثون: في الغصة

غصة أهل العشق إذا غاصوا في بحر الفقدان تتراكب على قلوبهم غيوم شدة الفراق فتأزّ أرواحهم بنيران المحبة في الصدور فينحدر شقاشق المحبة إلى حلوقهم فيشتدّ فيها فيريدون أن يبلغونها فلا يقدرون وهي معجونة بمرارة الحرقة حتى تنزل على قلوبهم جنود أنوار السكينة وتهب فيها نسائم روائح الزلفة فتهيجهم إلى بسط الشكوى بنعت البكاء والغصة فتندفع ألسنتهم من الكلام لغلبة مرارة الفراق والفقد في الوجد، قال العارف: غصة المشتاق لقمة داء الفراق لا تسوغها إلا بمروق شراب الوصال.

الفصل الخامس والثلاثون: في الدنو في الوجد

إذا كان المشتاق مجذوباً بالوجد ولم يكن محجوباً بحلاوته وتسير روحه بمركب الوجد في بيداء الربوبية فيجد الموجود بعد الوجد فيدنيه الحق به إليه وهو بدنو أمنه فيسكن بالحق من الوجد، قال تعالى: ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النّجم: ٨]، قال العارف: الدنو في الوجد دنو في الحجاب أعني حجاب الوجد فإذا خرج من الوجد إلى الصحو فهو في حقيقة الدنو بغير حجاب، كما قال الحلاج [شعر من البسيط]:

الوجد يطرب من في الوجد راحته   والوجد عند ظهور الحق مفقود
قد كان يطربني وجدي فأشغلني   من رؤية الوجد من في الوجد موجود

الفصل السادس والثلاثون: في الوارد

هو ما يرد على قلب المشتاق من بديهة الوجد المتولد من تجلي الحق بالبديهة فيورث القلب عند وروده حلاوة صفاء الذكر في الغيبة ورفع الحجاب عند مباشرة الوجد فيشهد القلب عند الرب بتواتره عند عناية الحق فكل وارد من ظهور تجلي صفة من الصفات ولا يحصى عدده لأنه يتعلق بكشوف الجمال والجلال، قال ذو النون قدس الله روحه: وارد حق ما يزعج القلوب، قال العارف: الوارد يريد المداناة عند وقوع المعاينات.

www.alkottob.com

الفصل السابع والثلاثون: في البادي

إذا ظهر من غيب الجبروت ولطائف الملكوت ما تقر عيون أهل الشوق بالفجاءة يسمى ذلك البادي وهو الذي يبدو على قلوب الحاضرين في حضرة الجلال من أنوار المشاهدة ويفنى عنها بإشراقها كلما سكن في أماكنها من دون الله ويبصر به العارف جمال الحق ويعرف به حقائق الأكوان والحدثان، قال: الخواص إذا بدا بادي الحق فنى كل باد، وقال العارف: البادي شروق شمس الصفات بعد فناء الآيات.

الفصل الثامن والثلاثون: في الهجوم

إذا كان قلب المشتاق في محل الحضور ساكناً بلطائف الأنس يطلب خفايا السر ووصول المشاهدة ويكون مراقباً لبوادي أنوار الغيب فيبرز نور إشراق جمال الحق سبحانه ويعكس عليه سناء القدم ويباشر سره وقلبه وروحه وعقله ثم يهجم عليه حال قوي من قوة الوارد وذلك حال يظهر من فرح وجدان قلبه ذوق حلاوة المشاهدة والجمال ذلك وارد يهجم عليه بنعت الإزعاج على النفحات وربما لم يكن صاحب الهجوم حاضراً فيدركه له فيض تجلي القدس فيصير هائماً بالبغية، قال بعض أهل العلم: الهجوم ما يرد على القلب لقوة الوقت بغير تصنّع، وقال العارف: الهجوم ازدحام جنود أنوار المشاهدة بالبداية.

الفصل التاسع والثلاثون: في الأخذ

أهل المراقبة في الشوق في محل الإخلاص على خطر المؤاخذة عند جريان الخواطر المذمومة فكل خاطر يشير إلى غير الله يوجب الحجاب وهو مأخوذ به إذا لم يدفع الخاطر بالهمة، قال تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٤]، وهذا تعذيب القلب وتربيته في الشوق، وللأخذ معنى آخر وهو أن يلحق العبد لطافة الوجد حين يبدو نوره في القلب يأخذه بحلاوته عن التفرق وهذا في الشوق لأهل الكمال فإذا زاد غلبته في الوجد والغشية يسمى مأخوذاً وهو آخر مقام الجذب وأتم من المستلب، قال العارف: المشتاق مأخوذ بالحال وذلك أول مقام الجذب وآخره الغيبة في الوجد.

الفصل الأربعون: في الجذب

ظهور جمال القدم بنعت إيقاعه نور الصفات في قلب المشتاق حيث تحوي الروح المقدسة وترشدها إلى معادن الفطرة فهو الجذب الذي قال عليه السلام: «جذبة

www.alkottob.com

من جذبات الحق خير من عبادة سنة» قيل: جذب الأرواح سير القلوب ومشاهدة الأسرار، قال العارف: الجذب جر الأسرار بسلاسل الأنوار.

الفصل الحادي والأربعون: في الانزعاج

إذا بدا السر المفرد المحترق بنيران الشوق لوائح كشف الصفة حيث تترنم بلابل القرب بألحان الإلهام ينزعج المشتاق من الحدثان إلى جمال الرحمٰن ويكون كشرر النيران حين انصرف من غلبة الاحتراق، قال السراج: الانزعاج تحريك القلب إلى المراد باليقظة من سنة الغفلة، قال العارف: الانزعاج ارتفاع الشوق بنعت الوله من المشتاق إلى المشوق.

الفصل الثاني والأربعون: في الاحتراق

إذا بدا أنوار الكبرياء والعظمة حين اصطادت أرواح المشتاقين تحترق أسرارهم في أنوار الجلال وصاروا محترقين بالله في الله لله، قال العارف: الاحتراق انسلاخ السر بنعت العشق من دون الله.

الفصل الثالث والأربعون: في البله

إذا كان المشتاق مسلوباً بالأنس مأخوذاً بالقدس والهاً في الشوق متحيراً في العشق تغلب عليه لذة الأنس وتكون حركاته بغير اختياره ويزعجه الفرح بالله إلى أول السكر فيهذي من الفرح ولا يعرف شأنه في المعاملات وهذا صفة المتلونين، قال عليه السلام: «أكثر أهل الجنة البله»[١] عنى بالجنة، والله أعلم جنة المشاهدة في هذا المقام، قال العارف: البله حيرة في تيه الوصال.

الفصل الرابع والأربعون: في النياحة

إذا كان المشتاق في مقام الفقد ويزعجه لوعة الفراق ويصفو وقته بصفاء ذكر المشاهدة ويطيب قلبه بذكر ما مضى من أيام الوصال يتحرك سره بنعت الشوق إلى البكاء والنياحة في المناجاة ونيحت وينوح بعبارات دلال المحبة والعشق كالثكلى المحترقات فينالها من صفو حالهم وطيب مناجاتهم وما يجدون في تلك الحالة من

---

(١) رواه القضاعي في مسند الشهاب، باب إن أكثر أهل الجنة البُله، حديث رقم (٩٨٩) [٢/ ١١٠] والديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، حديث رقم (١٤٦٣) [١/ ٣٦٢] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

مراعاة الحق جلّ جلاله وقلوبهم بكشف ودائع الأسرار مع لطيف خطابه وإظهار جماله لهم ودفع الهموم عنهم، قال العارف: نياحة المشتاق شكاية منه إليه.

الفصل الخامس والأربعون: في الأزيز

وهو قلق القلب المشتاق عند ورود واردات الغيب على سره من الخطاب وعين التجلي والمداناة فإذا تتابعت هذه الأحكام على صدره والتهب سره بنار الشوق بنعت إدراك سناء القرب يأزّ ويقلق من صولة الحال والوجد، كما كان النبي ﷺ يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء، قال العارف: أزيز القدر في الوجد انزعاج القلب تحت أثقال لطائف الربّ.

الفصل السادس والأربعون: في أصل الشوق

وهو كمال المحبة وصفو حال الخلة وابتهاج السر إلى لقاء المعشوق ولا يكون الشوق إلا بعد المحبة ويعتريه الغيبة بعد المشاهدة ويطري على المحب فقدان بعد الوجد فإذا كان الحال كذلك يهب من قلب جريح رياح الصبابة بنعت الفرح بالله فيكون ذلك الحال شوقاً، وقال تعالى: «شوقناكم فلم تشتاقوا»[١]، وقال عليه السلام في دعائه: «اللهم شوقني إلى لقائك»[٢] قيل: الشوق نار أشعلها الله تعالى في قلوب أحبابه حتى تحترق بها ما في قلوبهم من الإرادات والخواطر والعوارض والحاجات، وقال العارف: الشوق نور ممزوج بالسرور.

الفصل السابع والأربعون: في الصبابة

إذا غاص الشائق في غمرة الشوق واستغرق فيها ولا يجد ساحلها ويفنى غريقاً ملهوفاً فقد أصابه الصبابة التي هي كمال المحبة والشوق فيحترق بنفس النار ويزفر بنفس النور ويحن روحه باستنشاق طيب نسائم الوصلة، كما قال أبو سعيد الأعرابي:

---

(١) أورده الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، حديث رقم (٦١٦٤) [٤/ ٥٢] ونصه: عن أنس: ما من ليلة إلا ومناد ينادي من بطنان العرش يا بني آدم إن الله تعالى يقرئكم السلام ويقول شوقناكم فلم تشتاقوا وخوفناكم فلم تخافوا ونحنا لكم فلم تبكوا أبالليل تنامون وبالنهار تغفلون المنزل الطويل متى تقطعون يا أبناء العشرين جدوا واجتهدوا يا أبناء الثلاثين لا عذر لكم يا أبناء الأربعين والخمسين زرع قد دنا حصاده يا أبناء الستين والسبعين مهلاً عن الله مهلاً» وأورده السيوطي في الدر المنثور، سورة الأعراف الآية (١٤٤ ـ ١٤٥) [٣/ ٥٥٢] وأورده غيرهما.

(٢) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

الصبابة حنين الروح إلى طيب المناسمة، قال العارف: الصبابة غمرة الشوق ومهواة العشق.

الفصل الثامن والأربعون: في ذهاب الشوق

إذا وجد في مقام الشوق نسيم الأنس عند ورود نفحات الوصال يسكن في الشوق من الشوق ويذهب عنه كلفة لوعة نيران الشوق، وهذا مقام غير معروف إلا عند أهل الكمال من المتمكنين الذين عرفوا علل المقامات ونتائج الحالات، قال العارف: ذهاب الشوق في الشوق من وجدان المشوق في الفقد.

الفصل التاسع والأربعون: في الاشتياق

أول الشوق المحبة وأوسطه الصبابة وآخره الاشتياق لأنه حد الكمال بعد الكمال والشائق إذا بلغ مقام الاشتياق يشتاق إليه الحق سبحانه وهو وجدان شوق الأزل في شوقه ولا يسكن هناك من الاشتياق لأن الاشتياق لا يقبل التسلي وإن صادف صاحبه مقام المشاهدة، قال النصراباذي رحمة الله عليه: للحق كلهم مقام الشوق وليس لهم مقام الاشتياق ومن دخل في محالّ الاشتياق هام فيه حتى لا يرى فيه أثر ولا قرار وهذا المقام يوجب تحقيق بقاء الشوق في مشهد القرب بعد اللحوق بالوصال، قال العارف: الاشتياق صعود نيران الشوق من نور الصدق.

الفصل الخمسون: في الشوق في مقام المشاهدة

إذا وصل إلى جمال الحق سبحانه وأدرك فيض نور حسن القدم، وعرف سرمدية الصفة بنعت الخير عن إدراك كنه الجلال يبقى معه الاشتياق أبد الأبدي لأن جمال المشوق غير محدود ولا محصول له بوصف استيفاء الكل، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، قال الأستاذ أبو علي: هذا المعنى في الفرق بين الشوق والاشتياق، كان يقول: الشوق ممكن باللقاء والرؤية والاشتياق لا يزول باللقاء، واعترض واحد على بعض العارفين وقال: وهل يكون الشوق بعد المشاهدة، فقال: هناك يريد الشوق بالشوق، قال العارف: كيف يسكن الشوق في المشاهدة وحقائقه تتشعب منها، وواشوقاً إلى الشوق في المشاهدة، وفي هذا المعنى أنشد [من البسيط]:

ما يرجع الطرف عنه عند رؤيته — حتى يعود إليه الطرف مشتاقا

www.alkottob.com

الباب السابع
في مقامات العاشقين وفيه خمسون فصلاً

الفصل الأول: في مقام الذوق

بدوّ مقام العشاق ذوق كوس بحار التجلي فإذا ترصدوا لوقوع أنوار القرب في قلوبهم واستنشقوا روائح الغيوب تنكشف أوائل بوادي نور الصفات فيجدون منها بعد مباشرتها صميم أسرار أرواحهم طيب ذوق سناء المشاهدة في المكاشفة، قال ذو النون رحمة الله عليه: لما أراد أن يسقيهم من كأس محبته ذوّقهم من لذاذته وألعقهم من حلاوته، قال العارف قدس الله روحه: الذوق حياة المريدين وفيه عيش الماكرين نظم [من الرمل]:

إنما الكأس رضاع بيننا ... فإذا ما لم يذقها لم يعش

الفصل الثاني: في اللذة

فإذا شرب العاشق شراب القرب من أقداح الأفراح استلذّه وصار فوق أهل الذوق بوجدانه بعد ذوق الحلاوة وهي سير نور المشاهدة في معادن السر، ألا ترى إلى قوله عليه السلام كيف سأل سبحانه قوله: «أسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم» فإذا دنا عليه السلام أن اللذة مقرونة بكشف المشاهدة وهي أتم من الذوق، قال العارف قدس الله روحه: اللذة وجدان طعم الوصال في رؤية الجمال.

الفصل الثالث: في الطعم

فإذا امتلأ العاشق من خوان المشاهدة وجلس على بساط المؤانسة فقد طعم ثمرات أشجار المشاهدة وعرف حقائق الوصلة فحاله من حيث الرؤية لا من حيث الخبر ولا من حيث الأثر وهو أقوى حالاً من أهل اللذة، قال العارف قدس الله روحه: وجدان المشاهدة بشرط الانبساط طعم.

www.alkottob.com

الفصل الرابع: في مقام الشراب

ورود أرواح العاشقة بحار الأزلية واغترافها شراب المداناة من عيون الصفات بلا مزج الالتباس فهو مقام شرب العشق فإذا سكروا من الحق بالحق فهم شاربون سكارى الأزلية من عيون قرب الأبدية ودونهم أهل الواردات الذي وصفهم الله سبحانه مع أهل الشرب من عشاق المقربين بقوله: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطفّفين: ٢٧، ٢٨]، قال ذو النون رحمة الله عليه: وردت قلوبهم على بحر المحبة فاغترف منه ريًا من الشراب فشربت منه بمحاضرة القلوب فشهد عليهم كل عارض دون بقاء المحبوب، شعر [من البسيط]:

شربت كأساً على ذكراك صافية فما أعَلَّ فَبلّ القلب تعليل
فما وُجدت بشيء عنك في شُغُل لا عشتُ إن قلتُ إنّي عنك مشغول

قال العارف قدّس الله روحه: الشرب شرب شراب صفو الوصال في المشاهدة من بحر الأسرار بقدح الأنوار.

الفصل الخامس: في الرّي

لا يكون الرّي إلا لمن دام وصاله ودام شربه ويسرمد وقته وقوي حاله ووجده بنعت الصحو بعد السكر لأنه وجد الحق بعد الاتصاف به فهو قائم بالحق من الحق لم يوثر فيه السكر ولا البلوى فروى بفنائه في القدم من القدم ومن اضمحلاله في الأزل من الأزل لم يبقَ له أثر ولا طاقة يسكن بالحق وإن كان عطشاناً إليه ليس ريّه من ضيق الحوصلة ولا من قلة الشراب ولا من قلة طلب المزيد إنما هو فناء في بقاء وبقاء في فناء تجر أذيال السرمدية في الأزلية وأذيال الأزلية في السرمدية فبدايته ذوق الوجد ووسطه شرب صفاء الوقت ونهايته وصوله في الحق إلى الحق بنعت الفناء والبقاء، قال الأستاذ رحمة الله عليه، صاحب الشرب سكران وصاحب الريّ صاح، قال العارف قدّس الله روحه: إذا سكن بالمشاهدة وبقي بها عن الفناء فيها فهو مرتوي صاحب حظ وإذا فني بالحق في الحق ولا يبقى للحدث في القدم أثر فلم يكن له ريّ لأن بحار الأزلية ليست بمتناهية وليس لشرب أهل الوصال نهاية، كما أنشدوا [من الوافر]:

شربت الحب كأساً بعد كأس فما نفد الشراب وما رويت

وهذا ما جرى بين يحيى بن معاذٍ وأبي يزيد، قال يحيى: هاهنا من شرب كأساً فلم يظمأ بعده، فقال أبو يزيد: عجبت من ضعف حالك، هاهنا من تحسَّى بحار الكون وهو فاغر يستزيد.

www.alkottob.com

الفصل السادس: في الالتباس

هذا المقام من أوفر الحظ في العشق لأن العاشق في محل الأنس بالله، ويطلب الحق من الحق بنعت القدم مع ضعف حاله عن حمل وارد سطوات العظمة، وأن الله تعالى ألطف عليه بما هو يطيق أن يدركه ولا يتكدر عليه صفاء الأنس، فيريه نفسه في لباس فعله حتى يبقى وجوده مع الحق، ويأخذ من جماله حظ رؤية الصفات، ألا ترى كيف منع الله تعالى موسى عليه السلام من الرؤية الصرف وصرفه منه إلا بعد الالتباس بقوله حين سأل ما سأل فقال: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقد بيّن النبي ﷺ حقائق الالتباس بقوله: «رأيت ربي في أحسن صورة»[١]، وقال ذو النون رحمة الله عليه: من استأنس بالله استأنس بكل شيء مليح وبكل وجه صبيح. قال العارف: الالتباس إظهار نور القدس في محل الأنس.

الفصل السابع: في مقام الاستهتار

إذا امتلأ العاشق من العشق وعلا العشق على سائر القلب وأفاض إلى جميع عروقه سكره فصار سكراناً مستهتراً ينطق لسانه بغير اختياره بذكر محبوبه على السرمدية ويكون كالأبله الواله مشغوفاً بطاعته ذائقاً طعم وصلته في خدمته وذلك من وجدان سكر المحبة من رؤية جمال الحق الذي يغير طباع المتمكنين من التمكين إلى التلوين ومن العقل إلى الحيرة فإذا كمل في هذا المقام ينفرد بفردانية الحق في سيره من الحدث إلى القدم من غير الله بنعت صفاء الذكر في الظاهر وصفاء العشق في الباطن وصفاء المشاهدة في السر وهذا وصف من وصفهم رسول الله ﷺ بنعت الانفراد عن الأكوان والحدثان في حلاوة ذكر جمال الرحمٰن حيث قال: «سيروا سبق المفردون» قيل: مَن هم؟ قال: «المستهترون بذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون خفافاً يوم القيامة»[٢] قال العارف قدّس الله روحه: الاستهتار الخروج من الحدثان بمراكب الذكر الممزوج بإدراك المذكور إلى سعة فضاء الفردانية.

---

(١) رواه الدارمي في سننه، باب في رؤية الرب تعالى في النوم، حديث رقم (٢١٤٩) [٢/ ١٧٠] والطبراني من حديث عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه، حديث رقم (٩٣٨) [١/ ٣١٧] ورواه غيرهما.

(٢) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

الفصل الثامن: في رؤية نور الأفعال

تطيب قلب العاشق لا يكون في الغيبة إلا بالنظر إلى مرآة الكون يطلب مشاهدة الحق ونور جماله في مقام الأفعال لينال به محض الصفات وينفرد بالذات من الآيات وهذا معنى ما وجد الخليل عليه السلام من نور الأفعال في الآيات حيث أخبر الحق سبحانه بقوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٦]، الآية، ثم أمر سبحانه لمن شاهد قلبه مشاهد العشق: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٥٠]، قال عليه السلام: «تفكروا في آلاء الله»[١]، وقال بعضهم: ما نظرت إلى شيء إلا ورأيت الله فيه، قال العارف قدّس الله روحه: مشاهدة نور الفعل أول بادي نور الصفات.

الفصل التاسع: في خطاب العام في مقام العشق

يكون العاشق في ذرات الأكوان وحركاتها ألسنة الخطاب يخبر في وقته وحاله ومراده من الحق بواسطة الوجود حتى لا يسمع صفير الطير ولا حركة الرياح ولا أصوات الأبواب إلا يكون له خطاب من الله من حيث حاله مع الله وهذا مقام يغيث العاشق من كل غم وهم، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤]، تسبيحه جريان الخطاب عليه للعشاق الحاضرين مشاهد القرب بنعت إلقاء السمع في محضر الخطاب ومن هاهنا أخبر الحق سبحانه من سرمدية خطابه الأزلي بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ [لقمان: ٢٧] الآية، قال الشبلي رحمة الله عليه في هذا المعنى لأستاذه جنيد بن محمد رحمة الله عليه: ما تقول فيمن الله حسبه قولاً وفعلاً، قال العارف قدّس الله روحه: خطاب العام خروج نطق الله عن كل شيء في وقت المراقبة للحاضر.

الفصل العاشر: في العارض

فإذا تمكن العاشق في السير ويبذل مهجته إلى الاحتراق بنار العشق ويكاد أن يفنى في مشاهدة المعشوق الحق عليه أن يرجعه إلى مقام الخليقة ليعرض عليه بعض عوارضات البشرية ليسكن في محل الامتحان عن لوعة الأنفاس والاستغراق في بحار

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، فصل في الإشارة إلى أطراف الأدلة. . ، حديث رقم (١٢٠) [١/ ١٣٦] والأصبهاني في كتاب العظمة، حديث رقم (١) [١/ ٢١٠] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

الأزلية والأبدية، فيشتغل بمراعاة النفس ساعة فيقع في الساعة في محل العتاب، فكل شيء يعرض لقلوب العاشقين من دون الله وإن كان من الطريق فهو عارض، ويسمى السحاب العارض، لأنها تستر السماء وتعرض لأبصار الناظرين إليها. قال تعالى: ﴿عَارِضٌ مُّمۡطِرُنَاۚ﴾ [الأحقاف: ٢٤]، قال عليه السلام: «إنه ليغان على قلبي»[١] قال السراج رحمة الله عليه: العارض ما يعرض للقلوب والأسرار من إلقاء العدو والنفس والهوى لأن الله تعالى لم يجعل لهذه الأعداء طريقاً إلى قلوب أوليائه إلا بالعارض، قال العارف قدّس الله روحه: عارض العاشق احتجاب المعشوق عنه به.

الفصل الحادي عشر: في السكر

إذا صفا العاشق عن غبار الحدثان والامتحان وشاهد مقام الدنو وعاين الحق بعين المعرفة وتتابع على قلبه واردات الوجود بنعت فيض مزيد كشوف الصفات والذات تعالى عن التشبيه وبدهته قوة الواردات عن تصرف العبودية في محل القرب ويصير كشف الجمال أعظم من قواعد حاله فيسكر بالحق ويكون سكران الوصال بإدراك الإدراك فكلما ازداد له شرب ازداد له سكر حتى تسرمد وقته واستقام في شكره بنعت التمكين، قال تعالى في وصف سكر كليمه عليه السلام: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكࣰّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقࣰاۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، غيبته كان من كمال سكره أوله الانبساط الذي يغريه إلى سؤال الرؤية وآخره الصحو الذي يقتضي حكم الأدب وذلك قوله: ﴿تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وأوسطه سكر الذي يسقط عنه إحظار الأشياء مع أحكام الإجلال وما بقي للإحساس مساغ، وكان النبي ﷺ دار في الوجد في مسجد قبا حين سمع قول القائل:

قد لسعت حية الهوى كبدي ... فلا طبيب لها ولا راق

فعلمنا من ذلك أن السكر لا يكون إلا لأصحاب المواجيد الذين كاشف الله سبحانه وتعالى أنوار جماله التي أورثت لهم الفرح والطرب والسكر والغيبة والهيمان والهيجان، قال شخينا وسيدنا أبو عبد الله بن خفيف قدس الله روحه العزيز: السكر غليان القلب عند معارضات ذكر المحبوب، وقال أسد الصوفية حسين بن منصور قدس الله روحه: السكران ينطق بكل مكتوم، وقال بعضهم: إذا طمس عن سر العبد آثار الأشياء لا يسكره ورود الوارد من الصفاء والضياء ولكن إذا صادمته المشاهدة والمباسطة أسكرته بإشراقها عن كل وارد من الموارد ومن أسكرته النعوت حجب عن

---

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

المنعوت، وقال العارف قدّس الله روحه: السكر غيبة العاشق في المعشوق بوصف ذهاب الإحساس واحتراق الأنفاس.

الفصل الثاني عشر: في الصحو

إذا سكن أمواج بحار العشق واطمأن غليان المحبة واستقر شقاشق الشوق في قلوب العاشقين وهم ينالون المعشوق في مقام الأنس إذا تجلى لهم الحق بمشاهدة البقاء وامتنع منهم أنوار العظمة والكبرياء في مقام المحبة، ولا تهجم عليهم سكرات السكر فيجدون الوجود بوصف الراحة والأنس ويكونون في محل الوصال على نعت الصحو الذي هو محض التمكين والاستقامة في مشهد القرب ورؤية البقاء والأبد وهذا أهل الكمال من العاشقين الذين بلغوا أوائل مقام التوحيد فسكرهم وصحوهم من معدن واحد وهو مشاهدة جمال الأزل وهذا كما أنشد بعضهم [من الطويل]:

فصحوك من لفظي هو الوصل كله وسكرك من لحظي يبيح لك الشربا
فمامل ساقيها وما ملّ شارب عقار لحاظ كأسه تسكر اللُبّا

وصحة قولنا في ذلك قول شيخنا أبو عبد الله بن خفيف قدّس الله سره قال: الصحو انجلاء القلوب لما قد غمرها من المذكور، وقال الواسطي: مقامات الموحدين أربعة: الذبول، ثم الحيرة، ثم السكر، ثم الصحو كمن سمع البحر ثم دنا منه ثم دخل فيه ثم أخذته الأمواج، كذلك مراتب الموحدين هذا إذا كان مقامه على مراتب الحال وإذا كان على السرمدية في الوقت فالصحو والسكر واحد لأن العاشق غاص في بحار العظمة والكبرياء وهناك لا يعرف السكران من الصاحي وفي معناه أنشدوا [من الوافر]:

إذا طلع الصباح لنجم راح تساوى فيه سكرانٌ وصاحِ

وقال العارف: الصحو بقاء العلم مع شاهد الحق بنعت السكر والوجد.

الفصل الثالث عشر: في صفو الوجد

إذا لاحظ العاشق جمال المعشوق بنعت مشاهدة الخاصة وبقي في ذوق الحال بلا كدورة الخطرات ولا يتعرض في مشاهدته تغيير الامتحان ولا تجري عليه صفات الحدثان فهو في صفو وجد جمال الرحمٰن وهذا وصف المستأنسين بالله مع الله، كما أنشد القائل [من الطويل]:

تحقق صفو الوجد منا فما لنا علينا سوانا من رقيبٍ مخبّر

www.alkottob.com

قال السراج رحمة الله عليه: معنى صفو الوجد أن لا يعارضه في وجده شيء غير وجده، وهذا معنى قوله عليه السلام: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل»(١)، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ﴾ [الأنعام: ٩١]، قال العارف قدّس الله روحه: صفو وجد العشاق مصادفة الأرواح جمال الأزل بغير الالتباس.

الفصل الرابع عشر: في الوله

الوله في العشق غيبة العاشق في المعشوق على نعت الحيرة بين الوصال والانفصال إذا زال رسوم العقل والعلم في العاشق، ولا يجد لمضيق القبض في الجبروت مساغاً للروح الحائرة، فهو واله بالله من الله وهذا حال البهية في العشق، سمعت أن ذا النون رحمة الله عليه قال في بعض دعائه: يا قرة عيون العارفين ويا حبيب قلوب الوالهين، قال العارف قدّس الله روحه: الوله هيمان القلب بجمال الرب.

الفصل الخامس عشر: في الشاهد

وصف العاشق شهود مشاهد القدم بوصف طهارة السروالعين إلى الالتفات إلى الحدثان، قال المشايخ: الشاهد الحاضر وكل ما هو حاضر قلبك فهو شاهدك، قال العارف قدّس الله روحه: الشاهد المكاشف في الأسرار في محل الأنوار، وهذا معنى قوله عليه السلام: «الشاهد يرى ما لا يرى الغائب»(٢).

الفصل السادس عشر: في المشهود

مشهود العاشق مستقرات أنفاس الأرواح القدسية في مشاهد قربات الأزل، ومن شرفه صار موضع قسم الحق حيث أقسم على تلك الحالتين من العشاق بقوله: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشۡهُودٍ ۝٣﴾ [البُرُوج: ٣]، قال الواسطي: الشاهد الحق والمشهود الكون، قال الجنيد رحمة الله عليه: الشاهد الحق شاهد في ضميرك وأسرارك مطلع عليها، وقال السراج: المشهود ما شاهده الشاهد، قال العارف قدّس الله روحه: إذا كان الوقت يقتضي السكر فالشاهد هو العارف، وإذا كان الحال يقتضي الصحو فالشاهد هو المعروف. وإذا كان الشاهد هو الحق فالمشهود العبد وإذا كان الشاهد هو العبد فالمشهود الربّ.

---

(١) أورده الهروي في المصنوع [١/٢٥٨] والعجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (٢١٥٩) [٢/ ٢٢٦].

(٢) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

الفصل السابع عشر: في الشطح

إذا غلب على العاشق الأنس بجمال الحق وظهر عليه الحق بنعت الجمال وأنسه بقربه وقرب قربه وألطفه بحسن وصاله وكاشف له غرائب أسراره وأخرجه من مقام الامتحان وأسكره بشراب المحبة ورفع القباب عن البين يبدو فيه نور البسيط وسناء الانبساط ويغريه الفرح بالله وبما نال من سنيات المقامات إلى إفشاء السر بعبارات مجهولة بنعت الدعاوى الممزوجة بحلاوة الوجد والحال وهي ظاهرها كأنه في العلم سقيم وباطنها صحيح في العلم والمعرفة، وقد فسر الجنيد شطحيات أبي يزيد قدس الله روحهما ولو كان عنده صحيحة ما فسرها وذلك من شعار الصادقين في العشق، وذكر السراج رحمة الله عليه شرحاً شافياً في الشطح في اللمع قال: الشطح كلام يترجمه اللسان عن وجد يفيض عن معدنه مقرون بالدعوى إلا أن يكون صاحبه مستولياً محفوظاً، قال العارف قدّس الله روحه: الشطح نطق الفتوح بلسان الروح وصولة الأحوال على الأقوال.

الفصل الثامن عشر: في غلو العاشق

إذ أظهر عليه بعض أسرار التوحيد في العشق وامتزج نور البسط بنور الهيبة على سره وعلى عقله واضمحل علمه في عشقه فكلما يبدو عليه وارد يثمر في قلبه يقيناً بما وجد من الحق من كشف وعيان وقرب ووصل فيظهر من قلبه فرح يهيجه إلى الكلام فينطق بعبارات ممزوجة بدعوى الربوبية وهذا من صبوة العشق في البسط والأنس بالانبساط، قال العارف قدّس الله روحه: الغلو في الكلام صولة الحال على العلم والرسوم.

الفصل التاسع عشر: في الصولة

من كوشف له أنوار العظمة ويملأ قلبه منها فيظهر بها وهو على ظاهره فيقهر جلاله كل من ينظر إليه، وهذا وصف المستغرقين في بحار الكبرياء والعز والبقاء، فإذا تكلموا تكلموا بالهيبة من إيقانهم باصطفائيتهم بالولاية عند الله، قال تعالى: ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [التوبة: ٧٣]، قال عليه السلام: «اللهم بك أصول وبك أجول»[1]، قال

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، باب من اسمه إبراهيم، حديث رقم (١٠٠٣) [١/ ٢٩٩] وأحمد في المسند عن علي بن أبي طالب، حديث رقم (١٢٩٥) [١/ ١٥٠] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

الخواص رحمة الله عليه: إني أقول وبالله أصول، قال العارف قدّس الله روحه: صولة اللسان بغير مكاشفة ووجدان الحرمة في الانبساط صولة الأشباح لا صولة الأرواح وهي فتنة أهل الدعوى.

الفصل العشرون: في رؤية القلب

إذا صفا القلب عن آثار النفس وحجابها يرى عالم الملكوت وينكشف له أحكام الغيب وأسرار الممالك، كما قال النبي ﷺ: «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء»[١] وهذا بداية رؤية القلب فإذا ارتفع يظهر له أنوار صفات الله سبحانه وذلك مشاهدة الصفات، قيل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه: هل ترى ربنا؟ قال: وكيف نعبد من لم نره؟ لم تره العيون، يعني في الدنيا بكشف العيان ولكن رأته القلب بحقائق الإيمان، قال تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝﴾ [النجم: ١١]، قال المشايخ رحمة الله عليهم: رؤية القلب نظرها إلى توارث في الغيوب بأنوار اليقين عند حقائق الإيمان، قال عليه السلام: «أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، قال العارف: رؤية القلب مصادفته تجلي الحق بكل وصف عند ذهاب جميع الرسوم.

الفصل الحادي والعشرون: في رؤية الروح

إذا تخلصت الأرواح من عوارض البشريات وحجب الامتحان تنكشف له أسرار الربوبية ولطائف معاني الصفات وبوادي أنوار العظمة والقدم والبقاء فيطير بجناح العشق في هواء الأولية فتستنشق روائح قدس القدم ويرى الحق بوصف القدم، قال تعالى: ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم: ٨]، وقال العارف قدّس الله روحه: إذا سكر الروح بشراب العشق فيرى المعشوق بجلال الذات بعد رؤية جمال الوصف والنعت.

الفصل الثاني والعشرون: في رؤية العقل

العقل إذا كمل في جولانه بجناح الفكرة في الآيات يظهر له أنوار الصفات في جلال الآيات وهو قول بعضهم: ما نظرت إلى شيء إلا ورأيت الله فيه، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ٥٤]، قال العارف قدّس الله روحه: عقل العشاق إذا صفا عن كدر الخليقة يرى الحق بكل لباس حسنٍ وهو درجات الالتباس.

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

الفصل الثالث والعشرون: في رؤية النفس

وافهم أن شرب النفس إذا اطمأنت من مشارب القلب التي شرائعه من سواقي الروح وهي أنهار الصفات في جداول الأفعال، فإذا كشفت للروح والقلب أنوار الصفات ترى النفس في صور الخيال عرائس أفعال الباري جلّ اسمه فتسكن إليها وتستلذ جوار القلب والروح فيطمئن لأمر القلب والعقل، والروح إذا تكدرت واستطالت على العقل فتصير مفتونة فيريها الحق سبحانه دواعي الشهوات وأسرار الغوايات من طرف القهريات في صور الخيالات الشيطانية وتصديق ذلك أفهمنا الله تعالى في نصوص كتابه حيث قال: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس: ٨]، قال العارف قدّس الله روحه: رؤية النفس شهود قهريات الأزل.

الفصل الرابع والعشرون: في رؤية السر

سر العاشق مراقبة أسرار الحق التي سماها الغيب والغيب ما كان مخفياً عن أبصار الباطن مكشوفاً لبصائر الأسرار وذلك تتعلق بكشف الخاص وعلم الخاص، قال العارف قدّس الله روحه: رؤية الأسرار كشوف صفات الخاصة في لباس الأنوار.

الفصل الخامس والعشرون: في رؤية سر السر

للسر عين وتلك بسر السر ورؤيتها ظهور سر الصفات عند كشف الذات ومحل كشفه عند ذهاب العشق عن العاشق، قال العارف قدّس الله روحه: رؤية سر السر بيان ما في كشف العيان.

الفصل السادس والعشرون: في التروح

تروح العشاق عليه الأنس والانبساط فإذا خرجوا من إحراق المحبة واستأنسوا برؤية المحبوب فيطلب قلبه لذة الأنس في لباس المستحسن وكذا كان حال نبينا ﷺ فيما عرفنا من كلام الله حيث قال: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ [الأحزاب: ٥١]، من كان ذلك حاله فهو في محل التمكين وشهود مشاهد عرائس الجمال في لباس الالتباس، قال العارف قدّس الله روحه: تروّح العاشق كمال ترويح روحه بروح الملكوت.

الفصل السابع والعشرون: في التفرح

إذا غلب البسط على العاشق وتخلص من نكايات القبض يقع في بحر الأنس ويطلب روحه سيران جنان القدس فيستنشق نفحة الجلال وسر الجمال وآنس الوصال

www.alkottob.com

من جميع ما في الكون من كل حسن ومستحسن، قال تعالى: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ [الرُّوم: ٥٠]، قال عليه السلام: «روِّحوا قلوبكم ساعة فساعة»[1]، قال العارف قدّس الله روحه: تفرح العشاق شوق الأرواح إلى عالم الأفراح.

الفصل الثامن والعشرون: في الفوت

إذا ابتلي العاشق بمقام القهريات يفوت عنه أنوار رؤية جنود الأسرار حيث تبرز لطائفها في طرق مشاهد القرب وذلك حين تحجبه لذائذ شهوات العشق وهو أشد بلاء أهل العشق، قال بعضهم: الفوت أشد من الموت، وذلك ميراث قوله عليه السلام: «وإنه ليغان على قلبي»، قال العارف قدّس الله روحه: الفوت اختفاء الحقيقة عن الخليقة.

الفصل التاسع والعشرون: في الموت

موت العاشق في فراق معشوقه وذلك أشد من الموت الظاهر لكون موتهم في الشوق حياتهم في العشق لأن الشوق والفراق مدرجتان لوصال المعشوق وذلك سبب ذهاب العشق عن العاشق فإذا ذهب العاشق عن البين بقي العشق له بلا علة ووجد بذلك حياة لا موت فيها، قال الله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عِمرَان: ١٦٩] وموت يتعلق بالصعقات والغشيان ومنهما يخرج روحه إلى مصاعد الملكوت ومنازل مشاهد الجبروت وربما لم ترجع إلى الجسد وتبقى عند الله تعالى بلا كلفة الامتحان والحجاب، قال العارف قدّس الله روحه: موت العشاق في منازل الأشواق.

الفصل الثلاثون: في القادح

إذا جمد حال صفاء العشق ويتحرك فيه شهوة الطبيعة بحركات شهوة الروحانية يطرق على قلبه قادح زند التجلي فيحرقه بنيران اليقين ويصفيه بنور لطائف المشاهدة بالبديهة ويعتقه عن رق النفوسية وهذا يتعلق بالخطرات الملكوتية عند تعرض خطرات النفسانية، قال العارف قدّس الله روحه: القادح برق سناء الذكر عند بروز أنوار الملكوت في قلب العاشق الغائب.

---

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه، باب تعليم القرآن وفضله، حديث رقم (٥٩٩٧) [٣/٣٦٨] والطبراني في المعجم الكبير، عن سهل بن سعد، حديث رقم (٥٨٠٤) [٦/١٤٨] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

الفصل الحادي والثلاثون: في السياسة

إذا بلغ العاشق مشاهدة أنوار العظمة والكبرياء واستقام في مقام الحرمة واستحيى من الله حق الحياء وبقي في رؤية الإجلال، فإن الله تعالى يتجلى له في الأحائن بنور البهاء وسلطان سناء العزة وسياسة سطوات الأزلية، يذوب في مقام الهيبة كما يذوب السكر في الماء الحار، ولو خطر على قلبه في ذلك المقام وجوده يضربه بسوط الحيرة والغيرة ويخاطبه بخطاب التغير، ألا ترى كيف يخاطب مع عيسى عليه السلام في مقام السياسة يوم القيامة حيث يقول: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المَائدة: ١١٦]، ألا ترى كيف فعل بآدم من أكل حبة الحنطة، وكيف ذبح يحيى عليه السلام، وكيف قال النبي ﷺ: «شيبتني هود وأخواتها»[(١)]، قال العارف قدّس الله روحه: إذا كان العاشق في مقام السياسة يفرغ عنه كل شيء لأنه يكون ملتبساً بلباس الجلال والسياسة في ذاته بصولة غيرة القدم على وجود الحادث في جوازه.

الفصل الثاني والثلاثون: في الدعوى

مقام الدعوى رؤية الفرح بالله ووجدان برد روح اليقين والأنس بالوصال والاتصاف بوصف النعت والصفات ولا يكون إلا في السكر وغلبة الانبساط واتصال صدمات تجلي القدس إلى الروح في مقام العشق، وهنالك تستحسن الدعوى لأنه كلام السكارى وذلك يطيب عند كل من له قلب، ألا ترى كيف كان عليه السلام في مقام الانبساط حيث قال: «أنا سيد ولد آدم»[(٢)] وقال: «ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي»، وقال أبو عمرو الزجاجي: من ليس له دعوى فليس له معنى، وقال العارف: الدعوى إذا كان ممزوجاً بالوجد والانبساط وطمأنينة السر مع الله حيث يكون فهو صفة الصادقين.

الفصل الثالث والثلاثون: في الذبح

العاشق مذبوح بسيف العشق أعني به أن نيران العشق تحرق عن قلبه كل شيء دون معشوقه ومن عشق بوجه القدم صار مذبوحاً بسيف غيرة الله عن النظر إلى ما

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، حديث رقم (٢٢٧٨) [٤/ ١٧٨٢] والحاكم في المستدرك على الصحيحين، ذكر إسلام علي رضي الله عنه، حديث رقم (٤٦٢٥) [٣/ ١٣٣].

(٢) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

دون الله ويكون مستغرقاً بالله في الله لم يكن له حركة غير حركة الوجد والوله والهيمان كالمذبوح بالظاهر حيث يتشحّط في دمه لا يحس ولا يعقل، قال تعالى: ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨]، قال العارف قدّس الله روحه: الذبح شق القلب بسكين المحبة وسيف المعرفة.

الفصل الرابع والثلاثون: في الطرح

العاشق الصادق على كل حال مطروح على باب الله تعالى بنعت الدهشة لأنه سكران المحبة وشراب بحر القربة لا يبرح من بابه ولا يستأنس بغيره وذلك الحال يكون في سرمدية الوجد. وتداك الواردات كما أخبر الله تعالى عن مقام موسى عليه السلام حيث قال: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، قال العارف قدّس الله روحه: الطرح سقوط الأشباح من أثقال وارد الأرواح.

الفصل الخامس والثلاثون: في البلاء

بلاء العاشق احتجاب المعشوق عنه ساعة والعشق محض البلاء لأنه إذابة الأرواح تحت أثقال سطوات جلال تجلي العظمة والكبرياء ولا يكون البلاء إلا إذا كان العاشق في اصطفائية الحق، ألا ترى إلى قوله عليه السلام: «نحن معاشر الأنبياء أشد بلاء»[1]، قال العارف قدّس الله روحه: البلاء مقدمة التمكين والإمامة، وذلك معنى قوله تعالى في شأن خليله عليه السلام حين أراد أن يجعله إمام العالمين، قال: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤].

الفصل السادس والثلاثون: في العناء

الفرق بين هذين المقامين أن العناء في بدو الإرادة في العشق وهو قطع مسافات المجاهدات والرياضات، والبلاء يكون في آخر مقام العشق، قال العارف قدّس الله روحه: العناء راحة أبدان العاشقين وملح خوان[2] المحبين.

(١) أورده النووي في تهذيب الأسماء، فصل في منثور من أحوال الشافعي رحمه الله تعالى [١/ ٨٤].

(٢) الخوان: المائدة عليها طعام.

www.alkottob.com

الفصل السابع والثلاثون: في التجلي للعاشق

إذا بلغ استغراق العشق وذابت الروح في نيران الشوق علم الحق سبحانه منه فناه في الفراق وألطف عليه بجلال تجليه، فيتجلى له بمشاهدته ووقعه في بحار أنسه حتى لا يتحرق في العشق والشوق، ولا يحتجب بغيره من العرش إلى الثرى، وأن الله تعالى بيّن ذلك في قصة موسى عليه السلام أن كمال الشوق تقتضي شروق أنوار الصفات بنعت التجلي: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣] حتى قال: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فأراه نفسه تعالى بعلة الجبل وجعل الجبل مرآة لموسى فنظر إليه منه ففني فيه بنعت الخشوع والغشيان والصعقة، قال: ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وكذا من أدركه أنوار تجلي الجلال، قال عليه السلام: «إن الله تعالى إذا تجلّى لشيء من خلقه خشع له»[١]، قال النوري: يخلقه بخلقه واستتر بخلقه عن خلقه، قال السراج: التجلي إشراق أنوار إقبال الحق على قلوب المقبلين عليه، وقال العارف قدّس الله روحه: التجلي ظهور وجود القديم جلّ وعزّ لبصائر الأسرار بنعت كشوف الأنوار وذلك خاصية لأبصار الباطن لأن أبصار الظاهر محجوبة بالعوارض والعلات، قال عليه السلام: «لو كشف عن وجهه لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه»[٢].

الفصل الثامن والثلاثون: في التدلّي

إذا حصل العاشق مقام التجلي وهو من أهل خاصة الدنو قرّبه الحق من حضرة جلاله ثم يتجلى منه بصفاته تعالى قرب وشهود لا يخبر عنه أحد غير من شاهد الله بالله، وذلك مقام فيه المحاضرات والمناداة والمسامرات والمشاهدات والمكاشفات والحالات التي لا يجوز كشفها إلا لأهلها، قال تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١﴾ [النجم: ٨ ـ ١١]، أخبر من هذا المقام مقامات ومكاشفات لا يعلمها غير الواصلين من أهل

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الكسوف، حديث رقم (١٢٣٥) [١/ ٤٨١] وابن خزيمة في صحيحه، باب الأمر بالعتاقة في كسوف الشمس، حديث رقم (١٤٠٢) [٢/ ٣٢٩] ورواه غيرهما.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، من حديث من اسمه محمد، حديث رقم (٦٠٢٥) [٦/ ١٣٩] ولفظه: «.. لو رفع الحجاب أخرقت سبحات وجهه كل ما أدركه بصره..».

www.alkottob.com

المعرفة والعشق والمحبة، قال العارف قدّس الله روحه: التدلي قرب الحق من العشاق بالذات والصفات بغير علّة الأشكال والأوهام.

الفصل التاسع والثلاثون: في مقام الوطر

هذا مقام تنعم العاشق بجمال الحق وإدراك مراده من وصله تعالى وبلوغه إلى أقصى حظه من المشاهدة وكرامته ومن بلغ مقام الوطر فهو من أهل القرب، قال العارف قدّس الله روحه: الوطر استيفاء حظ الروح من روح المشاهدة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وحكم الوطر عند المشايخ سنية محمودة خارجة عن نعت البشرية.

الفصل الأربعون: في الوطن

الوطن مقام العاشق حيث انتهى حاله مع الحق واستقر به القرار مع مراده والأوطان مقامات أهل النهايات الذين تمكنوا واستقاموا في مقام المشاهدة لا يتزلزلون بالخطرات ولا يحتجبون بالعوارض عن رؤية جمال القديم وكشف الآلاء والكرم، قال علي بن سهل الصوفي قدس الله روحه: الحضور أفضل من اليقين لأن الحضور وطنات واليقين خطرات، قال عليه السلام: «حب الوطن من الإيمان»(١) أراد به وطن القلب في حضرة الرب تعالى، قال العارف قدّس الله روحه: الذات وطن الصفات والصفات وطن الوصف والنعت والأوصاف والنعوت وطن الأفعال والأفعال وطنات الأرواح العاشقة الطالبة مشاهدة القدم في مشاهدة الالتباس.

الفصل الحادي والأربعون: في المكانة

رتبة التمكن مع النهاية والتلبس بأنوار البهاء في الحضرة من شرائط المكانة، قال تعالى: ﴿لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤] فإذا وجد محل إقبال الحق عليه على السرمدية بلغ المكانة والمكان الذي يتلطف له أنوار الصفات في الأفعال، قال العارف قدّس الله روحه: المكانة وجدان القبول من الحق سبحانه.

الفصل الثاني والأربعون: في السباحة

العاشق يسبح في بحار منها تجرّ البلاء ومنها تجر العبودية ومنها تجر الفعال ومنها تجر الصفات ومنها تجر الذات يطلب جواهر علوم القدس وقدس القدس فإذا

---

(١) أورده الهروي في المصنوع، [١/ ١٠٥].

www.alkottob.com

بلغ نكرات القدم استغرق في قاموس الأزليات والأبديات فيفنى في الله بالله فيقتضي عشقه الفناء وسباحة الفناء عن الفناء قال تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، قال العارف قدّس الله روحه: السباحة سيران الأرواح في هواء الآزال والآباد.

الفصل الثالث والأربعون: في النكاية

إذا ظهر عالم القهريات للعاشق يظهر له من كل قهر نكاية وبلاء امتحاناً وغربة في حقائق العشق ووجدان محض المعرفة من نفس النكرة وذلك إرادة الله تعالى أنه يعرف نفسه له بوصف المكريات والقهريات، قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨]، قال العارف قدّس الله روحه: النكاية مكان المعرفة.

الفصل الرابع والأربعون: في الحسن

افهم أن الحسن صفة من صفات الله تعالى وهو قديم لأن ذاته تعالى قديمة وإذا أراد أن يسلب قلب عبده يتجلى لقلبه من أنوار حسنه ويصيب من حسنه في قلبه شراب محبته وعشقه، فكلما ازداد له رؤية الحسن ازداد له عشقه، لأن العشق والمحبة مقروبان برؤية الحسن القديم، وحسن الله تعالى من أخصّ وصفه، قال الله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، وصف نفسه في إيجاد المستحسن في ملكه بظهور حسنه فيه، وهذا النبي الحبيب ﷺ أخذ فيض المحبة من رؤية الله تعالى في لباس الحسن، قال: «رأيت ربي في أحسن صورة» وهذا المقام لا يظهر على العبد حتى يكون في محل قبول حسن القديم من قدسه وطهارته عن الحوادث، فإذا كان كذلك صار مرآة حسن الله في العالم كآدم ويوسف وموسى وعيسى والمصطفى صلوات الله عليهم أجمعين، لأنهم معادن فطرة الحسن الذي يستفاد من حسن الأزل، فإن الله تعالى أبرز حسنه في العالم منهم، فصار الحسن ميراثاً منهم لأهل الجمال في الدنيا والآخرة، وهم أوسط حسن الله في العالم. ألا ترى قول بعض العارفين في دعائه: يا من حسنه حجاب حسنه، والحسن من خاصة العشق في العاشق لا يبرز له من الله تعالى إلا نهاية سيره إلى الله تعالى، وإذا تم سيره في العشق لا يرى شيئاً من المستحسنات إلا يرى حسن الله تعالى فيه، لأجل ذلك يحب العاشق الحسن في الوجود من كل حسن، روي في الحديث أن النبي ﷺ كان يحبّ الوجه الحسن،

www.alkottob.com

قال: «النظر إلى وجه الحسن يزيد في البصر»[(١)]، قال ذو النون: من استأنس بالله استأنس بكل شيء مليح وكل وجه صبيح، قال العارف قدّس الله روحه: العشق والحسن صفتان قديمتان لا يبرز في العبد الصادق أحدهما دون الآخر لأن الافتراق لا يكون في الصفات، وهذا المعنى مشهور من قول الله سبحانه وتعالى حيث قال في وصف كليمه موسى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩]، قال أهل التفسير: ملاحة في عينك لا يراك أحد إلا أحبك.

الفصل الخامس والأربعون: في الجمال

الفرق بين الحسن والجمال يكون في اللغات ولا فرق في حقائق معاني الصفات لكن ظهور حسنه لظهور العشق وظهور جماله لظهور المحبة وأفاض الجمال في العاشق العشق مع الخوف والإجلال وأفاض حسنه للرجاء والانبساط وأن الله تعالى أحبّ حسنه وجماله وهو عاشق بجمال ومن كمال عشقه بالجمال يحب جمال كل جميل لأنه صادر أيضاً من جماله، قال عليه السلام: «إن الله جميل يحبّ الجمال»[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝﴾ [النحل: ٦]، هذا جمال صادر من جمال فعله وقدرته، قال العارف قدّس الله روحه: رؤية الجمال لا يكون إلا لأهل الكمال.

الفصل السادس والأربعون: في مقام رؤية المستحسن

المستحسن مستحسن بظهور حسن الله تعالى فيه وهو حسن تجليه فيه كما تجلى في الجبل لموسى عليه السلام وصار الطور كحل العيون وصار موسى قرة العيون. وكان اهتزاز الخليل عليه السلام في ترائي المشاهدة في بدو العشق والخلة حيث أخبر الله تعالى عنه في رؤية الشمس والقمر والكوكب بقوله: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٦]. وهذا المقام يتعلق بمقام الالتباس واستئناس العاشق برؤية الحق في كل مستحسن. وكان عليه السلام إذا رأى باكورة[(٣)] قبّلها ووضعها على عينيه، وقال بعض العارفين:

---

(١) رواه القضاعي في مسند الشهاب، النظر إلى الخضرة... حديث رقم (٢٨٩) [١/ ١٩٣] وأورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (١٠٣٦) [١/ ٣٨٦].

(٢) رواه مسلم في صحيحه، باب تحريم الكبر وبيانه، حديث رقم (٩١) [١/ ٩٣] والحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الإيمان، حديث رقم (٧٠) [١/ ٧٨] ورواه غيرهما.

(٣) الباكورة: أول الفاكهة. وأول كل شيء: باكورته. والباكور من كل شيء: المعَجَّل المجيء. (لسان العرب).

www.alkottob.com

ما نظرت إلى شيء إلا ورأيت الله تعالى فيه، قال النوري: حسنت المستحسنات بتجليه وقبحت المستقبحات باستتاره، وقال العارف قدّس الله روحه: رؤية المستحسن تقتضي علم مقام عين الجمع ومقام عين الجمع بعد إفراد القدم عن الحدوث ظهور القدم في الوجود.

الفصل السابع والأربعون: في أصل العشق

افهم أن أصل العشق على ثلاث مراتب: عشق الإنساني، وعشق الروحاني، وعشق الرباني. أما عشق الإنساني: فهو أول العشق، وعشق الإنساني مرقاة عشق الروحاني، وعشق الروحاني مصعد عشق الرباني، وقد يظهر لمن له صفاء في جوهره ولطافة في جسمه وظرافة في هيكله ورقة في طبعه وخفة في روحه ونور في سره وقدس في فطرته، فإذا كان كذلك يقبل عشق من له جمال وحسن وكمال وخلق لأن فطرته انجذبت إلى طلب معادن الحسن، وذلك مزين بحسن المبدع الذي أجاد كل ذا حسن بحسنه، فإذا قبل عشقه من جهة حسن الإنسان المودع في آدم عليه السلام من حسن الأزل يرتقي بالتدريج إلى عشق الروحاني الذي يتقدح من زند الأرواح في معادن حسن الأزل حين ظهر لها الحق بنعت الجمال والحسن في إيجادها بجميع مباشرة الصفات والذات بنعت تجلي الحسن والجمال، فلما كمل الإنسان في هذين الرتبتين وصار مربىً بالعشقين ينكشف له جمال الحق سبحانه وينسلخ من جميع رسوم العشق، وصار عاشقاً بوجه الله تعالى ويوافق عشقه عشق السابق في الأزل في حقه من الحق سبحانه، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال عليه السلام: «قال الله تعالى إذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي جعلت شهوة عبدي في مسألتي ومناجاتي، وإذا كان كذلك عشقني عبدي وعشقته، فإذا كان كذلك وأراد عبدي أن يسهو عني حلت بينه وبين السهو عني، أولئك أوليائي حقاً أولئك الأبطال أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة زويتها عنهم لأجلهم»[١]، وعشقه لا يكون إلا بظهور عشق الله فيه مع بروز عين صفة الجمال، ولذلك قيل إن داود عليه السلام عشق الله، وقال العرب إن محمداً عليه السلام قد عشق ربّه، ونحن فرضنا أن العشق الحقيقي الإلّهي لا يكون إلا بعد انفلاق صبح المشاهدة بوصف الحسن والجمال وظهور جلال نور عشق الأزل فيه، وهذا الغاية القصوى من درجات الدنو والحضور في مشاهدة أنوار القدم.

---

(١) رواه أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء، ترجمة صالح بن بشير المري [٦/ ١٦٥].

www.alkottob.com

قال أبو حفص في العشق الإنساني: العشق صاحبه نيّر الفرعة مشرق الطبيعة عبق الشمائل وفي حركات حسنه شواهد الأبصار، وقال الجنيد: العشق مأخوذ من العشق وهو رأس الجبل وأقصاه، فعلى هذا يجب أن يقال، عشق فلان إذا ازدادت محبته وثارت وارتفعت حتى تبلغ أقصاها وتناهى في معناها وهذا يكون إذا كان منتهاه عشق الله تعالى ومحبته، وقال علي بن محمد الديلمي: العشق غليان الحب ومعناه ذهاب حظه من كل شيء دون معشوقه حتى يذهل عن عشقه معشوقه.

وقال هرقل الحكيم من الآلاهيين من أهل الأوائل: إن الباري عزّ وجل يفسح الأنفس في كل دهر فسحة حتى ينظر إلى نوره المحض الخارج من جوهره الحق فحينئذ يشتد عشقها وشوقها ولا يزال كذلك أبداً، وحكى الشيخ أبو عبد الله بن خفيف قدس الله روحه العزيز عن أهل دمشق قالوا: إن أصل العشق الحيرة ثم الرؤية ثم العشق.

هذا ما نفع لي من كلام أهل الحق في العشق وماهيته ومعانيهم في ذلك أكثر من أن يحصى عددها لكن اكتفينا بهذا القدر أدلّة لما وصفنا في هذا الفصل، قال العارف قدّس الله روحه: أصل العشق عندي انجذاب نور الفطرة بنعت الشوق إلى معادن القدس.

الفصل الثامن والأربعون: في مقام الشهوة

بيّنا من قول النبي ﷺ في الحديث الذي يرويه عن الحق سبحانه، قال في تضاعيف ذلك: «إذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي جعلت شهوة عبدي في مسألتي ومناجاتي»[1] وشهوة العاشق لا تكون إلا في العشق والمحبة والنظر إلى جمال الحق سبحانه والشهوة شيء خاص في العاشق لا تكون إلا في رؤية الجمال والحسن لأنْ رؤية العظمة والكبرياء تحرق شهوة العشق، قال الجنيد رحمة الله عليه: إن رؤية الكبرياء والعظمة أزال الأنس عن قلوب أوليائه، قال العارف قدّس الله روحه: شهوة الإنسانية مركب شهوة الروحانية وشهوة الروحانية مركب شهوة العشق وشهوة العشاق توقان الأرواح إلى عالم الأفراح.

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

الفصل التاسع والأربعون: في مقام الوصل

حصول مشاهدة الحق بغير معنى الالتباس بوصف الدنو وإدراك لطف القرب مع الفرح بالله وبقائه هو الوصل وغاية تنعم العاشق هو هذا المقام، قال السراج: لحوق الفائت هو الوصل. قال يحيى بن داود: من لم يتغمض عينه عن النظر إلى ما تحت العرش لم يصل إلى ما فوق العرش، وقال بعضهم: إنما حرموا الوصول إليه لتضييع الأصول، وقال يحيى بن معاذ: العمال أربعة: تائب وزاهد ومشتاق وواصل، فالتائب محجوب بخوفه، والزاهد محجوب بحبه، والمشتاق محجوب بحاله، والواصل لا يشغله عن الحق شيء فلا يحجبه ما هو دونه، وقال أبو سعيد القرشي: الواصل الذي يصل إلى الله فلا يخشى عليه القطع أبداً، وقال أبو سعيد الخراز: الواصل الذي ظفر بحبيبه مع ذهاب الأسف على كل كائن يفوته، نومه مثل يقظته ويقظته مثل نومه وحركته مثل سكونه وسكونه مثل حركته فصار فعله لا فعل وصار هو لا هو، غائب حين يحضر: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ [طه: ٤٧]، وقال فارس: الوصل أن لا يشهدك الحق غيره، قال الجنيد: الواصل هو الحاصل عند ربّه، قال العارف قدّس الله روحه: الوصل دوام نظر الروح إلى جمال الحق بنعت الوجد والحال بلا كلفة الأفعال في زمان الوصال إلا جريان تقدير بغير علة.

الفصل الخمسون: في الفصل

إلى هاهنا سير العاشق في العشق فإذا وصل عرّفه الحق جلّ جلاله تنزيهَ القدم الذي هو غير مدرك بالعقول والأوهام فيعرف أنه مخدوع بالوصل مغمور بالفصل، وهذا شمة من شمامات المعرفة وعبقة من نفحات التوحيد لأن الوصل عندهم محال ومن يصل بنعت الحدثية إلى إدراك جلال القدم والحدثان محلّه في أول باد يبدو من سطوات قهر أزلياته وأبدياته، قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١]، ألا ترى إلى قول جبرائيل عليه السلام للنبي ﷺ ليلة المعراج: «لو دنوت منه أُنملة لاحترقت» والعاشق إذا عرف ما ذكرنا سقط عنده قدر نفسه عند قدر الله، قال الشبلي: من زعم أنه واصل فليس له حاصل، قال السراج: الفصل فوت الشيء الموجود من المحبوب، قال بعضهم: فرح الاتصال ممزوج بترح الانفصال، وقال القائل: فلا وصل ولا فصل ولا يأس ولا طمع، قال الجنيد: يتصل به من أوصله بقدر ما خصّ به وإلا فليس بينه وبينهم سبب ولا نسب ولا وصل، قال الآخر: الفصل أن يشهدك إياك وإن كنت قائماً، قال الواسطي: من وصل انفصل من نعت الأسفار ومن تمكن انفصل عن نعت الواصلين، قال العارف قدّس الله روحه: الفصل فناء العارف العاشق في الله بالله عن الله.

www.alkottob.com

الباب الثامن
في مقامات العارفين وفيه خمسون فصلاً

الفصل الأول: في مقام البداية

أوائل البداية معاملات انتباه وما يحصل من أحكام الزواجر فإذا حصل ذلك ويأتي عساكر واردات بواد الغيب على قلب السالك فهو الآن مبتدي في المعرفة وهو في أول درجة البداية التي نهايتها حقائق المعرفة وذلك بعد ظهور أنوار الأفعال والصفات والسير في سناء جلال الذات في كل حال حيث يرتقي المبتدي وإن كان في محل الكمال فهو أيضاً مبتدي لأن المعرفة لا نهاية لها ولأن المعروف لا نهاية له، سئل عن بعضهم ما النهاية قال: الرجوع إلى البداية، قال: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعَام: ٩١]، قال العارف قدّس الله روحه: البداية ثبت جناح الهمة في المعرفة وليس هذا المقام في البداية كالبداية في مقامات الصديقين.

الفصل الثاني: في الفرار

للعارف فرار من الدنيا وفرار من الخلق وفرار من النفس وفرار من الآخرة وفرار من جمع الحوادث، هذا إذا كان سيّاراً في سلوك المعارف فإذا وصل إلى الحق صار فراره منه إليه، قال تعالى: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريَات: ٥٠]، أي منه إليه يفر من جلاله إلى جماله ومن جلاله إلى جماله، فهذا قوله عليه السلام: «أعوذ بك منك»[1]، قال العارف قدّس الله روحه: الفرار خوف فناء الحدث من سطوات القدم.

الفصل الثالث: في اللجاء

اللجاء قريب من الفرار عن غير الله وهو طلب سكون القلب بالله في الله عن خوف التفرقة عنه وذلك أنه إذا امتحن بالعبودية والإخلاص في المعرفة يظهر له من الله تعالى كيف من كنوف الصفات فيطمس به ويلتجي إليه عند صدمات البليات، قال

---

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

الله تعالى: ﴿أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١٨]، قال العارف قدّس الله روحه: اللجاء الفرار من عقوبة الامتحان إلى الله، كما قال النبي ﷺ: «وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك»[١].

الفصل الرابع: في التفكر

إذا وقع القلب في أودية الأفعال لطلب أنوار الصفات يتجلى له الحق من كل مستحسن من نور لطفه ومن كل مستقبح من سر عظم قهره، وهذا سيران دور الروح في عالم الملكوت، قال الله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عِمران: ١٩١] وهو أصل العبادات لأنه عبادة القلب شرفة بمكانه، قال عليه السلام: «تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة»[٢]، قال ذو النون: من أدمن التفكر بقلبه أبصر الغيب بروحه، قال العارف: التفكر جولان القلوب في الغيوب.

الفصل الخامس: في الفكرة

الفكرة ميراث التفكر لأنه تحقق اليقين بالأزلية والألوهية وذلك يورث التفكر والحزن وأوجب الخوف من الله تعالى، قال محمد بن علي الكتاني: أصوات الأحزان تهيج من ميادين الفكرة، قال العارف قدّس الله روحه: الفكرة تراكم غيم الهموم على قلب المجروح بالمعرفة.

الفصل السادس: في الذكر

ذكر اللسان وذكر القلب للخصوص وهو أول نتيجة من نتائج المحبة وذلك إذا أبصر القلب مشاهدة الصفة وهيّج سره بالمحبة وسكن بالأنس حصل له الطمأنينة به، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرّعد: ٢٨]، وهو أعظم من جميع العبادات، قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العَنكبوت: ٤٥]، قال عليه السلام: «خير الذكر الخفيّ»[٣] يعني ذكر القلب، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧]، قال النوريّ: الذكر فناء الذاكر في المذكور، قال العارف قدّس الله روحه: الذكر نور ينقدح من تجلي الحق يجذب به قلوب العارفين إلى محبة صفاته.

---

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

(٢) هذا الحديث سبق تخريجه.

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه، باب قراءة القرآن، حديث رقم (٨٠٩) [٣/ ٩١] وابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الدعاء، حديث رقم (٢٩٦٦٣) [٦/ ٨٥] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

الفصل السابع: في الإحسان

إذا أتمّ أحكام المراقبة تنفى الخواطر وطهارة الأنوار، وبذل الروح في المعرفة يصفى له الذكر عن غبار الوساوس ولا يطرق عليه امتحان العبودية يبصر بعين السر غيب الملكوت مع أنوار الجبروت ويشاهد مشاهد الحق الذي أوله يقين وآخره إدراك ورؤية ويقتضي ذلك محبة الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٩٥]، قال عليه السلام: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[١]، وقال العارف قدّس الله روحه: الإحسان وجدان برد المشاهدة مع برد اليقين في القلب.

الفصل الثامن: في اليقين

إذا رقى القلب بمرقاة الآيات إلى مشاهدة الصفات وحصل له تجلي الذات وملأ عين إيمانه من بهاء فعل الله وذوق الله قلبه طعم مباشرة المحبة في المعرفة وروحه وعقله وفؤاده طعم القربة صار موقناً صاحب يقين صادق، قال تعالى في وصف خليله عليه السلام: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنعَام: ٧٥]، وقال عليه السلام: «رحم الله أخي عيسى لو زاد يقيناً لمشى في الهواء»[٢]، قال النوري: اليقين هو المشاهدة، وقال العارف قدّس الله روحه: اليقين طلوع نور صبح الصفات في مطلع الآيات.

الفصل التاسع: في الهمة العلية من العارف

هي تكون بعد الفرح بالله حيث يظهر الحق بوصف الامتنان ونشر الإحسان ويشهد عليه بنعت التفقد والتربية، فيرى العارف منه مكانه في الانبساط، وتنفجر له أنهار فيض القديم، فلا يرضى منه بكل ما يرى منه، فيطلب منه أكثر ما يطيق أن يحمله، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وقال العارف قدّس الله روحه: علوّ الهمة أن لا يرضى بشيء دون الفناء في القدم ونيل البقاء بعد العدم.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب سؤال جبريل. . ، حديث رقم (٥٠) [١/ ٢٧] ومسلم في صحيحه، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان. . ، حديث رقم (٨) [١/ ٣٦] ورواه غيرهما.

(٢) أورده الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، حديث رقم (٥٠٩٩) [٣/ ٣٦٣] والمروزي في تعظيم قدر الصلاة، حديث رقم (٨٠٢) [٢/ ٨٠٨] وأورده غيرهما.

www.alkottob.com

الفصل العاشر: في الخطر

العارف ذو هيبة وصولة ووقار وحشمة، وذلك إذا كان ملتبساً بلباس البهاء، وهنالك مقام الحرمة والخطر لأن الحق غيور على نفسه ربما لا يريد أن يعرفه أحد من خلقه غيرة على قدمه فيسقط عارفه عن درجته، قيل في الحديث: «المخلصون على خطر عظيم»(١)، قال العارف قدّس الله روحه: خطر العارف من خطره عند الله تعالى.

الفصل الحادي عشر: في الأدب

إذا وصل العارف مقام الإجلال فإن الله تعالى يؤذيه بالإلهام والخطاب والكلام، وأجل من ذلك تأديبه بالهيبة وسطوة العظمة وصدمة نظر عين العزة، وأعز الأدب أن لا يطرف عينه إلى غيره قط، ألا ترى كيف وصف الله حبيبه بقوله: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾ [النجم: ١٧]، وقال عليه السلام: «أدّبني ربّي فأحسن تأديبي»(٢)، قال الدقاق: من ساء أدبه مع الملوك هلك مع الهالكين، قال العارف قدّس الله روحه: الأدب في المعرفة أن يكون مع الله بمراد الله حيث كان وأين كان.

الفصل الثاني عشر: في مقام الحرمة

هي مكان الإجلال والهيبة وهنالك يترك العارف حظ النفوسية ولا يتحرك إلا بشرط الأدب، وكلما نظر من الحق إلى نفسه يذوب من الحياء منه ويخجل من أداء العبودية عند جمال الربوبية لأنه في مقام مراقبة الحق، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، وقال العارف قدّس الله روحه: الحرمة حفظ الأدب في السر والعلانية ورعاية الله عند دفع الخطرات في الخلوة.

الفصل الثالث عشر: في الثقة

أصلها معرفة صفات الله تعالى ومنها معرفة غنى الله ودوام ديمومته بوصف سعة قدرته على إيجاد مراد كل أحد من خلقه فإن خزائن جوده مملوءة من لطائف برّه وإنعامه ومن عرفه بذلك يفرح بالله ولا يفرح بموجود ولا يغتمّ بمفقود وهذا ميراث

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٢) أورده السلمي في آداب الصحبة، رقم (٢٠٨) [١/ ١٢٤] والعجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (١٦٤) [١/ ٧٢] وأورده غيرهما.

www.alkottob.com

التسليم والتفويض وهما من معرفة جريان المقادير على مصبّ مراد الأزل ولا نقض لإبرامها، قال عليه السلام: «جفّ القلم بما هو كائن»(١)، وقال تعالى: ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ [الرّعد: ٤١]، قال شقيق: علامة الواثق بالله أن لا يفرح بالغنى ولا يغتمّ بالفقر، وقال العارف قدّس الله روحه: الثقة سكون القلب بوعد الله.

الفصل الرابع عشر: في المشاهدة

مشاهدة العارف لا مسلك فيها للقصد لأنها تتعلق بوصف التجلي، وذلك أنوار القدم على بديهة الوارد من الغيب، وكيف يشهد الغائب الغيب والحدث ممنوع عن مشاهدة القدم لأنه يضمحل في بادي سطوات الأزل، فإذا برز الحق بوصف التجلي يكحل عيون المشاهدين بنوره فيرون الله بالله ويشاهدون الله بالله، فالشهود إذا كان بمعنى الحضور فهو مقام اليقين وإذا كان بمعنى الرؤية فهو العيان، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصّلت: ٥٣]، وقال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٣٧]، وقال عليه السلام: «الشاهد يرى ما لا يرى الغائب»، وقال شيخنا وسيدنا أبو عبد الله بن خفيف قدّس الله روحه: المشاهدة اطلاع القلوب إلى الغيوب على مراكب النور، قال العارف قدّس الله روحه: المشاهدة بروز صرف الصفات في لباس الآيات.

الفصل الخامس عشر: في المكاشفة

إذا تفرقت هموم شاغلة عن قلب العارف وصار صافياً عن غبار الوساوس ويكون منوراً بصفاء الأذكار وهو من أهل الحق بنعت اصطفائه المحبة الأزلية وبلغ مقام الأسرار تنفتح على قدر حاله وقوة وجده عند الله عالم الملكوت وغيب الجبروت، إن كان من أهل كشف لطائف الأفعال فمكاشفته مقام موسى والطور، وإن كان من أهل كشف الصفات فمكاشفته مكاشفة آدم من كشف الأسماء والصفات، وإن كان من أهل كشف الذات فمكاشفته مكاشفة محمد ﷺ حيث لا حيث في محل الدنو، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] وقال: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقال: ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [النّجم: ٨، ٩]، ومن كان له من هذه المقامات ويرى شيئاً من الغيب بالقلب ويراه

---

(١) رواه الطبراني في الكبير من حديث عكرمة بن عباس، حديث رقم (١١٥٦٠) [١١/٢٢٣] وأحمد في المسند، عن عبد الله بن عباس، حديث رقم (٢٨٠٤) [١/٣٠٧] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

حقيقة لا مدخل للشك فيه ويكون عما يرى ظاهراً، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه: لو كشف الغطاء ما ازددت إلا يقيناً، قال تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ [النجم: ١١]، وقال النوري: مكاشفات الغيوب بالأبصار ومكاشفات القلوب بالاتصال، وقال العارف: المكاشفة بيان الحق بنعت اليقين.

الفصل السادس عشر: في السكينة

هي نور من معدن الوصل ممزوج ببرد اليقين يقذفه الله في قلوب العارفين عند مكان الامتحان فينظرون به على النفس والشيطان ويطمئن سرهم به في جريان أحكام القضاء والقدر، قال تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٦]، قال العارف قدّس الله روحه: السكينة أمن وإيمان يباشران القلب الوجل لمشاهدة عظيم ما يسر الله تعالى.

الفصل السابع عشر: في العزم

عزم العارف قصد لطائفه المقدسة من عالم الحدث إلى عالم القدم طلباً للتخلق بالصفات بعد فنائها في سناء سطوات الذات وسيقيم في رؤية عظمة وجه جلاله وجماله، قال تعالى لنبيه عليه السلام عند غوصه في بحار الكبرياء: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، قال العارف قدّس الله روحه: العزم قطع العلائق في طريق الوصول.

الفصل الثامن عشر: في الحياء

الحياء محل الإجلال ورؤية العظمة والكبرياء وهو فناء العارف في رؤية المعروف بنعت الخجل من وجوده في وجود الحق سبحانه وتعالى وأن العارف إذا ذكر نفسه في خالص العبودية عند ذكر الله ينظر الحق إليه بوصف الهيبة فيذوب من حياء الله، وللحياء صورة ورسم وذلك هو الإيمان وله حقيقة وهو المعرفة، قال عليه السلام: «الحياء من الإيمان»[1]، وذكر الجنيد في حياء المعرفة: فإن الحياء أزال عن قلوب أوليائه سرور الخدمة، وقيل: سرور المنّة، قال العارف قدّس الله روحه: الحياء إرادة الزوال في رؤية جمال الأزل.

---

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

الفصل التاسع عشر: في الغربة

غربة العارف سيره في الصفات لاقتباس أنوار الذات وكل نقله من صفة إلى صفة له غربة فإذا اتصف بصفات الأزل وصار مشكاة المعرفة من عالم الملكوت والجبروت وخرج من غربة النكرة بإدراك المعرفة ووصل الحق سبحانه ويتوجه إلى عالم العبودية من المشاهدة يكون غريباً بين العلماء وأهل الظاهر الذين لم يدركوا ذوق الغيب بالغيب فكل ما يصدر عنه فهو غريب كضيع الخضر عند موسى عليهما السلام، وقال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ۝٦٨﴾ [الكهف: ٦٨]، وقال عليه السلام: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدا فطوبى للغرباء»[١] قيل: يا رسول الله ومَن الغرباء؟ قال: «الذين يستنُّون بسنتي عند فساد أمتي»[٢]، قال العارف قدّس الله روحه: غربة العارف بقاؤه في النكرة بشرط المعرفة.

الفصل العشرون: في الحيرة

إذا صدمه سلطان تجلي العظمة وبدا بديهة وارد نور المشاهدة أوقعه في دهشة وحيرة لا يعرف أي شيء به من عظيم غريب الحال والوجد البديهيّ، وأصله ظهور الحق بصرف الصفة بالغيبة بغير خطاب ولا أمارة حال، فيستغرق العارف في بحار الآزال والآباد ولا يرى بسواحلها فيبقى متحيراً مدهوشاً، قال عليه السلام: «رب زدني تحيراً»[٣]، قال الواسطيّ: حيرة البديهة أجلّ من سكون التولي عن الحيرة، قال العارف قدّس الله روحه: الحيرة عجز الروح في إدراك العلم بمكانها عند غلبة التجلي.

الفصل الحادي والعشرون: في مقام الغيرة

العارف إذا انفرد بالعشق عنها دون الله ويكون مراد الله عن خلقه وجعله موضع نظره الخاص فتح في عينيه كل شيء يحجبه عن الله تعالى وصيّره على نعت من لا

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، باب بيان أن الإسلام بدأ..، حديث رقم (١٤٥) [١/ ١٣٠] وابن ماجة في سننه، باب بدأ الإسلام غريباً، حديث رقم (٣٩٨٦) [٢/ ١٣١٩] ورواه غيرهما.

(٢) هذا الجزء من الحديث ورد بلفظ: «المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر شهيد» أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد [١/ ١٧٢] والبيهقي في كتاب الزهد الكبير، فصل في العزلة والخمول، حديث رقم (٢٠٧) [٢/ ١١٨] وفيه: «فله أجر مئة شهيد» ورواه غيرهما.

(٣) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

يريد أحد أن ينظر إليه وألبسه لباس الشناعة والملامة حتى يفرّ منه جميع الناس وبقي مع الحق بلا علة ولو يلتفت إلى غير الله لمحة أحرقه بنيران العبد وعذّبه بعذاب لا يعذّب به أحد من العالمين، ألا ترى إلى قوله عليه السلام: «أنا غيور والسعد غيور والله أغير منا»[1] ومن غيرته حرّم الفواحش، وقرىء بين يدي السري قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ [الإسراء: ٤٥]، فقال السري لأصحابه: ترون هذا الحجاب هذا حجاب الغيرة لا أحد أغير من الله، قال النصراباذي: من نظر إلى شيء غير الحق فلا ينظر إلى الحق فإنه غيور، قال العارف قدّس الله روحه: الغيرة منع الحدث عن إدراك الحق بوصف كنه القدم.

الفصل الثاني والعشرون: في الحرية

إذا كان العارف مستوفياً حق العبودية عن نفسه بكمال العلم تخلص من شر نفسه بترك شهواتها ومرادها وصار في المعرفة بحيث أنه في المحبة مستغرقاً في جمال الحق مستأنساً به مستوحشاً عما سواه فيكون حرّاً من رقّ النفوسية عبداً في الحقيقة وإذا بلغ مشاهدة صرف الصفات واتصف بها ثم اتحد بالربوبية وشرب من كأس شراب العشق الخالص عن مزج حظوظ البشرية فيكون حرّاً منسلخاً عن جلد رسوم الحوادث، قال الحسين بن منصور: الحرّ هو المتصرّف بلا مانع، وقال العارف قدّس الله روحه: الحرّ الذي يخرج بالله بنعت التنزيه عن كل رسم مرسوم.

الفصل الثالث والعشرون: في المهابة

المهابة صفة من يستولي عليه نور الهيبة من مشاهدة العظمة والجلال فهاب عنه كل شيء لأنه محل تجلي الكبرياء يتجلي الحق منه لكل ناظر بالحق في المعرفة ومن رأى الحق بجمال الهيبة يكون كأصحاب الكهف، قال تعالى في حقهم لسيد البشر عليه السلام: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف: ١٨]، أخبر عما كساهم الحق من لباس نور البهاء والعظمة، وفي الحديث: «من خاف

---

(١) أورده الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، حديث رقم (١٤٦) [١/ ٥٢] ولفظه: «أنا غيور والله أغير مني فمن أجل ذلك حرم الفواحش ولا شخص أغير من الله ولا شخص أحب إليه المعاذير من الله».

www.alkottob.com

الله تعالى خوّف الله منه كل شيء»[١] وقيل: رأى أحد من المريدين أبا يزيد قدس الله روحه ومات بالبغتة، قال العارف قدّس الله روحه: المهابة نور بهاء الله الممزوجة بنور العظمة على وجه العارف.

الفصل الرابع والعشرون: في المباهاة

هذا مقام من رأى الحق في مقام التوحيد عند طوالع شموس الكبرياء من مطالع القدم ووقع في بحر الجلال واستأنس بقوة المعرفة لرؤية العظمة ثم يستروح برؤية الجمال ويظهر في انبساط فكلما غلب عليه وجد الألوهية يخرج بوصف الملوك ويباهي نفسه كل أسد في أجمة الحضرة، قال عليه السلام: «آدم ومن دونه تحت لوائي ولا فخر»[٢]، قال الواسطي: من عاينه يتصرف بذاته لا يرى لغيره وزناً، قال العارف قدّس الله روحه: المباهاة في العارف رؤية مقامه في أماكن القدس والأنس.

الفصل الخامس والعشرون: في العزّة

إذا التبس العارف بلباس عظمة الله بعد رؤيته في العظمة يصير غالباً على كل مقام وحال ولا يبالي بكل خطر عظيم وكل ما يجد صفاء جلال الحق يسطع نور العظمة على وجهه يفزع كل من يراه ويكون موضع عزة الحق في العالم، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، قال العارف قدّس الله روحه: عزة العارف صولة جلال الأزل في وجهه.

الفصل السادس والعشرون: في البصر

للعارف بصر من الحق نوره من نور بصر القدم ينظر به إلى مغيبات الغيب ويدرك به خفيات الأسرار وحقائق الأنوار ودليل ذلك قوله تعالى: «بي يبصر وبي يسمع»[٣]، وقال عليه السلام: «اتّقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»[٤] وذلك

---

(١) رواه القضاعي في مسند الشهاب، باب من خاف الله..، حديث رقم (٤٢٩) [١/ ٢٦٥] وأورده المنذري في الترغيب والترهيب، كتاب التوبة والزهد..، حديث رقم (٥١٢٣) [٤/ ١٣٤]. وأورده غيرهما.

(٢) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد، باب منه في الشفاعة [١٠/ ٣٧٢].

(٣) أورده ابن كثير في التفسير، آخر تفسير سورة الحجر..، [٢/ ٥٨٠] والحكيم الترمذي في نوادر الأصول، في بيان عدد الأبدال وصفاتهم، [١/ ٢٦٥] وأورده غيرهما.

(٤) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

مخصوص في المؤمنين ليس لكل مؤمن نور الفراسة ولكن إذا وصل نور الإيمان نور المعرفة يظهر لصاحبه بصر الفراسة، قال العارف قدّس الله روحه: بصر المعرفة هو الذي يرى به المعروف.

الفصل السابع والعشرون: في الحياة

إن الله تعالى يتجلى من حياته الأزلية لروح العارف إذا كملت في العشق والمحبة فيعيش بها أبداً ولا يموت بضربة موت الفورة، قال تعالى في حق عيسى عليه السلام: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النِّساء: ١٧١]، لا جرم كان قادراً بإحياء الموتى بإذن الله تعالى. وسمعت أن بعض العارفين وُضع في القبر فضحك، فقيل: أحياة بعد الموت؟ فقال: هكذا أحباب الله، وقال العارف قدّس الله روحه: حياة المعرفة روح خاص أجادها الحق في ظهور نفسه لها وكانت بالحق لا بالأمر كروح آدم عليه السلام، قال: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحِجر: ٢٩].

الفصل الثامن والعشرون: في الحكمة

إذا نظر العارف بنور المعرفة إلى عالم الأفعال فيعرف من الآيات حقائقها ويرى منها وجه عرائس حكمته الأزلية فيعلم منها حكم الربانية في الأشياء وخواصها ولطائفها التي خلقها في كل ذرة، وقد أشار بها النبي ﷺ إلى هذه الحقيقة بقوله: «اللهم أرنا الأشياء كما هي»[1] ثم يظهر له حكمة المعرفة التي تتعلق بمعرفة المعاملات والمقامات وهذه الحكمة تتعلق بالإلهام الإلّهي وهي مستفادة من تجلي الحكمة الخاصة التي هي صفات الأزلية، قال تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٩]، وقال عليه السلام: «من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»[2]، قال العارف قدّس الله روحه: الحكمة لبّ المعرفة.

الفصل التاسع والعشرون: في التلوين

من كان في سيران روحه أنوار الصفات ويرتقي من رؤية صفة إلى رؤية صفة أخرى وهو طيار في مقامات الاتصاف بصفة الحق فهو متلون يتقلب من مقام إلى مقام

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٢) أورده القضاعي في مسند الشهاب، حديث رقم (٣٢٥) [١/ ٢٨٥]، والعجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (٢٣٦١) [٢/ ٢٩٢].

www.alkottob.com

ومن حال إلى حال، ومن تطرى عليه أوصاف البشرية ساعة وتنحسر عنه ساعة ويضطرب في سكره ويسكن في صحوه فهو متلون أيضاً، وربّ متلون تلوينه من قوة الوارد وهو معذور لأن موسى عليه السلام مع جلاله خرّ وأن الجبل مع صلابته دك، وكان عليه السلام في ابتداء أمره بالوحي يضطرب ويرجف فؤاده فإذا وصل إلى محل التمكين سكن، قال بعضهم: علامة الحقيقة دفع التلوين، وقال الواسطي: من اتصف بالحق لم تقع عليه طوارق التلوين وأراد به تلوين الوارد والحال، قال العارف قدّس الله روحه: الصواب أن مقام التلوين تغير صاحبه في قوة الواردات وعجزه عن حمل أثقال برحائها.

الفصل الثلاثون: في التمكين

وذلك أن العارف إذا سكن عن السير في الصفات ووقع في بحار الذات بعد الاتصاف بالصفات فنى في أول الرؤية، فيوجده الحق بعد فنائه ويلبسه لباس البقاء ويسقيه من شراب سناء الجمال ويؤنسه به، فيسكن روعته في رؤية الذات فيصحى عن سكره ويبقى مع الحق بنعت الصحو، فصار متمكناً في حمل واردات التجلي بالبديهة وعن البديهة كما كان النبي ﷺ في مشاهدة الحق ليلة المعراج، فيرجع ولم يؤثر منه صولة المشاهدة عما أثر في وجه موسى عليه السلام، ولا يجري عليه فترة المريدين أيضاً، ويكون في محل عين اليقين حيث يزعجه الامتحان، قال العارف قدّس الله روحه: التمكين أن لا يغيره معارضة السر بعد ذهاب أنوار المشاهدة وأن لا يغنى عنه بظهور سطوات مشاهدة الأزل وأيّ تمكين أجلّ من أن يحتمل ما لو حمل منه ذرة جميع العوالم ماتوا جميعاً من صولتها وحدة برحائها[١].

الفصل الحادي والثلاثون: في الاستقامة

العارف إذا كانت المعرفة والمحبة سجيته ولا يجري عليه الفترة في الظاهر والغفلة عن الله في الباطن ولا تغيره الشواغل والامتحان في الصحو ولا تحجبه النفس والشيطان والهواء عن المشاهدة في السكر فهو في حد الاستقامة، قال تعالى لنبيه عليه السلام: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢]، فإذا علم النبي ﷺ مراد الله تعالى في الأمر وعرف أن حقيقة الاستقامة الخروج عن امتحان الله ومشاهدته في جميع

---

(١) البُرَحاء: الشِّدّة والمشقة، وخص بعضهم به شدة الحُمَّى. وبرحاء الحُمَّى وغيرها: شدة الأذى. ويقال للمحموم الشديد الحُمَّى: أصابته البُرَحاء (لسان العرب).

www.alkottob.com

الحركات والسكنات، قال ﷺ: «شيّبتني هود»[(١)]، قال محمد بن الفضل: الخصلة التي كملت المحاسن الاستقامة، وقال العارف قدّس الله روحه: الاستقامة عمل الأثقال واردات التجلي على نعت الصحو.

الفصل الثاني والثلاثون: في الجمع

هذا عبارة عن جمع الهمة مع الله وحضور القلب بالله وشهود السر مشاهدة الله بلا معارضة النفس والفترة وحقيقته أن تشاهد الذات بالذات لا أن تشاهد في رؤية الذات أنوار الصفات، قال أبو سعيد القرشي: الجمع عين التوحيد، قال العارف قدّس الله روحه: إذا أدركت الذات بالذات فهو الجمع.

الفصل الثالث والثلاثون: في التفرقة

والتفرقة تفرقة الهمة في الخواطر والعوارض وحقيقته أن ترجع من رؤية الذات إلى رؤية الصفات، قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عِمرَان: ١٨] أخبر عن الذات بقوله: الله، ثم أخبر عن الصفات بقوله: أنه لا إلّه إلا هو، قال بعضهم في حقيقة الجمع والتفرقة واستشهد بالآية بقوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عِمرَان: ١٨] قال: إلى هاهنا جمع، ثم قال: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عِمرَان: ١٨] هو يتعلق بالتفرقة، وقيل: الجمع في المعرفة والتفرقة في الأحوال والمقامات، والعارف قال: التفرقة أن يكون في العبودية والجمع أن يكون في الربوبية.

الفصل الرابع والثلاثون: في عين الجمع

هو أن ترى أنوار الصفات في لباس الأفعال كما يرى موسى عليه السلام نور التجلي في الجبل، قال: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعرَاف: ١٤٣] وأيضاً قال: ﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القَصَص: ٣٠]، وقال النبي عليه السلام: «رأيت ربي في أحسن صورة»[(٢)]، وقال بعضهم: ما نظرت إلى شيء إلا ورأيت الله فيه، قال العارف قدّس الله روحه: عين الجمع حقيقة الاتحاد، ألا ترى

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، تفسير سورة هود، حديث رقم (٣٣١٤) [٢/ ٣٧٤] والترمذي في سننه، باب ومن سورة الواقعة، حديث رقم (٣٢٩٧) [٥/ ٤٠٢] ورواه غيرهما.

(٢) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

ـى قوله تعالى كيف قال لنبيه عليه السلام: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].

الفصل الخامس والثلاثون: في جمع الجمع

هذا مقام أن يكون العارف في المشاهدة بحيث أنه يرى الحق بالذات والصفات، ويرى الذات بنعت الفناء ويرى الصفات بنعت الفناء ويرى الصفات بالذات ويرى الذات بالصفات، وهذا إذا كان الذات تنكشف والصفات تنصرف منه أعني في العارف بالقدرة والغلبة والقهر والسلطنة، قال العارف قدّس الله روحه: وهذا المقام من حقائق تجلي الربوبية التي تتولد للعارف عشق مشاهدة القدم أبداً.

الفصل السادس والثلاثون: في عين العين

العارف إذا شاهد الله بشهود الله عليه بنعت فنائه عن شهوده بشهود الله، فإن الله تعالى يتجلى من ذاته لصفاته، ثم يتجلى له فيظهر عين القدم بنعت الكنه في الصفات، ثم يظهر العين في العين أعني الذات بالذات، فيضمحل العارف برؤية العين في رؤية عين الصفات، وقد أشار سبحانه وتعالى إلى حقيقة هذا المقام في آية من كتابه لنبيه عليه السلام قال: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمّد: ١٩] أثبت الهوية في الأول ثم نفى الشاهد والكون، ثم أفرد الألوهية بقوله: الله، ما مضى من الصفات، وجمعها بعينها في الذات بقوله: الله، فإذا تجلّى بجميعها للنبي ﷺ ذهب في الله وبقي عليه رسوم الوجود فلم يستحسن الله منه وأمره بالاستغفار لأن وجوده في وجود الأزل ذنب، فلما عرف النبي ﷺ مراد الحق في إفراد القدم عن الحدوث وجمع العين في العين قال: «ليت ربَّ محمد لم يخلق محمداً»[1] قال العارف قدّس الله روحه: عين العين تجلي القدم لا غير، ومن أراد أن يجد هذا المعنى فليطلب في قول أمير المؤمنين علي كرّم الله وجهه حيث تكلم في التوحيد فقال: من وصفه فقد كيّفه.

الفصل السابع والثلاثون: في المعرفة

خاصة كل ما ذكرنا فهو من نتائج المعرفة، والمعرفة نتيجة رؤية المعروف وكل معرفة سواها إبراز لطائف أفعاله ونور أسمائه وصفاته، وليس لهذه المعرفة حقيقة في

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

المعرفة ولكن هو رسومها وحقيقتها بروز الحق بنعت التعريف. والتعريف هو أن يعرف ذاته وصفاته تعالى بنعت التجلي والدنو ومباشرة حلاوة المحبة في القلوب من الغيوب فيعرفون الله بالله لا بالغير، وفيما ذكرنا يندرج معرفة العموم والخصوص وأن الله سبحانه نطق في كتابه هذين الطريقين بقوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النُور: ٣٥]، ظاهره هو النور للعموم بالآيات وللخصوص بالذات والصفات، فالمعرفة العمومية تدخل تحت النطق والعبارات ومعرفة الخصوص لا تأتي في كسوة العبارات والإشارات، لأن الألسنة خرست عن حقيقتها والقلوب فنيت في قصورها عن إدراكها لأن أفصح الخلائق ﷺ لما بان له جمال تجلي القديم المعروف لم يبقَ له سبيل إلى حقائق وصفه فأظهر عجزه عن إدراك جلال القدم، فقال: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[1]، قال أحمد بن عطاء: المعرفة معرفتان معرفة حق ومعرفة حقيقة، فمعرفة الحق معرفة الوحدانية على ما أبرز للحق من الأسماء والصفات، ومعرفة الحقيقة على أن لا سبيل إليها لامتناع الصمدية وتحقيق الربوبية لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، قال العارف قدّس الله روحه: المعرفة بذاتها في حق الحق للحق لا للغير.

الفصل الثامن والثلاثون: في الحقيقة

مقام الحقيقة استقامة السر بنعت الاستواء في مشاهدة الله تعالى بغير الاضطراب في العبودية، وانفتاح عين الروح في رؤية الصفات والذات بنعت المعرفة والمحبة وكل مقام يتعلق بالحقيقة، وهي أصل المعرفة، وحقائقها معاني تبرز من لطائف كشوف أنوار الذات والصفات، وفرعها في العبودية صفاء المعاملات، والمقامات أولها التبري من الكون وآخرها كشوف المغيبات، وقد أشار عليه السلام إلى ذلك في خطاب الحارثة قال: «يا حارثة لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك؟» قال: عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري وكأني أنظر إلى عرش ربّي بارزاً وكأني أنظر إلى أهل الجنة في الجنة يتزاورون وأهل النار في النار يتعاوون، قال: «عرفت فالزم»[2] فجعل عليه السلام المكاشفة والمعاملة والمعرفة حقيقة الإيمان، قال الأستاذ أبو القاسم: الحقيقة مشاهدة الربوبية، وقال العارف قدّس الله روحه: الحقيقة ما وهب الله تعالى للأنبياء والأولياء وهو الذي يصحّ به الولاية والنبوة.

---

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

(٢) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

الفصل التاسع والثلاثون: في معرفة النفس

وهي آلة قهر الله ينشعب منها جميع الشر والفساد، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يُوسُف: ٥٣] وهي بذاتها مدرجة صفات القهريات مستعدة لقبول إلهام الفجور، قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس: ٨]، عاين لباس قهر القدم عليها يعرف الحق بوصف جبروت العزة والكبرياء والعظمة، قال عليه السلام: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه»[١] قال بعض المشايخ: النفس لا تصدق والقلب لا يكذب، وقال العارف قدّس الله روحه: النفس خفيات الهام القهر وهواجسها تلقفها من فلق مكر القدم.

الفصل الأربعون: في معرفة الشيطان

هذا مقام يتعلق برؤيته وعلم مكايده ووساوسه في ظاهر النفس وباطنها وعلم، ذلك لا يحصل إلا بعد جريانه في موضع البشرية وعروق الصورة ويأتي بالوسوسة من جميع جهات الصدر، قال: ﴿يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ [النَّاس: ٥] وقال: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧]، وقال عليه السلام: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»[٢]، قال الجنيد رحمة الله عليه: الفرق بين وسوسة الشيطان وحديث النفس أن النفس إذا دعتك إلى الشهوة ألحَّ عليك ولا تتركك حتى تبعد شهوتها، والشيطان إذا دعاك إلى زلة ولم تجبه وتجاهده يتركك ويدعوك إلى زلة أخرى، وقال العارف قدّس الله روحه: الشيطان يدعوك بلسان الحق إلى الباطل، كما قال أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب كرّم الله وجهه في حق معاوية: كلمة حق يريد بها الباطل.

الفصل الحادي والأربعون: في معرفة القلب

هو له ظاهر وباطن، ظاهره: هو اللحم الصنوبري، وذلك محل الروح والعقل والسر واللطيفة وجند الملك وعساكر الخواطر، والقلب الأصلي هو اللطيفة المباركة القدسية التي محلها الفطرة القابلة للطبيعة، وتلك اللطيفة منظر نور الغيب ومنبع حكم

---

(١) أورده الهروي في المصنوع، [١/ ٣٤٧] والعجلوني في كشف الخفاء حديث رقم (٢٥٣٢) [٢/ ٣٤٣].

(٢) رواه ابن راهويه في مسنده، حديث رقم (٢٠٨٢) [٤/ ٢٥٩] والروياني في مسنده، حديث رقم (١٣٧٧) [٢/ ٣٨٨] وأورده غيرهما.

www.alkottob.com

الرب تعالى، وهذا القلب ربما ينكشف لأهل المكاشفة، وسمّي ذلك القلب قلباً لتقلّبه في مشاهدة الصفات، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧]، وقال عليه السلام: «إن في جسد بني آدم لمضغة إن صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»[١] وصورة القلب جسمانية وحقيقة القلب سماوية وروحانية وملكوتية نورية ربانية لا تسكن إلا بذكر الله: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرّعد: ٢٨]، قال بعضهم: للمؤمن قلب وليس للعارف قلب، وقال: قلب المؤمن يسكن بذكر الله وقلب العارف يسكن بالله، وقال العارف قدّس الله روحه: القلب ما يتقلب في الصدر بنعت العزائم والنيات ويراقب في الغيب إتيان أنوار الصفات.

الفصل الثاني والأربعون: في معرفة المَلَك

صورة الملائكة مرآته لأهل المكاشفة، والإيمان بها واجب، قال تعالى في حق مريم عليها الرضوان: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧]، والملك يتكلم مع الأنبياء والأولياء بكلام يوافق الكتاب والسنة، وهم سفرة الإلهام وهم أرواح مقدسة لباسهم نور الملكوت، ويظهرون بلباس الأنوار، وعلاماتهم فوح نفحات الطيب وظهور طيب الكلام برؤيتهم وبهم أوجه حسان يخاطبون الأولياء بجميع اللغات يورث كلامهم فسحة القلب وطمأنينته، قال عليه السلام: «كلام الملائكة إيعاد بالخير وتكذيب الشر وتصديق بالحق»[٢]، قال الأستاذ: كلام الملك ما يوافق العلم، قال العارف قدّس الله روحه: الملك من عالم الملكوت وروح آدم من عالم فوق الملكوت وهم ملكوتيون والأولياء جبروتيون ماهيتهم نور وطيب.

الفصل الثالث والأربعون: في معرفة العقل

العقل نور رباني من خاصة أنواره أسكنه الله في قلب الإنسان ليفرق به بين الحق والباطل وهو بذاته جوهر قدسي يدرك به حقائق الأشياء بماهيتها، قال تعالى: ﴿قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وقال عليه السلام: «أكثر أهل الجنة البله

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب فضل من استبرأ لدينه وعرضه، حديث رقم (٥٢) [١/ ٢٨]، ومسلم في صحيحه، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، حديث رقم (١٥٩٩) [٣/ ١٢١٩] ورواه غيرهما.

(٢) هذا الأثر لم أجده إنما روى الطبراني في تفسيره عن ابن مسعود: إن للملك لمة وللشيطان لمة فلمة الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة الشيطان إيعاد بالشر وتكذيب بالحق [٣/ ٨٩].

www.alkottob.com

وأهل العليين ذو الألباب»[١]، وقال بعضهم: العقل آلة العبودية لا للأشراف على الربوبية، قال العارف قدّس الله روحه: العقل نور بصر الروح يبصر به عالم الملكوت ويعرف به حقائق أمر الدنيا والآخرة.

الفصل الرابع والأربعون: في مقام معرفة السر

السر ما فوق الروح وذلك عقل قدسي ملكوتي موضعه لطيفة الحق المودعة في الروح تعقل الروح به ما يجري عليها من عالم الحق من كشوف الصفات وهو موضع معاني علم الله تعالى وما كشف له، فهو مكتوم عن الروح والقلب وما يحل فيه يسمى أيضاً لأنه خفايا علم الحق المستأثر به الأسرار غير الأرواح، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [المَائدة: ٩٩]، وقال عليه السلام: «لله تعالى سر في قلوب أوليائه لا يطلع عليه ملك مقرب»[٢] قال الأستاذ على الأصول الصوفية: السر ألطف من الروح والروح أشرف من القلب، قال العارف قدّس الله روحه: السر موضع أنوار المشاهدات.

الفصل الخامس والأربعون: في مقام سر السر

ما ذكرنا من السر هو موضع سر السر وذلك محل التجلي الخاص، وعلم السر من أسماء الله وصفاته، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]، وقال المشايخ: السر ما لك عليه إشراف وسر السر ما لا اطلاع عليه لغير الحق تعالى، وقال العارف قدّس الله روحه: سر السر مدارج غيب الغيب.

الفصل السادس والأربعون: في مقام الغنى

إذا بلغ العارف مشاهدة غنى الحق ويتصف بها ويصير غنياً بغناه ينفتح فيه أبواب الجود والقدرة الربانية فلا يكون في عينه للأكوان مقدار، ألا ترى كيف وصف الله تعالى حبيبه ﷺ حيث لم يلتفت إلى غيره حين رآه بوصف الغنى بقوله: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النّجْم: ١٧]، قال عليه السلام: «ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى القلب»[٣]، وقال الجنيد قدس الله روحه: النفس التي

---

(١) هذا الأثر سبقت الإشارة إليه.

(٢) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، باب الغنى غنى النفس..، حديث رقم (٦٠٨١) [٥/٢٣٦٨] ومسلم في صحيحه، باب ليس الغنى عن كثرة العرض، حديث رقم (١٠٥١) [٢/٧٢٦] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

أعزّها الله بحقيقة الغنى يزول عنها موافقات الفاقات، قال العارف: الغنى تأثير فرح العارف ببقاء الله.

الفصل السابع والأربعون: في الاطلاع

هذا المقام خاصة كبار الصديقين الذين أشرفهم الله على أحكام الغيب فيرون مقدورات الملكوت والجبروت بنور الله الذي ذكره في كتابه: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزُّمَر: ٢٢]، وذلك لا ينال بالجهد والطلب ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [الجمعة: ٤] ذلك فضل يؤتيه من يشاء، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧] وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عِمرَان: ١٧٩]. وقال الجنيد: لا يصح الولاية إلا لمن شاهد السرائر ويخبر عن الضمائر، وقال العارف قدّس الله روحه: اطلاع القلوب على الغيوب لا يكون إلا لمن كان بقلبه شاهد الغيب بنور الحق.

الفصل الثامن والأربعون: في معرفة عيوب الأفعال

إن الله تعالى خلق النفس منبعاً للأخلاق المذمومة والأفعال الذميمة وجعل مزيّنها الشيطان وذلك مثال بستان ينبت أضغاث الحشيش وبذر ذلك الهام الفجور من الله تعالى ألقاها فيها حيث أراد امتحان العارف يخرج على صورة الهواء تربيه الشهوات، والعارف إذا كان من الله على بصيرة يراها بنور المعرفة على لباس القبح ويطفيء بها لهبها بصفاء المجاهدة، قال الله تعالى: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يُوسُف: ١٠٨]، وقال عليه السلام في هذا المعنى: «استفتِ قلبك ولو أفتاك المفتون»[1]، وقال أبو سليمان الداراني: ما استحسنت من نفسي عملاً فأحسنت به، وقال العارف قدّس الله روحه: من عاين الحق بوصف القهر يعرف به جميع أفعال نفسه.

الفصل التاسع والأربعون: في مقام الكلال

إذا برز الحق للعارف بنعت القدم والأولية والبقاء السرمدية يقع العارف في بحر وحدانية الأزل والأبد ويتلاشى في صفات الكبرياء والعظمة والجلال والعزة ويركب على قلبه غايات الهيبة والإجلال ولا يطيق أن يتكلم في حالة المشاهدة وإن يريد أن

---

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

يصف الحق بأحسن الوصف يبدو في لسانه ثقل من صولة نازلات أنوار القدم والبقاء، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، وقال عليه السلام: «من عرف الله تعالى كلّ لسانه»[١] وقال العارف قدّس الله روحه: البهتة البديهة عند كشف الكبرياء يورث كلال العارف.

الفصل الخمسون: في مقام غوص العارف في بحر الأوصاف والنعوت

وذلك أنه إذا بدأ العارف الدخول في تعرف سره حقائق وجود معروفه فيعرض بسره إلى صحارى الوحدانية ويطلب من الحق وسيلة الخاصة ليصل بها إلى عرفان الله فيبرز الحق له نور الوصف والنعت في مرآة فعله، فيحول في أنوار الوصف والنعت فيعرف الله أوصافه ونعوته، فلما باشر نورهما في قلبه بعد عرفانها فيعرف بنورهما طرق عرفان الصفات والذات تعالى، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البَقَرَة: ٢١٣]، أي يهدي بنور وصفه ونعته إلى معرفة ذاته وصفاته، قال بعض المشايخ: إن الله تعالى أبرز للحق من أوصافه ونعوته ما علم أنهم يطيقون ذلك حقيقة معرفته لا يطيق الخلق ولا ذرة من ذلك، وقال العارف قدّس الله روحه: نور الوصف والنعت إذا برز بنعت التجلي لا بنعت السماع والرسم فهو سلسلة جذب الحق عارفه منه به إليه.

الفصل الحادي والخمسون: في مقام وجدان العارف نور أسماء الله بوصف التجلي

وهو أن الله تعالى إذا أراد أن يعرفه أحد من أهل اصطفائية المعرفة يريه أنوار أسمائه حتى يرى بها معاني الأسماء التي كل واحد منها يخبر عن صفة من صفاته ولذلك صار آدم أعلم من الملائكة لأنه كان عالماً بأسمائه الحسنى التي هي مفاتيح أبواب خزائن الصفات وحقائق الذات، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البَقَرَة: ٣١]، وفي الحديث: «أكثروا ذكر أسماء الله تعالى» قال الحسن: حجبهم بالاسم فعاشوا ولو برز لهم من الحقيقة لماتوا، قال العارف قدّس الله روحه: أسماء الله تعالى أنهار أنوار بحار الصفات تظهر براهينها من كل ذرة من العرش إلى الثرى لأنها مكتوبة بأقلام القدرة على ألواح الأكوان والحدثان، من ذلك قال عليه السلام: «اسم الله الأعظم مكتوب على جناح الجراد وخدود المردان»[٢] والله أعلم.

---

(١) أورده الهروي في المصنوع [١/ ٣٤٦] والعجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (٢٥٣٣) [٢/ ٣٤٢].

(٢) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

الباب التاسع
في مقامات الشاهدين وفيه خمسون فصلاً

الفصل الأول: في مقام اللحظ

إذا ظهر أسرار العارف عن لوث التفات القلب إلى غير مشاهدة الرب تعالى في سيرها من معدن المراقبة في طلب هلال الجلال إلى عالم المشاهدة يتقلب قلبه في سماء اليقين لإدراك جمال المشاهدة، فيطلب الحق من حيث لا حيث يبلغ إلى الحيرة في مقام الفقد، فيبرز بالبديهة له حسن وجه القدم، فيفزع منه ولا يطيق أن ينظر إليه بحد الاستقامة في المشاهدة، فيلحظه بلحظات الأشرار بنعت الغض والأبصار، فيتزوّد منها شربات كوس بحار الشوق والمحبة والأنس، قال تعالى في شأن حبيبه عليه السلام حيث كان في هذا المقام: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [البَقَرَة: ١٤٤]، وقال في وصف طيران روحه في السجود بنعت المراقبة مع أهل الملكوت حيث: ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النَّجم: ٨]، ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٢١٨، ٢١٩]، وقال العارف قدّس الله روحه: اللحظ سرعة وقوع عين السر بالبديهة على نور الحق في مشهد القرب.

الفصل الثاني: في مقام البسط

من نعت الشاهد فسحة نور الأنس من عالم القدس في قلبه فيبسط سره ببسط الحق له لينفسح فؤاده بالطرب والنشاط بالمشاهدة فيورثه الفرح في الوجد وكشف الجمال في الفيحان، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ [البَقَرَة: ٢٤٥]، قال ابن عطاء: يقبضك عنك ويبسطك إياه، وقال العارف قدّس الله روحه ونضر الله وجهه: الشاهد يرى الحق بنعت الجمال، ويبسط له روح الوصال والسرور بالجلال، وهذا البسط بسط الشهود ليس بسط التوحيد، وبسط التوحيد على درجة منه، وإن كان هذا البسط من سواحل بحر بسط التوحيد.

www.alkottob.com

الفصل الثالث: في مقام السر

إذا شاهد الحق تقدس الخاطر والتجريد عن الأكوان بنعت التمكين في المعرفة والاستقامة في العبودية وإدراك الربوبية، فيصير معدن أسرار الأسماء والصفات والنعوت والذات، فيحدثه الحق سبحانه بما كان في نفسه من العلوم الأزلية والأنباء القديمة، ويكشف له خفايا المقدورات الغيبية، فيكون عين سره مكحولة بنور سر الحق، فينظر بسر الحق إلى الحق، ومن الحق إلى سر الحق، فتحدث سر الحق مع الحق بلسان الحق، فيبلغ بالسر إلى سر السر الذي أخبر سبحانه من حال حبيبه ﷺ حيث ناجاه بلسان ظاهر السر وباطنه بقوله: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾ [طه: ٧] فأخفى سر السر، ثم وصف رسول الله ﷺ نقباء أهل الحقيقة وبدلاء المعرفة، فقال: «هم معدن الأسرار»، قال بعض المشايخ: السر يحس ما لا يحس به هاجس النفس، وعن يوسف بن الحسين أنه قال: قلوب الرجال قبور الأسرار، وقال: لو اطلع زري على سري قلعته، ويقال: سر من السر السر وهو حق لا يظهر إلا بحق ما ظهر بخلق فليس بسر، وحكى عن الحسين بن منصور أنه قال: سرنا بكر لا يفتضه وهم واهم، وقال العارف قدّس الله روحه: إن لله في الأفعال أسرار وهي مكشوفة للحكماء، وتلك الأسرار هي لطائف الحكمة الأزلية في انتظام صور الكون وله أسرار الصفات وهي مكشوفة لعلماء المعرفة وهي معاني الأسماء التي تحتها علوم قدر القدم وله أسرار في الذات وهي مكشوفة لسادات التوحيد وتلك نور الحقائق المبرز بالحق لأهل الحق.

الفصل الرابع: في مقام الأنس

إذا ذاق طعم المحبة وشاهد مشاهدة الحق أنس به واستراح من كل أليف ومحبوب وفرح ببقائه واطمأن بلطف صفته وبركة فعله وتلطف في أمر العبودية ورقّ فؤاده بجمال الله تعالى لا يحتمل بعد ذلك أثقال الامتحان ويكون سره رحمانياً وروحه ملكوتية وقلبه، وروحانية وصورته جنانية، يستأنس بكل المستحسنات ويستوحش من كل المستقبحات، قال الواسطي: لا يصل إلى محل الأنس من لم يستوحش من الأكوان كلها، قال العارف قدّس الله روحه: الأنس بالله ذوّب الفؤاد بنعت الراحة في جمال الحق سبحانه.

www.alkottob.com

الفصل الخامس: في مقام الأمر

إذا كمل في مقام الأنس وظهر له نور البسط والانبساط صار متصفاً بأنوار الربوبية وبلغ مقام الاستقامة في العبودية فيكون قوله قول الحق: ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، ألا ترى إلى [آصف بن] بَرخيا عليه السلام بعد استقامته في الأنس كيف كان في الاستسقاء وإذا أمر إلى الجبل كن بأمر الله ذهباً فصار ذهباً عند موسى صلوات الله عليه، قال العارف قدّس الله روحه: الأمر بسط الحق بنعت التجلي في لسان أهله.

الفصل السادس: في مقام الحكم

الحكم دلّ العارف حين تحكم بشرط الانبساط عن الله سبحانه وذلك عند مراده له وهو تعالى يتحمل منه ما لم يتحمل من غيره، فإنه في روح الأنس ونور القدس محترق مستغرق، والله تعالى مشفق عليه مغيثه ومعينه في كل أمر وحكم، ألا ترى كيف احتمل من موسى صلوات الله عليه وأتى مراده له حين قال: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [يونس: ٨٨]، وعند هيجانه في كسر الألواح والتدمر في قوله: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، والحكم من الأمر ومن كان له تحكم في شرط العشق والمحبة لأجل الدلّ وحلاوة الأنس على الله سبحانه يحكم على الكون وأهله فيكون مراده منهم: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [الأنعام: ٧٣]، وذلك تقليب الأعيان وتعجيز الخلق في الأمر وهذا بيان في خلف أنس بن نصر عم أنس بن مالك رضي الله عنه عند النبي ﷺ حين كسرت عمة أنس بن مالك ثنية جارية من الأنصار فأمر بالقصاص، فقال أنس بن النضر: لا والله لا تكسر ثنيتها يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «يا أنس كتاب الله القصاص» فرضي القوم وقبلوا الأرش، فقال النبي ﷺ: «إن من عباد الله لو أقسم على الله لأبره»[1] وقال العارف قدّس الله روحه: الحكم جرأة العارف بعد شهوده والتباسه بنور العظمة على الله سبحانه وذلك من تأثير جلال عظمته وسلطنة ربوبيته فيه وإلا كيف يوازي الحدث القدم.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في أبواب عدة منها: باب الصلح مع المشركين..، حديث رقم (٢٥٥٦) [٢/٩٦١] ومسلم في صحيحه، باب إثبات القصاص في الأسنان..، حديث رقم (١٦٧٥) [٣/١٣٠٢] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

الفصل السابع: في مقام الحمد

إذا هاج سر شاهد الله بنعت الشوق إلى تمام حسن الله، ورأى بحار منّته عليه بلطف سره في طلب ما يليق بجلاله، ولا يجد فيحمده به ولا بنفسه لأن حمده فني في حمده، ثم خجل في حمده، وانكسر قلبه عن الحمد في تواتر نعمه عليه، فيحمد ولا يرى حمداً، ويتواضع ولا يرى تواضعاً، ويفنى ولا يجد فناء، فوقع في بحر الحيرة، فعجز عن انبعاث الحمد من سره، فيكل لسانه وسره وقلبه عن الحمد، فيحمد الله نفسه له كرماً وإفضالاً على المتحير العاجز من حمده، وذلك شين في حمد الله نفسه، قيل: حمد الخلائق بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفَاتِحَة: ٢] قال عليه السلام: «أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء»(١) قال الوراق: لا يكمل الحمد إلا بخلال ثلاث: محبة المنعم بالقلب وابتغاء مرضاته بالنية وقضاء حقه بالسعي، قال العارف قدّس الله روحه: حمده بلسان العارف والشاهد حمده بنفسه لنفسه لأنه هو هو خاصية من بين الأكوان لأنه من نور القدم بدا حين أجاده وبحسن تجلي القدم ظهر من العدم.

الفصل الثامن: في مقام الثناء

مقام الثناء رؤية العظمة والجلال حيث ظهر الحق بنعت الكبرياء والسلطنة لشاهده فيذهب عن قلبه روح الانبساط فيطلب بقلبه الثناء على جلاله بلسان السر فيلطف لسان السر ثناءه بالحروف المجهولة حتى أدّى إلى قلبه وروحه ونفسه ثم إلى جميع جوارحه، فلسانه يأخذ النور والبسط من لسان الروح والروح من السر والسر من الغيب والغيب من الرب تعالى× فيقول حمداً لله بغير الاختيار بألفاظ قدسية ملكوتية جبروتية أزلية أبدية، ويكون جميع أعضائه وجوارحه وشعراته وبشراته ألسنة الثناء منه عليه، ثم يخرس لسان السر والروح والقلب، ثم لسان الظاهر حتى حمد الشاهد في الشهود لبدو أنوار الجمال وحسن وجه القدم، لأنه يرى الجمال بعد الجلال والعظمة، ويكاد أن ينبسط بالحمد فيبرز نور النور ويدنيه في حسن الحسن فيفنى في حسنه ويكلّ لسانه، وإن كان في مقام البسط فلا يقدر ثناء عظمته ولا جلاله ولا جماله

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الدعاء والتكبير. . ، حديث رقم (١٨٥١) [٦٨١/٣١] والدارمي في سننه، باب صفة النبي ﷺ، حديث رقم (٧) [١٧/١] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

تعالى الله، وذلك مراتب سيد المرسلين صلوات الله عليه في عروج سره إلى معارج الآزال والآباد حين سجد وقال في رؤية الفعل والصفة: «أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك»[١] ثم قال في رؤية الذات: «أعوذ بك منك»[٢] فسقط الحدثان في رؤية الرحمٰن عن قلب سيد العرفان، ثم أخرج نفسه عن البين ثم أخرج الكون والبين والثناء والحمد والعلل والتصرف والتعرف عن ساحة الكبرياء بقوله: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[٣] ترك حمده له بعرفانه على عجز الحدث عن ثناء القدم، قال العارف قدّس الله روحه: ثناء الله نشر وصف حسن صفاته عند المقبلين إليه والمدبرين عنه محبة وتحبيباً.

الفصل التاسع: في بسم الله

إذا اتصف الشاهد ببر الله ومحبة الله وبسناء الله وقع عليه مقدم النور الاسم في بسم الله، فإذا اتصف بالجمال والجلال وقع في النور الهوية وحصل تجلي هذه النعوت صار الاسم له حكماً، إذا أراد شيئاً ذكره فيكون كما يريد لأنه في مقام الاتصاف، ومن وصف الربوبية كون المراد على نعت ما يريد، قال الحسين بن منصور: من عرف الله صار الاسم بمنزلة كن: ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، قال العارف قدّس الله روحه: لولا السين والميم والباء حجاب الاسم لاحترق شاهد الاسم في معنى الاسم.

الفصل العاشر: في مقام الاسم المفرد وهو الله

إذا شاهد العارف الأزل والجلال والهوية بواسطة اللامين والهاء وفني عن الاسم في المعنى واحترق في نور الاسم بعد خروجه من الحروف إلى معدن الصفة صار الشاهد بنعت الهيبة من الأزلية والبهاء من الجلال والحيرة من الهوية انفرد له الحق بفردانيته فتفرده بفردانيته عن غيره، فيكون مجموع خلق الله في خلق الله، من أراد أن ينظر إلى الله فلينظر إليه فإنه مرآة صفاته يتجلى منه للعالمين، قال عليه السلام: «من رآني فقد رأى الحق»[٤]، قال العارف قدّس الله روحه: من طلب هذا المقام بالحروف

---

(١) (٢) (٣) هذا الحديث سبق تخريجه.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، باب رؤيا الليل. . ، حديث رقم (٦٥٩٥) [٦/٢٥٦٨] ومسلم في صحيحه، باب لا يخبر بتلعب الشيطان به في المنام، حديث رقم (٢٢٦٧) [٤/١٧٧٦] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

والأصوات احتجب في أوائل أحواله عن معنى الألوهية في الله. قال الحصري: يقولون الله وأنا أقول الله بغير قولكم الله، والله منزَّه عن قولنا الله.

الفصل الحادي عشر: في مقام اسم عين الجمع

أسماء الله بعضها نعت الفردانية وبعضها وصف الصفة وبعضها أسماء الأفعال، فما يكون منها اسم عين الجمع هو الرحمٰن، وذلك فيه وصف ذات القديم وصفة الأزلية وفعل الرحمة وهو تعالى منفرد به لا الغير، كما هو موصوف بالله وهما لله خاصة لا يوصف بهما أحد من خلقه، والعارف الشاهد إذا بلغ مشاهدة الذات في الصفات ومشاهدة الصفة في الفعل فقد بلغ مقام الالتباس ومقام المعرفة ومقام التوحيد، وإذا كان كذلك فقد بلغ عين الجمع ويرى الحق في جميع الأشياء. وذلك مقام العشق، ورآه بوصف تجلي الصفة وذلك مقام المعرفة، ورآه بوصف الفردانية وذلك مقام التوحيد، لأجل ذلك قال الله تعالى لصفيه ﷺ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ [الإسراء: ١١٠] لأن بهما ينعقد عقد التوحيد بجميعه العين والصفة والفعل فيهما، سمعت أن الحسين بن منصور [الحلاج] قدس الله روحه لما أرادوا قتله عرض عليه مكتوب فيه: من الرحمٰن الرحيم إلى فلان، فقالوا: ادعيت الربوبية بهذا، فقال: لا هو عين الجمع لا يعرفه إلا الصوفية، قال العارف قدّس الله روحه: الشاهد لم يبلغ درجة الشهود حتى بلغ مشاهدة عين الجمع.

الفصل الثاني عشر: في الملك

إذا تجلّى الحق سبحانه لقلب شاهده من نور اسمه الذي هو موصوف به وهو المالك يبرز فورة الألوهية في قلبه فيصير متلبساً بلباس سلطنته وعلا همته عن الحدثان، فإذا أراد أمراً من العارف يخضع له الحدثان بظهور نور الحق بنعت السلطنة منه للعالمين، وهذا منزلة آدم عليه السلام ومن ذلك سجد له الملائكة ومن ذلك سخر لسليمان عليه السلام الجن والإنس والرياح العواصف، قال: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ [ص: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، قال بعضهم: العارف يملك ولا يملك، قال العارف قدّس الله روحه: من شاهد سلطان كبريائه يتصرف في ملكه كما يشاء.

www.alkottob.com

الفصل الثالث عشر: في خطاب الخاص

من كان شاهداً مشاهدته خاطبه الحق في جميع مقاماته بعموم الخطاب فإذا وصل إليه وأدرك من فيض الحسن انبساطاً خاطبه الحق بغير واسطة في مقام أنسه وذلك الخطاب سر السر في سر السر بمعاني مجهولة من العلوم المجهولة الخارجة عن كل وهم وفهم ورسم، فلما زاد دنوه يقع في نور الكبرياء ويكون خطاب الله معه بنعت الفردانية وكلام السرمدية، قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقال عليه السلام: «إن في أمتي محدثين ومكلمين وإن عمر منهم»[1]، وقال العارف قدّس الله روحه: خطاب الخاص من حيث الربوبية وخطاب العام من حيث العبودية.

الفصل الرابع عشر: في مقام المناظرة

المشاهد إذا شاهد بزوائد النفس مقام الأنس ناظره الحق فيما جرى على سره من معارضة العقل وهو يناظره بوصف الدالّ ليقع من الحق حق الحقيقة ويعرفه أشكال العلوم القدرية فيسلم زمام العلم الإلّهي إلى سر التقدير بوصف الرضاء والمراد وهذا مقام خواص العارفين، قال: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى﴾ [آل عمران: ١٣٨]، يعني حجج القادرية وبراهين الإلّهية، وقال العارف قدّس الله روحه: مقام المناظرة يتولد من انبساط المشاهدة.

الفصل الخامس عشر: في مقام الإشارة

إذا غلب على قلب الشاهد المحبة وقع في الأنس فيرى المشاهدة في كل ذرة فإذا أراد أن يخبر من سر الشهود يشير إليه في كل وصف وفعل وصفة كأنه حاضر في الغيبة وغائب في الحضرة فأكثر كلامه بالذي والهاء والواو، وهذا من غاية لطفه كأنه يدركه ويخفيه لكن الإشارة في التوحيد كفر وفي حد العشق توحيد، وأن الله سبحانه أشار إلى نفسه بالتقديس والتنزيه بالإخبار عن وصفه بقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى﴾ [الفرقان: ١]، قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، قال الشبلي رحمة الله عليه: كل إشارة أشار بها الخلق إلى الحق فهي مردودة عليهم حتى يشيروا إلى الحق بالحق ليس لهم إلى ذلك طريق، وقال العارف قدّس الله روحه: الإشارة حق العشق لأنه يراه ولا يراه غيره، إشارته عند الخلق غيبة وعنده حضور.

---

(١) أورده الدينوري في تأويل مختلف الحديث، [١/ ١٦٢].

www.alkottob.com

الفصل السادس عشر: في مقام الكناية

الكناية والإشارة قريب أحدهما من الآخر لكن في الكناية زيادة تلويح كأنه أخبر عن الحق سبحانه بلسان البسط لطلاب الغيب يتلفظ بالاسم عن المسمى وعن المسمى بغير اسم المعروف ليدرك الشاهد ولا يعلم الغائب وذلك من شهوده مقام الإسرار والانبساط، وفي القرآن ذكر الله الكناية بقوله: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المَائدة: ٧٥]، قال العارف قدّس الله روحه: الكناية خبر الحال تغير مصطلحه غيرة على الحال.

الفصل السابع عشر: في مقام الإيماء الشاهد

إذا كان في وسط الأحوال ركب على قلبه نور القربة ففي كل حركة وسكون يؤتى سره عند ظهور بديهة الأمر إلى الحق من فرط المحبة لا من حيث أنه حمدك الحق فغلب سره على جميع جوارحه فإذا ظهر أمر من ممكن التقدير تحرك وجوده بالإيماء إلى الحق وهو معقول لأن إيماء سرعة الحال غيرة معذورة في مقام المعرفة والتوحيد، ألا ترى إلى زكرياء عليه السلام حيث حبس لسانه عن نشر الحال فأومأ، قال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ١٣]، قيل أومأ، قيل: الإيماء إشارة تحركه جارحة، قال الجنيد: جلست عند ابن الكرنبي فأومأت رأسي إلى السماء قال: بعد، ثم أومأت إلى الأرض فقال: بعد، أنكر ابن الكرنبي الإيماء لأنه في مقام التوحيد، قال العارف قدّس الله روحه: الإيماء إشارة السر إلى النور وإشارة النور إلى الغيب والغيب إلى معدن الأزل.

الفصل الثامن عشر: في مقام الرمز

ومقام الرمز وقوع نور الإلهام في قلب الشاهد الحاضر حين طلع صبح اليقين وانكشف نور المشاهدة عند تعرف الخاطر الرباني حكمة حقائق الصفة والفعل الإلّهي فيجري برهان الغيب على سره بألفاظ غيبية ورموز ملكوتية فيخرج من لسانه وقت جريان الحال والحكمة رمز تندرج تحته علوم الحقيقة الدينية التي لا يعرفها إلا العلماء بالله وذلك موجود في وصف الله نبيه زكرياء صلوات الله عليه عند اعتكاف قلبه في شهود الغيب وحبس لسانه عن كشف سواتر الأسرار لقوله تعالى: ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ [آل عِمرَان: ٤١]، قال الشيخ أبو نصر السراج: الرمز معنى باطن مخزون تحت كلام ظاهر لا يظهر إلا لأهله، وقال العارف قدّس الله روحه: الرمز حركة نطق السر بمعلوم الغيب في لسان العلم.

www.alkottob.com

الفصل التاسع عشر: في مقام الاجتبائية

إذا صفا جوهر الفطرة بنظر نور الأزل تنظر خلعة الحق نور الصفة فتصير برؤية الصفة مستعدة لرؤية الذات فأفرده من البرية بشهود مشاهدة الأزلية، فبقي فيها إلى الأبد فإذا ظهر في العالم ظهر منه في العالم نور خاصة الاصطفائية، قال تعالى: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾ [طه: ١٢٢]، قال العارف قدّس الله روحه: الاجتبائية سبق الولاية في الأزل وذهاب ظلمة الامتحان بنور العصمة.

الفصل العشرون: في الأمارة

إذا صار الشاهد مشهوداً ومراداً بعد الإرادة جعله الحق أميراً في ملكه يأمر بأمر الله فإذا أمر لشيء صار محكوماً وهذا بعد ذوقه لطف الربوبية، قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، قال الجنيد: أولو الأمر أولياء الله، وقال العارف قدّس الله روحه: الأمر إنصاف العارف بصفة المعروف.

الفصل الحادي والعشرون: في مقام النضارة

إذا شاهد العارف جمال الحق سبحانه بعد احتراقه في نور عظمته استبشر بالحق وصار لطيفاً فيظهر في وجهه نضارة نور البقاء فكل من نظر إلى وجهه يرى بشر الحق في وجهه، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، قال: نضرت بالتوحيد وابتهجت بالتفريد، قال العارف قدّس الله روحه: النضارة ظهور نور البقاء في وجه شاهده.

الفصل الثاني والعشرون: في مقام المسامرة

إذا شاهد الشاهد محضر الغيب واحتجب بالغيب عن الغيب احترق حجاب الغيب بنيران الهموم المفردة عن غير الله فيشهده الحق جماله تعالى فيقع في نور الأنس فيتحدث بكل عتاب ويسمع من الحق كل جواب فزاد أنسه فسامره الحق بأسرار وصالية ولطائف جمالية وهو يسامره بأشواق عارفية واحتياجات محبية عاشقية فيكون سمير الحق في العالم حيث نطق هناك قام القيامة، قال الشيخ أبو نصر: المسامرة عتاب الأسرار عند خفي التذكار، وقال الشيخ أبو عبد الله محمد بن خفيف قدس الله روحه: المسامرة استدامة طول العتاب مع صحة الكتمان، قال العارف قدّس الله روحه: المسامرة ظهور نور الأنس بنعت ظهور العتاب عند كشف النقاب.

www.alkottob.com

الفصل الثالث والعشرون: في مقام الطهارة

إذا تجلّى الحق لقلب شاهده تقدس بقدسه عن كل الشوائب والموانع من العرش إلى الثرى، فلما تقدس قلبه تقدس عقله من غلبة الامتحان ثم تقدست روحه بذلك القدس عن التفاتها إلى الأكوان ثم تقدس سره من حظ المحبة برؤية المحبوب، فإذا اشتمل القدس أركان الفطرة يؤثر قدسها في الحواس والجوارح فيتلألأ طهارة المعنى من ظاهره وباطنه، فكل من يراه يرى فيه جلال قدس الله لأنه مرآة الحق في العالم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٢]، وقال عليه السلام: «النظافة من الإيمان»[١]، قال العارف قدّس الله روحه: الطهارة خروج الأسرار من لوث الخطرات واتصافها بنور الصفات.

الفصل الرابع والعشرون: في مقام الشفاعة

إذا كان الشاهد مراد الله وأنه تعالى يحبه نفسه ويقربه منه ويلبسه لباس الحرمة والوقار ويصير عظيماً بعظمة الله صاحب قدر عند الله بقدر الله فيسهل له أحكام الانبساط في منازل الهيبة ويكون مرضي القول شافعاً مشفعاً يترحم على عباد الله بحرمة الله لا يردّ قوله في شفاعة خلق الله، قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، وقال عليه السلام: «يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب»[٢] وقال عليه السلام: «يدخل بشفاعة رجل من أمتي الجنة مثل ربيعة ومضر يقال له أويس القرني»[٣]، وقال العارف قدّس الله روحه: مقام الشفاعة لا يحصل إلا للمرادين المقدسين من الحسد الموصوفين بالشفقة والرحمة على جميع الخلق.

الفصل الخامس والعشرون: في مقام الرسالة

لا يقع هذا الاسم إلا لصاحب كمال مستقيم في جميع الأحوال معصوم من خطرات النفس ومتابعة الشيطان ويكون قلبه ملكوتياً وعقله جبروتياً وروحه قدسية

(١) هذا النص لم يرد إنما ورد بلفظ «الطهور شطر الإيمان» (صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، حديث رقم ٢٢٣)، والحديث رواه غير مسلم.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في أبواب عدة منها: باب الصبر عن محارم الله...، حديث رقم (٦١٠٧) [٥/ ٢٣٧٥] ومسلم في صحيحه، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة...، حديث رقم (٢١٦) و(٢١٨) ورواه غيرهما.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، ما ذكر في جرير بن عبد الله رضي الله عنه، حديث رقم (٣٢٣٤٣) [٦/ ٣٩٧] ورواه غيره.

www.alkottob.com

وسره جلالياً ونفسه مطمئنة محفوظاً بحفظ الله ومصفّى بنور الله مخلوقاً بخلق الله وموصوفاً بصفة الله مخاطباً مكلماً يأمر بأمر الله ويفعل بإذن الله وحاله مع الله بنعت السرمدية وأن الله تعالى يلبسه لباس الربوبية ويخرجه من رق العبودية فيسهل عليه أثقال الوحي ويكون ترجمان الحق في العالم يترجم خطاب الله بلسان الإنساني، وقال عليه السلام في وصف بدايته، في سماعه خطاب الله حيث قيل له كيف يأتيك الوحي قال: «يأتيني الوحي مثل صلصلة الجرس»[(١)]، قال بعضهم: آخر مقام الأولياء مقام الأنبياء، وقال العارف قدّس الله روحه: من وصل إلى درجة الرسالة لم يبقَ بينه وبين الله مقام لأنه في منازل الدنو وأكثر أحواله وحي بغير واسطة كما وصف حبيبه عليه السلام بقوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النجم: ٨، ٩] وهناك منازل الرؤية والوحي الخاص لقوله: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ [النجم: ١٠، ١١].

الفصل السادس والعشرون: في مقام الشك

إذا انكشف عن العارف الشاهد عين القدم بنعت الجفاء والبلاء وقع في بحر النكرة ويمسك بحبل المعرفة حجبه الحق بنعت النكر، ساعة وكاشف قناع المشاهدة له ساعة، فإذا بقي في النكرة امتحنه بسدمات قهره وواقعه في ظلمات النفي حتى تردد سره عند معارضة النفس وإلقاء الشيطان ليدمر عنه التوحيد دمار العلة ويصفيه بنيران القهر من الإنسانية ويعرفه مكان العبودية وفناءها في الربوبية، فإذا كان مآل النكرة إدراك القدم بنعت المعرفة خاطب بحر اليقين وسيد أهل التمكين في مقام التلوين صلوات الله عليه بهذا المعنى فقال: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [يونس: ٩٤]، خاطب بخطابة نجباء المعرفة، وكذلك قال عليه السلام عند باب التواضع وتذليل النفس في الربوبية: «نحن أولى بالشك من إبراهيم»[(٢)] وأشار عليه السلام إلى من أخبره مما وجد من وساوس الخاطر ويتعاظم

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في بابين، منهما باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، حديث رقم (٣٠٤٣) [٣/١١٧٦] ومسلم في صحيحه، باب عرق النبي ﷺ في البرد، حديث رقم (٢٣٣٣) [٤/١٨١٦] ورواه غيرهما.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، باب وإذ قال إبراهيم. . ، حديث رقم (٤٢٦٣) [٤/١٦٥٠] ورواه البخاري في غير هذا الباب، ورواه مسلم في صحيحه، باب زيادة طمأنينة القلب. . ، حديث رقم (١٥١) [٤/١٨٣٩] ورواه غيرهما. ولفظه: «نحن أحق بالشك من إبراهيم».

www.alkottob.com

ذلك، قال: «هذا صريح الإيمان». لم يكن الشك صريح الإيمان ولكن ما يبدو من ظلمته أنوار اليقين فهو صريح الإيمان» قال بعض المشايخ: الموحد في وصفه يدور حول الشك، وقال العارف قدّس الله روحه: الشك كون التوهّم في العيان عند ارتفاع البيان، كما أنشد [من الكامل]:

كبر العيان عليّ حتى أنه صار اليقين من العيان توهّما

الفصل السابع والعشرون: في مقام الغيب

إذا شاهد العارف حضرة الحق سبحانه بعد نفي الخطرات عن قلبه وبعد رعايته أسراره لنفي ذكر الحدثان عن حومتها واستقام في الرعاية سكن قلبه عن الاضطراب في مساكن الأنس والصفاء فصار أهلاً للغيب، فلما وجده الله أهلاً لشهادته وأهلاً لغيبته يكشف عن أسرار حضرته لقلبه فيرى بعين الله ما عند الله لأنه مرضي برضى الله، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ۝٢٧ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ۝٢٨﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٨]، قال بعض المشايخ: علم اليقين علم الغيب في المشاهدة وعين اليقين الإخبار عن الغيب وحق اليقين الحكم على الغيب، قال العارف قدّس الله روحه: الغيب ما غاب عن العموم غيرة من الحق على الغيب وما انكشف لشاهد الغيب خاصية من الله، قال عليه السلام: «الشاهد يرى ما لا يرى الغائب»[١].

الفصل الثامن والعشرون: في مقام الصلاة

الصلاة موضع الشهود والوصلة والخطاب والمناجاة والمسامرة وحقائقها ومقاماتها كثيرة، وأصلها دنو الشاهد بالسر من مشاهدة الله حين انكشفت لسره أسرارها وأنوارها لقرّة عين سره، وليكون عين سره مكحولة بنورها، كما أخبر عليه السلام من زيادة جلال نظره إلى مشاهدة الله في الصلاة حيث تراءى سره هلال جلاله بقوله: «وجعلت قرّة عيني في الصلاة»[٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، قال بعضهم: الصلاة الإقبال على الله والإعراض عما سوى الله، قال العارف قدّس الله روحه: الصلاة أعلام

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٢) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

العبودية والربوبية فمن شاهدها بنعت الفناء وجد منها نور البقاء فالدخول فيها بنعت العبودية والخروج منها بنعت الربوبية.

الفصل التاسع والعشرون: في مقام الحجاب

إذا أراد الله امتحان شاهده لفنائه عن شهوده فرق خاطره بوظائف العبودية حتى صار محجوباً بها عن لذة الوجد من الحال الذي هو مخرق الحجاب فلما سكن بصفاء العبادة بقي عن المشاهدة بالمجاهدة وذلك ألطف الحجاب وكذلك قال تعالى أخبر عن سليمان عليه السلام حين وقع في هذا الحجاب: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢]، هناك استترت شمس المشاهدة عنه، قال الكتاني: رؤية الثواب حجاب عن الحجاب، قال العارف قدّس الله روحه: الحجاب غيرة قهر الأزل على المتعرض لرؤية جلاله بغير الفناء عن أوصاف الحدث.

الفصل الثلاثون: في مقام الخطرات

معرفة الخطرات مقام الأكابر الذين يعرفون أشكال الغيب وما يبدو من أعلام الملكوت، فخاطر من الحق خاصة لأهل الخصوصية وخاطر من الملك وخاطر من عالم الفعل وخاطر من جهة العقل وخاطر من جهة الروح وخاطر من جهة القلب وخاطر من جهة النفس وخاطر من جهة السر وخاطر من جهة الشيطان وخاطر من جهة الفطرة ولكل خاطر من هذه الخواطر بيان وبرهان ووقت ومقام، ولا يعرف ذلك إلا عارف ربّاني شاهد الحق بالقلب والروح والعقل والسر يفرق بنور الله بين خاطر الحق وبين خاطر الباطل ولا يكون صاحب الخاطر إلا بدوام المراقبة والمحاضرة مشاهدة الغيب، أمّا خاطر الحق من الحق فهو أن يكون مهيجاً إلى طلب مشاهدته بنعت الوجد والشوق والمحبة ولا يبقى دونه خاطر من العرش إلى الثرى، وأمّا الخاطر الملكي فهو أن يبرز من إلهامه نور تظهر به مغيبات القلب ويعرف بذلك مرشد السعادة، وأمّا الخاطر الفعلي فهو بدو برهان علم الله في منظر القلب فأدرك به اعلام الحق وذلك الصادر من فعل الله سبحانه، وأما الخاطر العقلي فهو حركة العقل لطلب المعاملة وإثبات الحق بوضوح الآيات، وأما الخاطر من الروح فهو إشارة إلى استقبال وارد الوجد من بروز التجلي الحق، وأما الخاطر من القلب فهو إشارة إلى مقام العلم وموازنة الطريقة بالشريعة كقوله عليه السلام لوابصة: «استفتِ قلبك ولو أفتاك

www.alkottob.com

المفتون»[١]، وأما الخاطر من النفس فهو إشارة إلى مخالفة العلم، وأما خاطر السر فهو محل هواء تفطير الإخلاص في تجريد التوحيد، وأما الخاطر الشيطاني فهو إشارة إلى البدع والأهواء ومخالفة الله ظاهراً وباطناً، وأما الخاطر من جهة الفطرة فهو إشارة إلى طلب الحظوظ وذلك حركة سر الطبيعة وسيلانها إلى طلب حظها ومن لم يعبر ببحار هذه الخواطر لم يكن من أهل الشهود، قال الشيخ أبو نصر رحمة الله عليه: الخاطر تحريك السر لا بداية له وإذا حضر القلب فلا يلبث ويزول بخاطر آخر مثله، قال العارف قدّس الله روحه: الخواطر هواتف أطيار بساتين الأفعال والصفات والذات تترنم بزبور إلهام القهر واللطف تبين من مناطقها لطائف المقادير الأزلية.

الفصل الحادي والثلاثون: في مقام رؤية النفس

إذا انقطعت النفس من جميع شهواتها تطلب حظ رؤية المعاملة وأعواضها حيث دارت مع القلب في الطاعات فإذا أزمها الشاهد بزمام إفنائها في قهر سلطان الربوبية وفنيت فيها من الميل إلى غير الله تنكشف لها أنوار إشراق الأزليات وتغنيها عن فنائها من الميل إلى غير الله حتى لا ترى غير الحق من العرش إلى الثرى، وليس لها ذلك عياناً ولا توهماً لكن مرهونة بالطوارق القاهرة من الغيب وهذا العلم لا يعرفه إلا قليل من العارفين، وأضاف عليه السلام إلى نفسه هذه الخاصية بقوله: «أسلم شيطاني»[٢]، قال العارف قدّس الله روحه: رؤية النفس غلبة شهودها في منظر القلب حيث يظهر به أحكام الملكوت.

الفصل الثاني والثلاثون: في مقام الخداع

بداية أهل الشهود في المكاشفات رؤية أنوار الذات في الأفعال وظهور صفات الخاصة في صورة الملك له فتستشرف على خاطره نوادر الكشف بنعت التلبيس وذلك خداع الحال ومكر الطريقة لثبوته في حلاوة الوجد واستقامته في العشق ولكن هذه النوادر مقام المخادعة ولو تظهر له ذرة من أنوار التوحيد صرفة تبطل عليه هذه المكاشفات وهذه النوادرات، ألا ترى إلى قول أبي يزيد قدس الله سره في آخر ما وصف من مقاماته في حقائق التوحيد ومكاشفات الأزل: فأريت بعد ذلك أنه كله

---

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

(٢) هذا اللفظ لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع وورد معناه بألفاظ أخرى سبق تخريجها.

www.alkottob.com

خداع، قال قدس الله سره: الخداع انبساط الحق مع العارف وغيرته على إدراك أزلية أحد غيره.

الفصل الثالث والثلاثون: في مقام التوسم

الشاهد العارف إذا بلغ شهود الحضرة يظهر في قلبه سراجان: سراج من العقل الملكوتي وسراج من الإيمان الرباني، فيرى بسراج الإيمان ما في عالم الغيب مما أخبرنا الله سبحانه من الجنة وما فيها والعرش والكرسي وصفائح الأعلى وسفرة الحضرة والكروبيين، ويرى الأرواح ويرى بسراج العقل ما في عالم الملك والشهادة ويستشرف على خواطر الخلق، قال تعالى في وصف تبصرة قلوبهم وظهور أحكام القهر واللطف لأبصار عقولهم: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الحجر: ٧٥]، وقال عليه السلام: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»[1]، وقال بعضهم في تفسير المتوسّمين: أي مشرفين على الخواطر، وقال العارف قدّس الله روحه: التوسّم رؤية تبسّم صبح الغيب بغير المعارضة والريب.

الفصل الرابع والثلاثون: في مقام الصحبة

إذا بلغ الشاهد مقام الأنس صار صاحب الغيب باقياً بنعت الأنس في حضرة جلال الله مستأنساً بالله عاشقاً على الله، فإذا كان كذلك بلغ مقام الصحبة مع الله فيصحب معه بصحبة الله كل صادق موافق، قال تعالى في وصف الحبيب والصديق في مقام الامتحان عند جريان القضاء والقدر: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، وقال الطمستاني: اصحب مع الله فإن لم تستطع فاصحب مع من يصحب الله، قال العارف قدّس الله روحه: الصحبة استيناس الشاهد بمشاهدة الجمال في مقام البسط والانبساط.

الفصل الخامس والثلاثون: في مقام الرؤية

رؤية الغيب للشاهد على ثلاثة أقسام: رؤية الجنة ورؤية الحضرة ورؤية الحق سبحانه، أما رؤية الجنة فيكون في مقام المراقبة، وأما رؤية الحضرة فيكون في مقام المحاضرة، وأما رؤية الحق سبحانه يكون في مقام الرعاية، قال تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾﴾ [النجم: ١١]، وقال العارف قدّس الله روحه: الرؤية انكشاف نقاب العزة بالبديهة.

---

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

الفصل السادس والثلاثون: في مقام الآخرة

لصاحب الشهود عند كل وجد تنكشف له الآخرة، كأنه في كلّ دور الحالة هو آخرته وجد أحكامها توجد في القيامة لأنه في كلّ وارد يموت ثم يحيي، قال تعالى: ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ [البَقَرَة: ٤]، أي يشاهدونها، وما أشار الحارثة بقوله: «وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً وكأني» الحديث، قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن خفيف قدس الله روحه: الغريزة تظهر الآخرة وما فيها لأهل الحق في الدنيا، وقال العارف قدّس الله روحه: تظهر الآخرة في زمان المكاشفة لأهل الشهود كأنه فيها معايناً لها.

الفصل السابع والثلاثون: في مقام الحضور

الحضور قريب من الشهود، الحاضر بالجوارح صاحب فراسة والحاضر بالقلب صاحب إلهام وخطاب والحاضر بالعقل صاحب التفكر في الغيب والحاضر بالروح صاحب كشف الغيب والحاضر بالسر صاحب كشف مشاهدة الحق ولم يكن ذلك إلا بخمود النفس وخروج العبد عن العلائق والعوائق، قال عمرو بن عثمان: المشاهدة زوائد اليقين سطعت بكشوف الحضور، وقال العارف قدّس الله روحه: الحضور مراقبة الأسرار بلطائف الأنوار.

الفصل الثامن والثلاثون: في مقام الكدورة

تكون الكدورة من سدمة عالم النكرة معجوناً بوصف الغيرة فيحجب الشاهد حتى يقع في مرتع الفترة ويستوحش من الحال وتقتضي علة ذلك قبض السر وسر السر وتراكم الهموم في القلب فيطلب الشاهد نفسه في غبار تلك الكدورة ولا يراها فينصرف منها إلى ربها بنعت العجز فيطلع منها شموس الذات وأقمار الصفات فيتجدد له عهد المعرفة بنعت حلاوة المحبة، قال تعالى: ﴿يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٧]، قال الواسطي: طلبت الله في الصفاء فوجدته في الكدورة، وقال العارف قدّس الله روحه: الكدورة ضباب النكرة تحتها أنوار المعرفة.

الفصل التاسع والثلاثون: في مقام الشرك

طيران الشرك في منزل الشهود لتحير الأسرار ورؤية الأغيار حيث يحتجب عرائس الغيب عنه فيطلب المقصود من كل عين حتى تكون جميع الذرات أصنام مقصودة فيبقى على ما دون الحق بنعت اقتباسه لذة نعيم الصفات من الأشكال فهاهنا مشرك في التوحيد فيخلصه الله بظهوره عن رؤية الكون، قال تعالى: ﴿وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓ

www.alkottob.com

أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٠]، وسئل الشبلي عن التصوف فقال: التصوف شرك* لأنه تقديس السر عن رؤية الكون، قال العارف قدّس الله روحه: الشرك** سجية القلب بحلاوة العشق.

الفصل الأربعون: في مقام الرياء

إذا كشف القلب سر الحق والعقل فيظهر العقل الطبيعة ليصطادها بالحق فما دون الحق فيظهره الطبيعة للخيال فيظهره الخيال للجوارح ويظهر الجوارح عند الخلق لحبر قلوبهم إلى محمدتها فيقع الحجاب، قال: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال عليه السلام: «قليل الرياء شرك»(١) فإذا أدرك الحق شاهده حجب بين ما وجده السر وبين قلبه حجاب الغيرة حتى لا يطلع على سره المفرد أحداً من خلقه، قال العارف قدّس الله روحه: الرياء طلب النفس حظها بعد كدّها في العبادة من غير الحق.

الفصل الحادي والأربعون: في مقام الفقد

الفقد يكون بعد الوجد وذلك احتجاب أنوار الصفات ولمعان الذات، الفقد عن الشاهد بنعت امتناعه عن مطالعة أسراره ليزيد طلبه مشاهدة المعشوق فلما جرى عليه زمان الامتحان يبدو له ما لم تجد من أسرار القدم والأزل، قال ذو النون: لا تحزن على مفقود ويكون ذكر المعبود موجوداً، قال العارف قدّس الله روحه: الفقد استتار الجمال بلباس الأحوال.

الفصل الثاني والأربعون: في مقام التفقد

إذا وقع الشاهد في الغيبة يراعي سره ويطلب أحواله بنعت الهموم والأحزان حتى يباشر نيران الحزن قلبه فتحرق ما دون الحق من قلبه فيتجرد سره عن الخلق ويصير فرداً في طلب القرب فيبرز نور الغيب لأبصار بصائر سره فيرى لكل علة دواء ولكل فقد وجداً ولكل غيبة حضوراً ولكل كدورة صفاء، ألا ترى كيف وصل سليمان عليه السلام إلى رؤية عرش الغيب بعد غيبة روحه عنه حيث غابت في الملكوت

---

* كذا بالأصل والأصح أن تستبدل الكلمة بـ [توحيد] كما يفيد التعريف فنقول: التصوف توحيد لأنه تقديس السر عن رؤية الكون. لأن رؤية الكون وإثباته شرك عند الصوفية وعدم رؤيته ونفيه توحيد عندهم مصداقاً لقوله ﷺ: «ألا كل شيء ما خلا الله باطل» وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمٰن: ٢٦، ٢٧].

** كذا بالأصل والأصح أن نقول: التوحيد سجية القلب بحلاوة العشق.

(١) أورده الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، حديث رقم (٣٦٤٨) [٢/٣٦٩].

www.alkottob.com

لطلب الجبروت، قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ [النمل: ٢٠]، وقال العارف قدّس الله روحه: التفقد إقبال السر إلى الربّ بنعت طلب الوصال بعد الانفصال.

الفصل الثالث والأربعون: في مقام العجز الشاهد

إذا يرى الحق بنعت الصولة والعظمة يعجز قلبه عن حمل وارد الصفة ويعجز عقله عن إدراك معاني ما يرى القلب ويعجز روحه عن قطع طريق المعرفة في الأنوار والأسرار فيعلم الحق عجزه وضعفه بعد فناء الشاهد في المشهود فيعطيه حظاً من الحسن والجمال حتى يقف برزخ الأفعال بين معرفة الصفات ونكرة الذات، قال الصديق رضي الله عنه: العجز عن درك الإدراك إدراك، قال العارف قدّس الله روحه: العجز فناء العبودية في الربوبية.

الفصل الرابع والأربعون: في مقام المتشابهات

إذا تجلّى الحق سبحانه من نور الصفات في الأفعال لقلب الشاهد يغرقه في لذة الحال حتى لا يعرف الفعل من الصفة وبقي في رسم المعرفة دون حقائقها لتستوفي حظوظ العشق في مقام المتشابه وأن الله سبحانه بيّن في كتابه تجلي الصفات في الأفعال وذلك مثل الاستواء وذكر الوجه وغيره، كتابه ناطق بتلك المتشابهات، قال تعالى: ﴿ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ﴾ [آل عمران: ٧]، وأخبر عليه السلام في مقام المحبة من سر هذا المقام بقوله: «رأيت ربي في أحسن صورة»[١]، قال العارف قدّس الله روحه: المتشابه ظهور أنوار الصفات في المحبة المحب حيث لا يعرف الفعل من الصفة والصفة من الفعل.

الفصل الخامس والأربعون: في مقام الافتقار

إذا وطن قلب الشاهد داء استسقاء الاشتياق في شراب المحبة يرى كل معدوم موجوداً، قال تعالى: ﴿كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً﴾ [النور: ٣٩]، وهذا بروز برق الصفات بغير ظهور الذات حتى يجر عارفه إلى بحر الألوهية ويسقيه شراب زلال القرب من سواقي الصفات وتحرق كبده نيران سطوات الذات فيزيد عطشه على عطشه فيفتقر إليه من ذلك العطش ولا يجد مخرجاً من افتقاره إليه لأن الحدث لا يكون

---

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

قديماً ولا يكون العدم قدماً فبقي في الافتقار في رؤية الأسرار، من ذلك قال عليه السلام: «الفقر فخري»[١] قال العارف قدّس الله روحه: الافتقار انجذاب الفطرة إلى عالم القدرة بإسقاط رؤية الاختيار كانجذاب الذرة إلى قرص الشمس بغير اختيارها وافتقار الحديد إلى المغناطيس بغير اختياره.

الفصل السادس والأربعون: في مقام الرخص

إذا كمل العارف في الاستقامة وصار صاحياً بعد سكره وتكون مشاهدة الحق بنعت الجمال وطنه إذا راد أن يرد إليه بمراكب الذكر والفكر والوجد والحال يكون حاله حال البسط والأنس والانبساط فيبيح له ما يبيح للمريدين من الدخول في السعات والعيش في الرفاهية وتكون الرفاهية مطية أسراره إلى عالم مشاهدة الحق، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢]، وقال عليه السلام: «إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه»، وقال العارف قدّس الله روحه: الرخص مرتع الصديقين ورياض المقربين ومضطجع مسود المحبة وبساتين بلابل المعرفة.

الفصل السابع والأربعون: في مقام النفخ

إذا صار الشاهد فانياً مما دون الحق نفخ الله فيه روحاً من بقائه حتى لا يفنى فيه بعد بقائه معه وذلك النفخ تجاه صفة البقاء بنعت تعريفه نفسه فيعيش بروح البقاء روح معرفته ويعيش روحه بروح المعرفة، وإذا كان باقياً بهذه الأرواح يكون آدم الوقت وعيسى الزمان مثلاً يبقى ببقائه العالم لأنه وتد المكان وجبل الزمان، قال تعالى في وصف آدم حين أيده برؤية هذا المقام: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩]، قال عطاء في تفسيره: أبديت عليه أنوار شواهد عزتي وروحت سره بما يكون به العباد روحانيون، وقال العارف قدّس الله روحه: النفخ ظهور الصفة في الفعل، ألا ترى قوله تعالى في حق آدم: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩] التسوية عالم الفعل والنفخ ظهور عالم الصفة.

الفصل الثامن والأربعون: في مقام الروحانية

إذا صار الشاهد حياً بروح الله يكون سره نورياً وروحه صفياً وقلبه روحياً، وصورته روحانية يصل سره إلى مشاهدة الذات، ويصل روحه إلى مشاهدة الصفات

---

(١) أورده العجلوني في كشف الخفاء حديث رقم (١٨٣٥) [٢/ ١١٣].

www.alkottob.com

ويصل قلبه إلى مشاهدة الحضرة، ويصل عقله إلى مشاهدة الفعل، ويكون صورته مخففاً ملطفاً منوراً مليحاً محبباً في قلوب المؤمنين، قال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦] وقال في وصف كليمه: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: ٣٩]، وبهذه المثابة يسمى عيسى روح الله، وقال في وصف حبيبه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ﴾ [الشورى: ٥٢]، وكذلك رفع عيسى إلى السماء وطار السيد عليهما السلام إلى العرش، والروحانيون معرفون في السموات والأرض، قال عليه السلام في وصف عيسى: «رحم الله أخي عيسى: لو ازداد يقيناً لمشى في الهواء»[١] وأشار إلى نفسه عليه السلام فإنه مشى فوق الملكوت في سرادق الجبروت وازداد لعيسى فمشى إلى السماء، وقال سهل: من أخلص الله أربعين يوماً يصير روحانياً يطير مع الملائكة، قال العارف قدّس الله روحه: الروحانية بروز نور التجلي في وجوه العارفين.

الفصل التاسع والأربعون: في مقام الخلافة

إذا كان الشاهد بوصف ما ذكرنا صحت خلافته من الله سبحانه في العالم لأنه مشكاة أنوار صفاته ومسرجة سناء ذاته وموقع كشوف أسراره، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ [النور: ٣٥] السموات روحه والأرض قلبه ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾ [النور: ٣٥] نوره مصباح الجلال في مشكاة فؤاده يبرز ضياؤها في العالم لذلك قال تعالى في وصف آدم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ﴾ [البقرة: ٣٠]، أي نائباً من نواب الحضرة ومسجداً من مساجد القدرة متخلقاً بالصفات متحلياً بنور الذات، فإذا كمل في الخلافة يصير قبلة المريدين والصادقين لأنه مرآة الحق يتجلى منه لأبصار الناظرين والطالبين، كما كان آدم عليه السلام قبلة الملائكة حين قال تعالى لهم: ﴿ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ﴾ [البقرة: ٣٤]، قال العارف قدّس الله روحه: الخلافة محل التمكين والتصرف في المملكة بعد الاتصاف بالصفة.

الفصل الخمسون: في مقام الدعوة

إذا صحت خلافته صار ملهماً بإلهام خاص ومخاطباً بخطاب خاص الخاص بلا واسطة، يأمره الحق سبحانه أن يدعو عباده إليه بلسان الولاية والنيابة والخلافة،

(١) هذا الأثر سبق تخريجه.

www.alkottob.com

ويؤيده بنشر علم الألوهية وحكم الربانية والكرامات القدرتية والآيات الراضحة والفراسات الصادقة ويلبسه بهاء من بهائه ونوراً من نوره وجمالاً من جماله ويجعله سهلاً ظريفاً رحيماً رؤوفاً بأمة محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، قال عليه السلام في وصف أمثاله: «العلماء ورثة الأنبياء»[١] وقال: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل»[٢] وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣]، وقال جمهور المشايخ: إن صفة الولي الصادق الشاهد المقرب أن يكون داعي الخلق إلى الله بالأعمال الصالحة ولسان المعرفة، قال العارف قدّس الله روحه: مقام الدعوة لا يكون إلا للمأذون من الحق بذلك بوصف الخطاب والإلهام.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب قول النبي ﷺ: «رُبّ مبلغ أوعى من سامع» [١/ ٣٧] وابن حبان في صحيحه، ذكر وصف العلماء..، حديث رقم (٨٨) [١/ ٢٨٩] ورواه غيرهما.

(٢) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (٢٧٤٤) [٢/ ٨٣] والهروي في المصنوع [١/ ١٩٥].

www.alkottob.com

الباب العاشر
في مقامات المقربين وفيه خمسون فصلاً

الفصل الأول: في الانفراد

من شعار المقربين الانفراد مما دون الله بالله وذلك أول رسم التوحيد وهناك يرجع الحدث إلى الحدث والقدم إلى القدم حين ظهر أوائل تجلي العظمة والكبرياء حتى ينفرد المقرب بفردانية الله عن نفسه وقلبه وروحه وحظه من الوجد والحال، ثم ينفرد سره عن رسوم العبودية ويتصف بأوصاف الربوبية، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الأنعَام: ٩١]، وقال الحسين: حسب الواحد إفراد الواحد، وقال العارف قدّس الله روحه: الانفراد احتراق الأسرار في أنوار تنزيه الأزل.

الفصل الثاني: في مقام الانبساط

إذا امتلأ من العشق والشوق وهاج سره إلى رجال العشق وهاج الرجال إلى البسط وهاج حال البسط إلى الأنس وذاق طعم الأنس والاستئناس بالحق والحق يتلطف به ويظهر عليه بوصف الجمال والحسن الأزلي صار مشاهدة جماله وظنه كأنه ولد في مقام الأنس وينبسط إلى الحق كالولد إلى أمه، ألا ترى إلى شأن موسى وما حكى الله عنه بقوله: ﴿أَرِنِي﴾ [البَقَرَة: ٢٦٠]، وقوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعرَاف: ١٥٥]، قال أبو سعيد القرشي: يؤذن لأهل القرب في الانبساط، إذا زال عنهم الأنس بغير الحق والخوف من غيره وتصير نفسه حراً وقلبه أميناً أذن له في الانبساط فينبسط بما لله لا بما لنفسه وكيف ينبسط بما لنفسه وقد فنى نفسه فيكون انبساطه بما لله لا بما له، قال العارف قدّس الله روحه: الانبساط زوال الاحتشام بين العاشق والمعشوق.

الفصل الثالث: في مقام علوم الأسماء

إن الله سبحانه إذا أراد أن يعرفه المقربون بالمعرفة الخاصة يعرفهم طرق أسمائه الحسنى ويسقيهم من بحارها معجونات أفانين حقائقها ليعرفوا بأنوارها طرق الصفات

www.alkottob.com

لأن الأسماء مفاتيح كنوز الصفات والصفات مفاتيح معارف الذات فيعرفون بتعريف الله أسماءه وصفاته وذاته، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البَقَرَة: ٣١]، قال الحريري: علّمه اسماً من أسمائه المحرومة* فعلم به جميع الأسامي، وقال الحسين: عرفوه بالاسم فعاشوا ولو عرفوه بالصفة لطاشوا ولو عرفوه بالذات لماتوا، وقال العارف قدّس الله روحه: معرفة الأسماء لا تكون إلا أنوار تجليها ولا يكون ذلك إلا ببروز أنوار الصفات فيها ولا يكون ذلك إلا بانكشاف جلال الذات فيها، من عرف الأسماء عرف الصفات ومن عرف الصفات عرف الذات لأن الاسم والمسمى في عين الجمع واحد.

الفصل الرابع: في مقام المعاينة

إذا قرب العارف من حضرة الجلال بنعت الشوق بدا غليان العشق وتراءى في سماء اليقين هلال جمال الأزل من مطالع القدم فيبرز له الحق بلباس القدس ويهب له عيوناً من صفاته ويجعله من فرقه إلى قدمه عيوناً صفاتية فيرى الحق بجميع عيونه حتى لا يعزب عنه شعرة إلا ويرى الله سبحانه بوصف الألوهية والجبروتية والأحدية، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القِيَامَة: ٢٢، ٢٣]، قال عليه السلام: «سترون ربكم عياناً»[(١)]، قال الروذباري: المشاهدات للقلوب والمكاشفات للأسرار والمعاينات للبصائر والمرايات للأبصار، وقال العارف قدّس الله روحه: المعاينة كشف الذات لمن له عين من الصفات.

الفصل الخامس: في مقام المشاجرة

هذا المقام قريب من الانبساط وله سكر سرمد مع صحو سرمد ويكون له دلال بين يدي الله سبحانه فيأخذه الحق في مقام الانبساط بدقائق الآداب وهو يجيبه بنعت الدلال ويطلب منه ما له عليه، يجهله ساعة ويعرفه ساعة فبقي في المشاجرة أبداً، قال العارف قدّس الله روحه: المشاجرة تلون من رؤية المكانة في الحضرة.

---

* كذا في الأصل.

(١) رواه البخاري في صحيحه في أبواب عدة منها: باب إثم من فاتته العصر، حديث رقم (٥٢٩) [١/ ٢٠٣] ومسلم في صحيحه، باب فضل صلاتي الصبح والعصر..، حديث رقم (٦٣٣) [١/ ٤٣٩] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

الفصل السادس: في مقام العربدة

إذا شرب المقرب مفرح الخلة وصار سكراناً في المحبة ويتعرض له امتحان لزوائد قربه يعربد مع الحق من التباسه بلباس صولة الحق فيحتمل الحق منه ما لا يحتمل من غيره مثل احتماله من موسى وبرخيا عليهما السلام وهما معروفان بالانبساط، ألا ترى كيف وصف تعالى خليله عليه السلام بهذا المقام حيث قال: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾﴾ [هود: ٧٤]، وقال العارف قدّس الله روحه: العربدة في السكر منازعة الربوبية بالربوبية.

الفصل السابع: في مقام العصمة

إن الله سبحانه عصم المقربين من مضرّة الامتحان على ظاهر الطريقة وإن امتحنهم بحقائقها لأنهم في عين المراعاة والحفظ والكلايات، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] يعصمهم بلطفه عن قهره وهو تعالى بنفسه يكون حجاباً بينهم وبين قهر غيرته فيفرون منه إليه، كما قال: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠]، وقال العارف قدّس الله روحه: العصمة وقوع تجلي القدس على فطرة الروح فيتقدّس بالقدس عن غير القدس.

الفصل الثامن: في مقام القرب

قرب المقربين من الله قربه منهم لا قربهم منه لأن ساحة الكبرياء منزهة عن المسافة، قربه ظهور جلاله من ممكن القدم لأبصار المقربين بعزّ مكث الزمان وبعد المكان، قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، وهذا مكان الإحسان وهو رؤية الرحمٰن بغير الامتحان، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] ورحمته مشاهدته والمقرب المتعرض لقربه بوصف بذل الوجود لا يكون مقرباً حتى قرب الحق منه بوصف الاتصاف، كما حكى عليه السلام عن ربه تعالى: «لا يزال العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً ولساناً ويداً»[١] قال بعض المشايخ: إن لله عباداً أقربهم إليه مما هو به قريب إليهم، قال العارف قدّس الله روحه: القرب دنو القلب من الربّ بنعت رؤية الذات والمعرفة بالصفات.

---

(١) هذا الحديث سبقت الإشارة إليه.

www.alkottob.com

الفصل التاسع: في مقام البعد

إذا قرب من الحق بنعت المعرفة وسار في ميادين وحدانيته وقع في بحر المعرفة وسبح فيها إلى أن ينكشف له بعض قعرها بوصف النكرة فيعلم أن الحدث لا يصل إلى القدم أبداً فيحصل من كل قرب له بُعد حتى يكون البُعد ولا يكون القرب ويزيد بُعده ببُعده لبقائه في درك الحيرة عاجزاً عن درك الدرك، قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، قال أبو الحسين النوري لأبي حمزة الصوفي في قرب القرب، في معنى ما: هو الذي نشير إليه نحن ببُعد البُعد، وقال العارف قدّس الله روحه: البُعد استغراق العارف في بحر الهوية لا يدرك معصماً ولا ملجأً في استغراقه.

الفصل العاشر: في مقام الخيال

للمقربين مرآة الفعل في قلوبهم وتلك خيال محمودة تترجم أشكال الغيب بصور المستحسنات وربما تقع فيما تتجلى الصفات بنعت الالتباس فيصير ذلك فيه ظاهراً بلباس الحسن، والحسن لزيادة قربهم ومحبتهم، وهذا تسلية من الله سبحانه للأنبياء والمرسلين والمقربين لكي لا يحترقوا في سطوات العزة، قال العارف قدّس الله روحه: الخيال مرآة أنوار الجمال.

الفصل الحادي عشر: في مقام المثال

إذا تحيّر الروح في أودية النكرة عن إدراك كنه الحقيقة ولم يكن لها حظ من إدراك بطون القدم نصب لها مثال على هيأة الصورة الحسنة المطبوعة في عالم الفعل صيّرها الحق سبحانه مرآة أشكال الغيب فيبرز الصفات بنعوتها وتنزيهها للأفعال في تلك المرآة لتدرك الروح حظها من مشاهدة الصفات في الأفعال، قال عليه السلام: «إن الله تعالى يرى هيأة ذاته كيف شاء: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧]»[1]، ومن هاهنا شرك العاشقين في منزل العشق حيث يستأنسون بالتشبيه ويفرون من إفراد القدم عن الحدث لأن هناك تسقط حظوظ العشاق، قال العارف قدّس الله روحه: المثال ملجأ الخواطر المحترقة بنيران التوحيد.

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

الفصل الثاني عشر: في مقام النور

أنوار الحضرة تلوح للمريدين وأنوار الملكوت تضيء للمحبين وأنوار المشاهدة تبرز للعارفين، أنوار الأفعال للعقول وأنوار الصفات للقلوب وأنوار الذات للأرواح، يرى المقربون أنوار فعله في الآيات فيقعون بها في الأفكار، ويرون أنوار الصفات فيقعون بها في الأذكار، ويرون أنوار الذات فيقعون بها في المعارف والتوحيد فبنور الفعل يحصل لهم الحكمة وبنور الصفة يحصل لم المحبة وبنور الذات يحصل لهم الربوبية، قال تعالى: ﴿يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٣٥]، أراد به نور ذاته وقوله: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢]، أراد به نور صفاته، وقوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]؛ أراد به نور أفعاله، قال عليه السلام: «إن الله خلق الخلق في ظلمة فألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأ ذلك ضلّ، فلذلك أقول: جفّ القلم على علم الله»[1]، قال أبو الحسين النوري: لا زلت أنظر إلى النور حتى صرت نوراً، قال العارف قدّس الله روحه: النور إشراق جمال الحق في قلوب المقربين.

الفصل الثالث عشر: في مقام الرعد

إذا هاج المقرب إلى طلب مزن قطرات الإلهام عن سماوات اليقين ويلقى سماع القلب من شهود الغيب يسمع بالسمع الخاص أصوات اصطكاك سحاب العظمة وضرب مخاريق القدرة على أفعال الهوية وربما يسمع كلام الحق بواسطة الملك، ألا ترى كيف أجاب عليه السلام حين سئل عن إتيان الوحي إليه قال: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس»[2]، وقال العارف قدّس الله روحه: الرعد قرع سطوة العظمة قلوب أهل الهيبة.

الفصل الرابع عشر: في مقام البرق

إذا أظلمت صحارى الطبيعة بدخان النفس الأمّارة ويتحير القلب فيها ولا يدري مخرجه منها يبرق برق نور الصفات بنعت التجلي في قلب المقرب فيرى سبل طريق

---

(١) رواه الترمذي في سننه.، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، حديث رقم (٢٦٤٢) [٥/ ٢٦] وابن حبان في صحيحه، ذكر إلقاء الله جلّ وعلا النور على من شاء..، حديث رقم (٦٩٦٩) [١٤/ ٤٣] ورواه غيرهما.

(٢) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

الغيب فيسري بها إلى كنف القرب فتزول ظلمة النفس بنور برق الغيب فيجد المقرب لذة نفس الوجد هناك، قال تعالى في وصف كتابه: ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ [البَقَرَة: ١٩]، وقال بعضهم: الوجد كالبرق، أنشد الشبلي [من الطويل]:

أظلّت علينا منك يوماً غمامة أضاءت لنا برقاً وأبطأ رشاشها

فلا غيمها يجلو فييأيس طامع ولا غيثها يأتي فيروي عطاشها

قال العارف قدّس الله روحه: البرق وقوع بديهة نور التجلي.

الفصل الخامس عشر: في مقام الصحو

إذا سكن فورة بحار التوحيد وصحا من تراكم غيوم العظمة سماء التفريد واستقام حيزوم المعرفة في ميادين التجريد وتخلص السر عن التلاشي في سطوات القدم وبان الذات والصفات بنعت الجمال وتمكن الروح في نعوت الحق تحقق العارف مقام الصحو، قال الشيخ الكبير أبو عبد الله بن خفيف: الصحو انجلاء القلوب لما قد غمرها من المذكور، وقال العارف قدّس الله روحه: الصحو قرار نعوت الروحانية تحت نعوت الربانية.

الفصل السادس عشر: في مقام القياس

إذا تمكن العارف في معرفة كشوف الغيوب وعرف أوائلات بديهيات ما يقع من أحكام مواردات الملكوت في القلوب تقيس تنفس نفحات كل طلوع صبح سناء الكواشف وأنوار المعارف بما يجري عليه في أوائل الأحوال وتقيس بمعلومها علم المستقبلات مما لا يظهر في زمان المواجيد وحقيقته أن يكون مكاشفاً بنعت الظاهر من العلوم الرسومية، ولكل مقام العارف قياس يزن به ما لم يبلغ إليه وقياس كل معزول من المعرفة محال، ومخايل خاصة أن يقيس نعوت الحق بنعوت الخلق فإنه محض التشبيه وساحة الكبرياء منزّهة من علل الحوادث، قال العارف قدّس الله روحه: القياس الحقيقي ما يوافق المقيس عليه من جميع الوجوه ويكون مضبوطاً المحبة بصحبته.

الفصل السابع عشر: في التجربة

وذلك معالجة النفس الأمّارة بأنواع المجاهدات حتى تبيّن طمأنينتها ببعض العلاج فيعزم العارف في مخالفتها به فإذا سهل تقاربها وانقادت للحق صارت الحقيقة

www.alkottob.com

منفتحة للقلب وفاز العارف من معارضتها؛ والتجربة حسنة في كل شيء في التوحيد والتوكل؛ فإن هناك من الشك في الطريقة.

الفصل الثامن عشر: في مقام التعجب

إذا بان نوادر الغيوب للقلوب وتقع أنوار حقائق الحق في عيون الأرواح بالبديهة وتتجدد كل ساعة عجائب عرائس الملكوت والجبروت بتعجب العارف ذلك من أنها لم تأتِ بها على النعوت المعهودة، وتزيد تعجبه معرفته بالله وبتوحيده وكمال قدرته، ويتولد من السرور بالحق ومشاهدته أبداً.

الفصل التاسع عشر: في الاصطفائية

وذلك سبق عناية الله في الأزل في حق العارف حيث اختاره بالولاية وحقيقتها ظهور الحق لروحه بنعت التجلي والتدلي وتعريف نفسه إياها وإلقاء محبته عليها فتبقى لها آثار مشاهدة الحق ويظهر من هيكلها نور جماله، فإذا كان كذلك يضحك وجوده كله بضحكة الربوبية ويستأنس به كل شيء ويحبه كل شيء ويخضع له كل شيء وذلك مقام أهل الكمال من العارفين، وقال العارف قدّس الله روحه: الاصطفائية كون معلوم الحق بنعت الرضاء.

الفصل العشرون: في مقام الملكية

وذلك تقديس فطرة الإلاهية الأولية ونقلها على نعت الأولية إلى مقامات الإنسانية، فالقلب على سمته الأول يبقى، والروح على قدسها الأول تبقى، والعقل على وصفه الأول يبقى، والنفس والجوارح تتلوث برجس الآثام وتكون أنوار صفاء العبودية متتابعة وأبواب كشوف الغيب مفتوحة، ولا تكدر الأفكار ولا يقع العارف في بحار الامتحان، ويفنى على نعت الإيقان والعرفان، وصار محفوظاً بحفظ الحق من الخطرات والزلات والحجبات، فإذا كان كذلك العبد روحانياً ملكياً ملكوتياً.

الفصل الحادي والعشرون: في مقام الخيرية

هذا مقام إذا عرف العارف نفسه في مقام المعرفة بالولاية ورأى تراكم أنوار لطائف الحق عليه ولا يتغير حاله ووصاله بعوارض البشرية ويرى بنور الفراسة أقدار الخلق في الحضرة ويغلب عليه سكر البسط والانبساط لا يبالي أن يقول: أنا خير من فلان، وفلان لم يبلغ مقامي، وهذا من دأب السكارى ولا يكون ذلك حسن من

www.alkottob.com

المدعي فإنه قبيح الحال والمقال منهم عند ذوي الكمال مثل إبليس حين قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢] ولا بأس إذا قال الصادق في المحبة فإنه منه غيرة وعربدة، ألا ترى كيف قال خير الخلق عليه السلام: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»، قال العارف قدّس الله روحه: الخيرية رؤية قبول الحق بنعت الرضاء والبقاء في الوصال.

الفصل الثاني والعشرون: في التقديس

هذا إذا كان تنكشف له أنوار قدس القدم وتقدّس سره عن رؤية كل علة ويرى مشاهدة المقدس فهيجه إلى التقديس فتقدس الله تعالى جميع وجوده حتى نفى وجوده في قدس الحق فيبقى المقدس وقدسه لا بقدس العارف فالعارف يكون كله لسان التقديس وليس هناك تقديسه بل الحق قائماً بقدسه لا بقدس الغيب، قال العارف قدّس الله روحه: التقديس فناء المقدس في المقدس بعد ظهور قدسه به.

الفصل الثالث والعشرون: في مقام التسبيح وهو كمال الذكر

إذ غلب عليه لوائح الوحدة ويظهر له بديهة تجلي القهار به هيجته إلى ثناء وجوده بلسان التسبيح وذل الرؤية إذا ظهرت في الأشياء بان منها تسبيح الحق بلسان العجز والفناء، قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤]، قال العارف قدّس الله روحه: التسبيح افتقار وجود المسبّح إلى ثناء الأزل بنعت العجز.

الفصل الرابع والعشرون: في مقام اللاهوتية

فهو عين الجمع، إذا ظهر نور اللاهوتية في الناسوتية بعين الإنسان في أنوار الرحمٰن ويصير العارف في محل الاتحاد فيرى نفسه بنعت الربوبية من كمال استغراقه في الحق وهناك مقام الدعوى والشطح، قال العارف قدّس الله روحه: اللاهوتية ظهور أنوار الأزل في الأرواح والهياكل بغير الحلول والحمد لله.

الفصل الخامس والعشرون: في الناسوتية

إذا فارق عنه نور التجلي ويفنى في مقام الصحو ترجع آثار الإنسانية ويكون بين الوصل والفصل ساعة في المجاهدة وساعة في المراقبة وساعة في المعارضة وساعة في المعاتبة وساعة في المحاسبة وهذه الأوصاف نعوت الناسوتية وهي في حجاب الامتحان في مقام العرفان، قال العارف قدّس الله روحه: الناسوتية تعذيب الأشباح وتقديس الأرواح.

www.alkottob.com

الفصل السادس والعشرون: في مقام الشبه

إذا كان العارف في سير الروح حين يطلب مشاهدة الحق صرفاً يعتري بقلبه أشباه الفعلية في لباس المخائل ليجر به الحق بالخيال والشبه كيف تتخلص له حقائق التوحيد، وذلك أيضاً مشاهدة مكرية تلبيسية لتجذبه إلى العشق فإذا قوي عشقه هيجه كمال العشق إلى رؤية إفراد القدم عن الحدث وانفراد الحق بوصف الصفات والذات عن العلات، قال العارف قدّس الله روحه: الشبه بدو ظهور نور الصفة في الأفعال وظهور الأفعال في الخيال.

الفصل السابع والعشرون: في مقام النفخ

إذا صار ميتاً بوصف الفناء في رؤية العظمة والكبرياء ينفخ الحق الروح في روحه روح أنوار البقاء فيكون بنفخ الحق حياً بالحق ولا يجري عليه بعد موت الحجاب ويحيى به كل قلب ميت ويكون عيشه عيش الإلاهيين من نظر إليه صار حياً بالمحبة والإرادة، قال العارف قدّس الله روحه: النفخ مباشرة نور التجلي في الأرواح والأشباح.

الفصل الثامن والعشرون: في الغين

الغين عارضات العظمة على القلب فيتلاشى تحته ولا يدري من هو وأين هو ولمن هو وفي من هو، ولا يعرف مسالك القرب والوصال والإقبال والقدم والبقاء والأزل والأبد والقرب والبعد، ولا يعلم العلم ولا يعرف المعرفة فيكون في تحت غيوم القبض وينشد عليه أبواب الحال والوجد ولا يقدر أن يطلب مناصه منه حتى بدا له نور الصبح البسط والأنس فيكون جريانه في المعرفة أقوى، ولذلك قال عليه السلام: «إنه ليغان على قلبي»[١]، قال الخراز: الغين شيء لا يجده إلا الأنبياء وأكابر الأولياء وذلك لصفاء الأسرار، قال العارف قدّس الله روحه: الغين تغير الروح في مسالك الوحدة.

الفصل التاسع والعشرون: في مقام الاستغفار من الغين

فإذا أفاق من سكر القبض والفناء وجد نفسه منقطعاً عن السير في الحق وذلك ظن منه لأنه سيار في الحق فيستغفر الله من تقصيره وتزيد رغبته في معرفة الذات

---

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

والصفات والخروج من كل الصفات، ولو كان الغين النظر إلى غير الله أو لاشتغاله بما لله عن الله ليكون استغفاره من التقاعد في الطريق، وممكن أن استغفار النبي ﷺ من كلا الطريقين حيث قال: «وإني لأستغفر الله في كلّ يوم وليلة مائة مرة»[١] قال بعضهم: استغفار النبي ﷺ من رؤية الخلق والاشتغال بأمور الشريعة فإنه كان بها مشغولاً عن مشاهدة الحق، قال العارف قدّس الله روحه: استغفاره كان من رؤية وجوده في وجود الحق وذلك أنه كان يريد أن لا يكون وجود الحدث عند ظهور نور وجود القدم.

الفصل الثلاثون: في السجود

العارف في أوائل العشق يسجد لكل شيء فيه ظهور أنوار الحق وذلك أول مقام المحبة والشوق، ألا ترى كيف قال الخليل عليه السلام في أول الخلة: هذا ربي هذا ربي، وسجود الملائكة لآدم من هاهنا، فإذا تحقق في المعرفة لا يسجد إلا عند ظهور الذات صرفاً والسجود الشرعي بشيء آخر، وكان دعوى الملعون في إبائه من سجود آدم عليه السلام من هاهنا ولكن كان مبطلاً يحسده، قال العارف قدّس الله روحه: السجود تلاشي العارف في المعروف بنعت رؤيته والفناء في جماله وجلاله.

الفصل الحادي والثلاثون: في مقام الإخفاء

يستخفي العارف ما وجد من الحق من أسراره بسره من روحه وبروحه من عقله وبعقله من قلبه وبقلبه من نفسه وبنفسه من الخلق حتى لا يطلع على سره أحد من غيرته على الخلق ولا يتشوش حاله مع الله تعالى وهو مقام الأنس بالحق، قال العارف قدّس الله روحه: الإخفاء غيرة المعرفة وشفقة المحبة.

الفصل الثاني والثلاثون: في مقام الكتمان

وهو أظهر من الإخفاء والإخفاء أدقّ من الكتمان وهو أن السر الإلّهي إذا بدا لسر لا يخفى السر من الروح ولا الروح من العقل ولا العقل من القلب ولكن يتكبر القلب من النفس والشيطان والخلق فتكون الروح والعقل والقلب بحظ من علم الأسرار، قال العارف قدّس الله روحه: الكتمان يورث مزيد نور البرهان والإيقان والعرفان وكشف أسرار الرحمٰن.

---

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

الفصل الثالث والثلاثون: في أكل الرغد

أكل الرغد للعارفين إذا مضى عليهم الجوع المقرم وبلغوا إلى نهاية العشق ومقام الانبساط وبعض مقام الأنس فإذا كانوا كذلك وغلب عليهم المواجيد الجمالية يأكلون هناك أكل الرغد، وهذا مقام آدم عليه السلام حيث قال الله تعالى له ولحواء: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البَقَرَة: ٣٥]، وقال العارف قدّس الله روحه: أكل الرغد يكون في مقام الوصلة.

الفصل الرابع والثلاثون: في مقام طيب العيش

وهذا المقام مثل ما ذكرنا في رغد الأكل لأنه أيضاً من مقام الأنس ووجد المعرفة ومقام مشاهدة الجمال ويجوز للعارف هاهنا الرفاهية لأنه تخلص من أيام المجاهدة ووصل إلى مقام المجاهدة ووصل إلى مقام المشاهدة، وفي أيامه لا يحتمل الضر والفقر ومقاساة المقامات وأن هذه الأشياء تمنعه من الوصول إلى حقائق القرب، وليس في مقام المواصلة إلا طيب العيش والسماع واللذة في الأكل والشرب واللباس، وهذا مقام لم يصل إليه إلا أهل الكمال في المعرفة لأنه مقام الأنبياء عليهم السلام، قال العارف قدّس الله روحه: طيب العيش لا يجوز إلا للعارف الشائق المحب الصادق العاشق العيش المونس الغريب في الدارين، والحمد لله الذي جعلني منهم رغماً لأنف المنكرين.

الفصل الخامس والثلاثون: في مقام المسامحة

هذا مقام لمن بلغ مقام الانبساط ومقام الأنس وكمال المعرفة وكل أمره يكون بجريان العشق والمحبة فإذا وقعت عليه زلة تكون محمولة عنه لأنه معربد الله ومنبسطه ومعشوقه ومحبوبه وهو غار مختار لنفسه شيء دون الله في حركاته وسكناته ويكون معفواً مغفوراً، ألا ترى أن الله تعالى كيف سامح حبيبه صلوات الله عليه حيث قال: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبَة: ٤٣]، قال العارف قدّس الله روحه: المسامحة تكون في مقام المواصلة لمن بلغ الانبساط والأنس بالله.

الفصل السادس والثلاثون: في النهي

يمنع الله تعالى العارف المقرب من مباشرة ما فيه حظه من جميع الشهوات في بعض المقامات وإن كان مرخصاً له في بعضها لئلا يحتجب بشهوة الروحانية والجسمانية عن مشاهدة الحق ولا ينعزل من عوالي الدرجات والمدانات، ألا ترى

www.alkottob.com

الله تعالى كيف نهى صفيه في جواره وجنابه عن مباشرة الشجرة وأباح له ما دونها لما فيها من علل الاحتجاب، قال العارف قدّس الله روحه: النهي استيلاء الربوبية على العبودية.

الفصل السابع والثلاثون: في الاسم الأعظم

كل اسم لله تعالى عظيم ولكن العظيم للعارف ما ينكشف له نوره وسلطانه وبرهانه ومعانيه ويتجلى المسمى فيه لقلبه بوصفه ونعته وصفته وذاته تعالى وباشر بجميعها سره وروحه وعقله وقلبه ونفسه فيكون مملوءاً من النور والسناء من تجلي الحق منه، فإذا كان كذلك ويسأل الله تعالى به فيسهل له تقليب الأعيان وعلى قدر معاني الاسم يظهر له المراد فإن كان من عين العظمة يظهر له تسخير الكون ويكون مهيباً ذا جاه ووجاهة وإن كان من عين الحسن والجمال فيسهل له إجابة الدعوة وعلى قدر المقام، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال عليه السلام: «يا حي يا قيوم اسم الله الأعظم إذا دُعي به أجاب وإذا سئل به أعطى»[1] وكلام الأشياخ في الاسم الأعظم كثير، وقال العارف قدّس الله روحه: الاسم الأعظم ما ينكشف للعارف نوره بالبديهة في ساعة إجابة الدعوة وهما من أخصّ ما استأثر الله به أولياءه وأصفياءه.

الفصل الثامن والثلاثون: في مقام الطرد

وهذا حكم نادر وهو أن يكون العارف المقرب على محل دنو الدنو ويكاد أن يكون محترقاً ويفنى في عظمة الله تعالى من كمال شوقه إلى فناء نفسه في الله فيبعده الله من نفسه وقربه ساعة لئلا يحترق ويفنى فهذا طرد بلا غضب وربما يكون فيه علقة اختباراً وتمحيصاً وزيادة لإخلاصه في التوحيد وانفراده بالحق من رؤية ما يجد من

---

(١) هذا النص ورد بحديثين منفصلين، منها ما رواه الدارمي في سننه باب في فضل سورة البقرة وآل عمران، حديث رقم (٣٣٩٣) [٢/٥٤٣] ونصه: عن عبد الله قال: قرأ رجل عند عبد الله البقرة وآل عمران، فقال: «قرأت سورتين فيهما اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سئل به أعطى» ومنها ما رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الدعاء. ، حديث رقم (١٨٥٦) [١/٦٨٣] ونصه: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في حلقة ورجل قائم يصلي فلما ركع وسجد تشهّد ودعا فقال في دعائه: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم. فقال النبي ﷺ: «لقد دعا باسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى».

www.alkottob.com

وصله فإنه أعظم الحجاب، لذلك قال عليه السلام: «المخلصون على خطر عظيم»[١]، وقال العارف قدّس الله روحه: الطرد غيرة القدم على القدم لئلا يكون مع القدم إلا القدم.

الفصل التاسع والثلاثون: في مقام الركوع

هذا مقام لمن غلب عليه الإجلال من رؤية عظمة الله سبحانه وتراكم على قلبه أنوار التوحيد من كشف الوحدة فيكون متوحداً في رؤية كل آية من آيات الله وفي سماع كل خطاب فيه ذكر العظمة والكبرياء وتغيره مما جرى عليه من تفريط الأنفاس، قال تعالى في حق داود عليه السلام: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤]، وقال في حق الباكين عليه من نزول خطابه عليهم: ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨]، قال العارف قدّس الله روحه: الركوع صرع روح العاشقة من رؤية سطوات سناء الألوهية.

الفصل الأربعون: في مقام الزكاة

وهي قد وجبت على من كان له مقام الغناء من المعرفة والقربة والمشاهدة والمحبة وتم له نصاب صفو الحال والوجد والكشف بأن يحدث بما وجد من الله من كراماته ولطائف آياته عند كل طالب محب صادق ليزيد محبته ورغبته في الله، وقال تعالى لحبيبه: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: ١١]، وقال: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٨٣]، وقال عليه السلام: «الزكاة طهور»[٢]، قال العارف قدّس الله روحه: الزكاة بيان العارف مشكلات المريدين.

الفصل الحادي والأربعون: في مقام الإذن في الكلام

وإذا كلم العارف المقرب في معرفة الله تعالى وعلى أيامه ويعرف مقامات السالكين جميعاً ويكون منشرح الصدر بنور المشاهدة محدثاً مع الله في جميع الحركات والسكنات ناظراً إليه بكل عين جامع الأنفاس بنعت المراقبات ويكون محفوظاً مراعاً يأذنه الله تعالى بأن يتكلم عند المريدين الصادقين وهو في ذلك مصيب

---

(١) هذا الأثر من كلام ذي النون المصري رواه البيهقي في شعب الإيمان، الباب الخامس والأربعون. . ، حديث رقم (٦٨٦٨) [٥/ ٣٤٥].

(٢) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

إذ هو خالص عن شائبة الرياء والسمعة ومثله يكون سراج الأمة كلامه شفاء كل عليل المحبة والمعرفة، قال الله تعالى: ﴿مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال عليه السلام: «إن في أمتي محدثين ومكلمين وإن عمر منهم»[١]، قال العارف قدّس الله روحه: المأذون في الكلام نائب الأنبياء عليهم السلام.

الفصل الثاني والأربعون: في مقام الوعظ

هذا المقام قريب من مقام الإذن في الكلام وفيه زيادة إذ هو إظهار ما له على العموم من عامة الخلق ودعائهم إلى الله تعالى ومواساتهم بأنه يقول لهم شيئاً يوافق خواطرهم، وهذا مقام سادة الأصفياء الذين احتملوا جفاء الخلق لله وفي الله وهو صعب على أهل التلوين لأنهم نزلوا من أعلى درجاتهم في الحقائق إلى ما يليق بفهم الإنسان ولا يجوز ذلك إلا لمن كان له مقام التمكين وهو باكورة بساتين الغيب تستأنس به قلوب الخلائق، قال الله تعالى لحبيبه عليه السلام: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: ٥٥]، وقال العارف قدّس الله روحه: الوعظ لا يجوز إلا للصديقين.

الفصل الثالث والأربعون: في مقام النسيان

هذا مقام المكر يلتبس الأمر عل العارف إذا شاهد مشاهدة الأمر في الأمر وذاق طعم صفو الوصال وسكر برؤية الجمال وهام في أودية الحال فنسي هناك الأمر والنهي من غلبة سلطان الوجد ولا يدري أين المسلك إذا غاب في العين وسقط عنه الرسم والعهد، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه: ١١٥]، لذلك قال عليه السلام: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان»[٢]، قال العارف قدّس الله روحه: النسيان فناء العارف في كشف العيان.

الفصل الرابع والأربعون: في مقام اللقاء

هذا محض العناية ويكون ذلك كشف بديهي بلا مراقبة ولا انتظار وهو مقام الأنبياء والمرسلين والمقربين إذا أراد الله زيادة رغبتهم في الفناء في وجوده كاشف لهم

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لذي من مصادر ومراجع.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين بلفظ قريب منه، كتاب الطلاق، حديث رقم (٢٨٠١) [٢/٢١٦] ورواه غيره بألفاظ أخرى متقاربة. أما هذا اللفظ فأورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (١٣٩٣) [١/٥٢٢].

www.alkottob.com

جماله وجلاله حتى سلبهم بلذة لقائه عن كل مألوف من العرش إلى الثرى ويقوى حالهم في السير والمصير إليه وينفتح عليهم أبواب الغيوب ويعرفون بها عجائب القلوب، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَّنٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسَان: ١١]، قال عليه السلام: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه»[١]، قال العارف قدّس الله روحه: اللقاء كشف جمال الذات والصفات لقلوب العارفين والمؤدبين.

الفصل الخامس والأربعون: في الفرق

معرفة الفرق شيء عجيب ولا يكون ذلك إلا للمنتهى من المقربين الذين وفقوا حضرة الله تعالى ويرون أقدار الخلق أجمعين ويطلع على مقامات الجمهور وله عين من الحق يرى بها عواقب الأمور ويبصر بها بواطن القلوب ويكون راسياً في المعرفة والمكاشفة وبه فراسة صادقة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۝٧٥﴾ [الحِجر: ٧٥]، وقال عليه السلام: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»، قال العارف قدّس الله روحه: الفرق اطلاع عين الروح على الغيب.

الفصل السادس والأربعون: في مقام الفال

ظاهره فال ولكن هو مقام الخطاب فبعض خطاب فعلي وبعض خطاب صرف الفصل، فبعض هذا الخطاب يعرف العارف برؤية العين وبعضه يعلم بالقلب خاصة وبعضه يسمع بالإذن الباطن، ولا يمكن ذلك المقام إلا لمن له قلب ملكوتي وسر جلالي وعقل جمالي وروح قدسية ونفس روحانية وبهذه الأشياء مخاطب من الله في كل ساعة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزُمَر: ٢١]، وقال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧﴾ [ق: ٣٧]، وان عليه السلام إذا أقبل إلى أمر أو موضع واستقبله إنسان أو قرية سأل عن اسمه واسم القرية فإذا كان اسمهما حسناً فرح وقال: إن هذا الأمر يكون سهلاً، وقال العارف قدّس الله روحه: الفال لا يجوز للعموم ويجوز للخصوص.

الفصل السابع والأربعون: في مقام الكلام بغير الإذن

وهذا حال السكارى الذين هم أصحاب الغلبات والشطحيات يتكلمون بكلام السكر حين غابوا في بحار الأنس والبسط والانبساط ويفشون الأسرار المكتومة الغيبة

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

التي لا توافق خواطر أهل الرسوم من أهل العلوم وهي من العلوم المجهولة أخبر عنها بقوله: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]، ولا يجوز لأهل الظاهر أن يقتدي بها فإنها أسرار علوم الذات والصفات وحقائق الغيب وغيب الغيب وليس لها من الرسوم مسالك إلا حقائقها وأصحاب هذه العلوم محمول عنهم كلام السكر والانبساط، ألا ترى الله تعالى كيف احتمل من كليمه حين قال: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، وما قاله الحلاج والبسطامي قدس الله روحهما كان من هذا البحر فلت من لسانهما في وقت السكر شطحات مجهولة فوقفا بها في بحار البلاء والامتحان، قال العارف قدّس الله روحه: الكلام بغير الإذن يكون من حدة السكر ولا يضر بالسامع المؤمن به وإن لم يعرفه فإنه من أهله، كما قال رويم قدّس الله روحه: من آمن بكلامنا هذا من وراء سبعين حجاباً فهو من أهله.

الفصل الثامن والأربعون: في مقام الغزو

أباح الله تعالى لأهل الكمال من العارفين والمقربين القهر على أعدائه من المدبرين عنه وبأن يؤذيهم ويقتلهم ويقاتل معهم، وهذا نوع من الربوبية وإنفاذ المراد وأي شيء أعظم من أن يكون مأذوناً في قتل واحد من مثله بالصورة وهذا غاية كمال العارف في آية مراد الحق وللمرادين وما يفعلون وليس وراء ذلك حشمة، قال الله لحبيبه ولأمته الصادقة في محبته ومعرفته: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، قال العارف قدّس الله روحه: الغزو التصرف في أعظم مملكة الله.

الفصل التاسع والأربعون: في مقام قتل النفس

إن الله تعالى خلق النفس الأمّارة مخالفة له بأنها تطلب من صاحبها الربوبية وليس لها الربوبية فأمره بقتلها على جناب القدم حتى لا يكون في ساحة القلب غير الحق سبحانه ويكون التوحيد مجرداً عن النظر إلى الأغيار وقتلها لا يكون إلا باللياذة بالله والاستعانة به حتى يهيج بحر المحبة بسر تجليه فتفنى النفس في أول قهر غلبات أنوار المعرفة، قال الله تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ [البقرة: ٢٥١]، فإذا فنيت النفس والهوى تظهر له آيات الله وكراماته، قال الله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، قال العارف قدّس الله روحه: قتل النفس لا يكون إلا بمعرفة الحق ثم بمعرفة النفس.

www.alkottob.com

الفصل الخمسون: في مقام رؤية الله تعالى بالجهر

وذلك في الدنيا ممكن غير مستحيل، ولذلك سألها كليم الله عليه السلام حيث قال: ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وحكى الله تعالى عن قومه بقوله: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ [النساء: ١٥٣]، ولا يدفع المنع الإمكان، قال النبي ﷺ: «رأيت ربّي بعيني»[1] ولو قال هذا لم يكن في الدنيا.

فأقول: قوله عليه السلام: «رأيت ربّي في أحسن صورة»[2] وقوله: «رأيت ربي على سوق المدينة»[3] وهذا مقام في وقت الوفاة في أكثر الأحوال، ولأهل الكمال يكون أثناء العمر وذلك حين غابت عنه ظلمة الطبيعة وتكون روحه وصورته سواء فإذا رآه بالروح رآه بالعين وإذا رآه بالعين رآه بالروح وربما تظهر الصفات من الآيات والذات من الصفات فيراه العارف بجميع وجوده ويكون والهاً سكراناً متلاشياً متحيراً، قال العارف قدّس الله روحه: رؤية الجهر لا فرق بين بصر الروح وبصر الظاهر، رزقني الله تعالى ورزق كل محب صادق، هذا آخر مقام المقربين.

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٢) رواه الدارمي في سننه، باب في رؤية الرب تعالى في النوم، حديث رقم (٢١٤٩) [٢/ ١٧٠] والطبراني في المعجم الكبير، من طريق عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه، حديث رقم (٩٣٨) [١/ ٣٢٧] ورواه غيرهم.

(٣) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

الباب الحادي عشر
في مقامات الموحدين وفيه خمسون فصلاً

الفصل الأول: في مقام رؤية الغيبوبات بالعين الظاهرة

إذا غلب صفاء التوحيد واستنار الروح بنور التفريد وأثرت في الهيكل صار الهيكل والروح في الصفاء واحداً فإذا كانت الصورة والروح واحدة تنكشف العين الظاهرة ما تنكشف الروح من الغيب وهذا حال الأنبياء والمرسلين عليهم السلام رأوا أشكال الغيبة بالعيون الظاهرة، لذلك قال الحق سبحانه في حق حبيبه: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم: ١١]، أي ما رأى العين، وقال عليه السلام: «نحن معاشر الأنبياء أجسادنا روح»[1]، قال العارف قدّس الله روحه: العين إذا امتلأت من أنوار الروح والعقل القدسيّ يرى ما يرى الروح من الغيب.

الفصل الثاني: في مقام التوحيد

أصل التوحيد في أوله تقديس النفس عن رؤية الأضداد والأنداد من العرش إلى الثرى ثم رؤية العقل أنوار الصفات بنعت سقوط رؤية الآيات ثم انفراد القلب عن كل الحظوظ والوقفة على كل مقام، ثم انسلاخ الروح من رسوم العبودية والربوبية، ثم انفراد السر بالله بنعت رؤية الذات والفناء في أنوار الأزل والأبد فيبقى الحق للموحد ويفنى الموحِد والموحَد، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القَصَص: ٨٨]، قال الجنيد: التوحيد هو الخروج من ضيق رسوم الربانية إلى فضاء السرمدية، قال العارف قدّس الله روحه: التوحيد رؤية الحق على نعت الأولية التي لم تكن معها حدثان.

الفصل الثالث: في مقام التجريد

هو إقبال الموحد على الله بنعت ترك ما دون الله لا يطلب بتجريده إلا فناء نفسه في الله لأن من طلب بقاءه في بقاء الله لا يكون مجرداً لله، قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الأنعَام: ٩١] وقال الشبلي: تفرد بالله حتى يكون مجرداً من الأعيان ويكون واحداً لواحد فرداً لفرد، قال العارف قدّس الله روحه: التجريد خروج الإنسان من الحدثان والفناء في جمال الرحمٰن.

الفصل الرابع: في مقام التفريد

التفريد ألطف من هذين المقامين وهو إذا كان موصوفاً بهما لم يكن منفرداً إلا بعد اتصافه بفردانية الفرد جلّ وعز وإن كان منفرداً بفردانيته بلغ إلى حقيقة التفريد إذ هو سافر من نفسه وعن الأكوان جميعاً إلى عالم القدم وسار في بيداء الأزل والأبد بمراكب المعرفة والتوحيد والتجريد، قال عليه السلام: «سيروا سبق المفردون»[1]، وقال النصرابادي: مقام التفريد أن لا ترى مع الله سواه ومقام التجريد أن تسقط عنك رؤيتك فلا تبقى لك معه نظر ولا رؤية فتكون مجرداً من الكونين ومن نفسك وأوصافك، قال العارف قدّس الله روحه: التفريد محو الصفات في الصفات.

الفصل الخامس: في مقام القبض

هذا مقام التوحيد على ثلاث مراتب: مرتبة للقلب ومرتبة للعقل ومرتبة للروح، أما قبض القلب فمن جنايات النفس أو طيران الخواطر المذمومة، أو من غلبة هجوم الخوف، وأما قبض العقل فمن صدمات أنوار الصفات، وأما قبض الروح من إذابتها تحت سطوات ظهور أنوار عظمة الذات. يقبضه الحق منه فلا يطيق أن يوازي بإزاء رؤية القدم فيفنى ولا يصل إليه من حق امتناعه من مطالعة الحدث، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ﴾ [البَقَرَة: ٢٤٥]، وقال الواسطي: قبضهم عن نفسه بعزته وامتناع الذات عن مقابلات الحوادث، وقال العارف قدّس الله روحه: القبض سلب الصفات بالصفات وامتناع الذات بالذات عن مطالعة العلات.

الفصل السادس: في مقام البسط

إذا نشر أنوار مشاهدة الجمال في الروح وتؤثر روح الأنس في القلب ويسهل للروح السير في أنوار القرب ولا تنشد عليها مسالك الذات والصفات فيكون مقام البسط حيث يستروح بنسيم نرجس الوصال ويطير بجناح الرجاء في سماء الجمال ولا يحترق في سبحات الجلال لبسط الحق لها بساط المداناة ولتسير بمراكب اللذة في

---

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

ميادين الأزليات، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، قال بعضهم: في القبض والبسط يوحش أهل صفوته من رؤية الكرامات ويبسطهم بالنظر إلى الكريم، وقال العارف قدّس الله روحه: البسط إرسال الحق قلب المقبض بالعظمة إلى فضاء العالم بلغت الروح والأنس.

الفصل السابع: في مقام الفناء

لولا تعلق الأفعال بالصفات لكان الحادث بنعوت ما كان في العدم وعند الناظر المحقق أنه إذا كان لم يكن قائماً بنفسه فوجوده كالعدم، وإذا كانت نعوت النفس فانية عن العارف تزول بذلك أوصاف فطرته الطبيعية بانكشاف نور اللوائح واللوامع، يخرج من وصفين، ثم يفنى قلبه في المذكور، ثم يفنى الذكر والذاكر في أوائل كشوف صفات المذكور، ثم يفنى في ظهور صفات الروح، ثم يفنى في كشوف أنوار الذات السر، ثم يفنى سر السر في غاية، ثم غاب عن محمله، ثم يفنى فناؤه عنه ويفنى هو عن فنائه فيبقى الحق كما لم يزل ولا يزال باقياً، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ۝٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمٰن: ٢٦، ٢٧]، وقال العارف قدّس الله روحه: الفناء زوال الحدث في أول سطوات القدم.

الفصل الثامن: في مقام البقاء

لو نظر الناظر إلى وجود الكون وتعلقه بالعلم والقدرة بحيث لا معرفة ولا نكرة فيها للعارف يرى بقاء الوجود مع وجود الحق أبداً وكيف لا يبقى وليس لبقائه مكان من حيث الحق سبحانه وهو سبب بقائه، وكيف يفنى القدرة القديمة وهو مستحيل فإذاً المقدور مخفي تحت القدرة والقدرة باقية شاملة عليه، فلو أراد المقدور أن يفنى فلا يبقى حتى يفنى القدرة، وفناء القدرة القديمة مستحيل، هذا وهو مشاهد تعلق القدرة، والعارف مشاهد الذات بعد الاتصاف بالصفات، فيبقى مع الحق أبداً لحقيقة اتصافه واتحاده، فكلما يكاد أن يفنى في الذات يأخذه الصفات عن الفناء، وإذا كاد أن يفنى في الصفات يأخذه أنوار الذات عن الفناء في الصفات فيبقى بالحق في الحق مع الحق أبداً، قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ [الزُمَر: ٦٨]، قال العارف قدّس الله روحه: البقاء شهود مشاهدة جمال الحق مع الصحو على نعت السرمدية.

www.alkottob.com

الفصل التاسع: في النفس

الأنفاس نفحات روائح شمال الأنس يجري كل واحد منها على رؤية الذات والصفات معطراً بنفحات بساتين الغيب وغيب الغيب يأتي بنفائس العلوم المجهولة ومواجيد مشاهدة الأزلية والأبدية، قال الله تعالى: ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ [التّكوير: ١٨]، قال العارف قدّس الله روحه: النفس نفح الحق على مجامر الأرواح القدسية ليفوح منها نسائم الوصال وروائح قرب الجمال.

الفصل العاشر: في مقام النكرة

إذا ظهرت الصفات في الفعل والفعل في الصفات وانطمست مسالك طرق معرفة العلوم واشتبه علم التوحيد بالمعرفة والعشق وتفشى مكر القدم، ولا يرى العارف مشاهدة الكل وزالت عنه لذة الوصال وحلاوة إدراكه الجمال، يكون مستغرقاً في بحار الأولية والآخرية ولا يعرف الحق من ذهاب وجوده عن وجوده بسطوات كبرياء القدم، قال العارف قدّس الله روحه: النكرة انطماس عين السر عن إدراك حقيقة الذات والصفات.

الفصل الحادي عشر: في النفي

خواطر النفي غيرة الأزل بالأزل فيخرج أنوار الوحدانية في لباس النكرة حتى أسقط عن مشاهدته كل خاطر يشير إلى القدم، وهذا عذاب الحجاب بعد المشاهدة والمعرفة، قال العارف قدّس الله روحه: النفي لطمة غيرة الحق نذير لحظات عيون الموحدين عن طلب ترائي هلال الأولية.

الفصل الثاني عشر: في المسيح

فهم إذا غار الحق على نفسه وأبدى من بحار قهرياته أمواج العظمة والجبارية تقلع عيون الأسرار العارفة من أماكنها حتى لا يدرك ولا يرى من شمائل جلاله شيئاً فيصير صاحبها في ظلمات القهريات، قال العارف قدّس الله روحه: المسيح حبس مسالك التجلي وبقاء عن الأرواح من أنوار التدلي.

الفصل الثالث عشر: في مقام الذهاب

إذا فني العارف ويكون متلذذاً بفنائه مع إدراك نور الكبرياء فهو الذاهب بنعت الفناء فهاهنا محل رجاء الإتيان إلى أوائل المقامات وأواخر الحالات، قال العارف قدّس الله روحه: الذهاب بحر الوجود في الموجود القديم.

www.alkottob.com

الفصل الرابع عشر: في مقام ذهاب الذهاب عن رؤية الذهاب ثم المحو عن لذة رؤية الأحدية

فإذا فني عن حظوظ التوحيد فهو في مقام ذهاب الذهاب، قال العارف قدّس الله روحه: ذهاب الذهاب الغيبة والتلاشي عن الوقوف بشيء من مدركات الذات والصفات.

الفصل الخامس عشر: في مقام الطمس

إذا برزت سبحات ذات القديم وصفات الأبدية فوق مدركات العيون لطمس بسطواتها عيون القلوب والعقول والأرواح والأسرار فتسير في مهمه الأولية بلا رسم المعرفة والتوحيد والمقامات والحالات، قال الله تعالى: ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ [القمر: ٣٧]، قال العارف قدّس الله روحه: الطمس ذهاب عين السر من صولة نور العظمة.

الفصل السادس عشر: في الرمس

إذا غلب على الروح قهر سلطان الوحدانية بعينها عن وجودها وعن مكان العقل والقلب ويدفنها في تراب النكرة فيتوارى بضباب العظمة عن رؤية صرف مشاهدة عين العين، قال العارف قدّس الله روحه: الرمس استيلاء اللاهوتية على الناسوتية.

الفصل السابع عشر: في مقام المحو

إذا استقام السر بنور واستقامت الروح في نور القدس واستقام القلب في مشاهدة الجمال واستقام العقل في نور الأفعال وشاهدت النفس مشاهدة قهر الكبرياء وبقيت الصورة بنعت التمكين في المقامات والحالات ويكون جميع ذلك في مقام الصحو وكملت فيها معالم الاتصاف والاتحاد تبدأ من عين الألوهية بديهة سطوة مشاهدة القدم ويمحوها عن جميع ما كانت فيها من رسومات الوجود وممكنات تعلقات أنوار المواصلات، قال الله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩]، قال العارف قدّس الله روحه: المحو محوان: محو الإنسانية في العبودية ومحو العبودية في الربوبية.

الفصل الثامن عشر: في مقام المحق

المحق أعظم من المحو وذلك أنه إذا برز الحق بنعت الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية بالبديهة للروح العاشقة المؤنسة بجمال الحق في مقام الأنس

www.alkottob.com

فيمحق آثارها عن جميع مقامات العشق ولا يبقى وجودها في أنوار الوحدانية، قال العارف قدّس الله روحه: المحق انمحاق وجود العارف في وجود المعروف بحيث لا يبقى اسمه ولا رسمه وذلك من غيرة عين الوحدة بعين قهر الربوبية على وجود موجود متصف بالصفات متحد بالذات.

الفصل التاسع عشر: في مقام الاصطلام

هذا المقام أعظم من المقامين قبل ذلك، وذلك من بقاء شهود الحق بعت الحق على قلب العارف فدامت صولات الدنو بنعت ظهور العين على الروح واصطلاسها عن مشهد الوجود ولا يبقى أثرها حين ذهب نور شهود الحق، قال العارف قدّس الله روحه: الاصطلام فناء العارف في دوام شهود الحق.

الفصل العشرون: في مقام العدم

وجود العارف في وجود الحق وجود مجازي وإلى العدم أليق وهو معدوم بالحقيقة بحيث أن لا يوازي مشاهدة القديم، فالعدم: عدم النفس في القهر، وعدم العقل في إشراق أنوار الوحدانية، وعدم القلب في نور الكبرياء، وعدم الروح في ظهور الأزلية، وعدم السر عند ظهور الكل للكل، قال العارف قدّس الله روحه: العدم ميراث بقاء كشوف جلال السرمدية بقلب العارف.

الفصل الحادي والعشرون: في الوجود

الوجود بقاء السر في مشاهدة بقاء الحق حيث أوصله الحق إلى أوائل مقام الأنس والصحو بعد أن كان معدوماً في عيون القدم، قال العارف قدّس الله روحه: الوجود بقاء عين العارف في مشاهدة الجمال.

الفصل الثاني والعشرون: في مقام الخرس

يكون الخرس للسر ولسر السر وللروح والقلب والعقل والنفس والصورة، فخرس سر السر من حياء القدم، وخرس السر من التحقيق في الأزل، وخرس الروح من صولة هيبة الذات، وخرس القلب من السكر في الحيرة، وخرس لسان العقل من ظهور أنوار الصفات القديمة عند تعجبه في رؤية من لم يرَ من عيون الصفات ما استترت أنوارها عنه في الغيب، وخرس النفس من تعريف الحق وصف جبروته، وخرس لسان الصورة في وقت ظهور أنوار الدنو في مقام المحو عن الثناء على الحق

www.alkottob.com

في مشاهدة الصرف، كما كان عليه السلام في مفهوم خطابه قال: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[1]، قال العارف قدّس الله روحه: الخرس حبس اللسان عن نشر مقام العرفان وعن الثناء على الرحمٰن ولا يكون ذلك إلا قبض الروح عن إدراك حقيقة الحق.

الفصل الثالث والعشرون: في مقام الاستواء

مشاهدة الاستواء حين شاهد العارف مشاهدة الذات في الصفات في الفعل فقهر أنوار الذات والصفات أنوار الفعل، فيرى الأشياء مقهوراً في أنوار عظمته وكبريائه، قال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، واستواء العارف إذا بلغ مقام الاتصافات والتمكين، قال العارف قدّس الله روحه: الاستواء بلوغ القلب إلى مشاهدة الربوبية بنعت الاتصافات بها.

الفصل الرابع والعشرون: في مقام الاستقلال

هذا المقام يكون بعد التحكم في المملكة بسلطنة التوحيد وميراث الاتصاف فلا يتهيأ له النظر إلى غير نفسه فيكون مستقلاً بذاته فلا يرى لغير الحق وزناً، قال العارف قدّس الله روحه: ولا يكون الاستقلال إلا بعد الاتحاد والنكرة.

الفصل الخامس والعشرون: في النسخ

إذا ورد على القلب الموحد وارد الغيب أتى بالخطاب الخاص فثبت الخطاب لأجل بيان المقامات والعلوم اللدنية وذهب الوارد، فإذا كان السر مربى بتحقيق ذلك الخطاب يجيء وارد آخر مع خطاب فنسخ خطاب الثاني خطاب الأول لأن الوجوف حجاب والسر في الحقيقة غير متناهٍ، قال الله تعالى: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦]، قال العارف قدّس الله روحه: النسخ توقي أحكام الربوبية في العبودية.

الفصل السادس والعشرون: في المباهاة

إذا كان الموحد فانياً باقياً بالعشق ألبسه خلعة الربوبية وجعله خليفة وتجلى منه للعالمين وباهى جميع الخلق به كآدم عليه السلام حيث باهى به ملائكته وأمرهم

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

بالسجود له بقوله: ﴿ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ﴾ [البَقَرَة: ٣٤]، وإذا وجد ذلك المقام في نفسه وسكر بشراب البسط وتروح بروح الأنس يفاخر بما وجد من الحق، قال العارف قدّس الله روحه: المباهاة جرأة الصديقين.

الفصل السابع والعشرون: في السلطانية

إذا هاج سر سلطان التوحيد في قلب الموحد خرج بنعت السلطنة والغلبة على أهل الحضرة ولا يوازي الحدث بل يراعي القدم ويوازي الأزل بالأزل، قال الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [النِّساء: ١٥٣]، قال العارف قدّس الله روحه: السلطنة اتصاف العارف بسلطنة كبرياء الحق حيث باشر إشراقها سر روحه.

الفصل الثامن والعشرون: في الربوبية

إذا ظهر لسر الموحد أنوار حقائق الحقيقة وذهب بها لجميع عيون الألوهية وغسلته في بحار الأحدية وسقاه من جميع مفرحات أسرار الحق يخرج متلبساً بلباس الربوبية ومدعياً الأنانية. قال العارف قدّس الله روحه: الربوبية ظل الأزلية على العارف كماقال عليه السلام: «السلطان ظل الله في الأرض»[١].

الفصل التاسع والعشرون: في مقام الاستيلاء

استيلاء الموحد صولة حاله في مقام السكر على كل ناطق بالحق وذلك من غيرة الحق وسلطان الكبرياء، قال العارف قدّس الله روحه: الاستيلاء قهر الروح في السير على المقامات وعلى النفس في المعاملات وعلى العقل في الحالات.

الفصل الثلاثون: في الغفران

إذا عرف الموحد علة الحدث بنور الألوهية وعرف الحق بالحق وعلم أن عرفانه وعبوديته لا يليق بالخليقة يقع في بحر الحياء ويطلب غفران الحق من كونه في كون الحق، قال الله تعالى: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ [البَقَرَة: ٢٨٥]، قال العارف: الغفران ستر الحق على وجود العارف في رؤية المعروف كي لا يرى الحدث في القدم.

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى، باب فضل الإمام العادل، حديث رقم (١٦٤٢٧) [٨/ ١٦٢] والقضاعي في مسند الشهاب، باب السلطان ظل الله في الأرض، حديث رقم (٣٠٤) [١/ ٢٠١] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

الفصل الحادي والثلاثون: في العلة

العلة هو التجلي من عين الأحدية فيعلل كل مقام ويبدو منه كل حال، وقدم جلاله علة العلل يظهر بظهوره كل معدوم، قال العارف قدّس الله روحه: علة كل معلوم المعرفة.

الفصل الثاني والثلاثون: في المعلول

المعلول العقل البسيط الذي هو أماكن مكنونات الأسرار ومستعد لقبول كل الأنوار وهو خزانة مودعات لطائف القربة ومرقومات نقوش الربوبية، قال العارف قدّس الله روحه: موضع استعداد قبول سقوط نيران زند التجلي ومرآة ظهور سناء التدلي.

الفصل الثالث والثلاثون: في سماع كلام الخاص

إذا دنا الموجود مشاهد الأولية والآخرية وبسط بساط عطايا ظهور جمال القدم والبقاء يسمع كلام القديم من القديم بلا واسطة الأفعال وهناك مقام الصعقات والشهقات وسكوب العبرات وتلهب نيران الأشواق، قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النّساء: ١٦٤]، قال العارف قدّس الله روحه: عند سماع الكلام الخاص يسقط ما دونه من جميع الخطابات، ووله الموحد في ميادين الصفات، قال عليه السلام: «إن في أمتي محدثين ومكلمين وإن عمر منهم»[(١)].

الفصل الرابع والثلاثون: في البداء

البداء ظهور نور جمال الحق عند نزول واردات الغيب بنعت اللوامع واللوائح ليجذب به قلوب الوالهين ولتنتشق روائحَ الوصلة أرواحُ العاشقين، قال العارف قدّس الله روحه: إذا بدا سناء قربه أزال عن قلوب الصديقين ظلم ظلام الهياكل فيرون الرب بالرب بلا حجاب.

الفصل الخامس والثلاثون: في الخفاء

الخفاء نقيض البداء وذلك هو الاستتار بعد التجلي وهناك يفنى العارف من فلق الهجران وحدّة الهيمان، قال العارف قدّس الله روحه: إذا بدا سناء قربه أزال الخفاء ذوبان الجنان في نيران الهجران.

---

(١) هذا الأثر سبقت الإشارة إليه.

www.alkottob.com

الفصل السادس والثلاثون: في الملال

إذا ظهر العزة بنعوتها من كتم القدم وأفنى ما دونها من الأغيار من رسوم سير المقامات والحالات وأحاط أنوارها روح الموحد وغلب عليها سطوات القدوسية لا يستقيم في حدة تجليها وأراد أن يحتجب عنها ليبقى في حظ الواردات، وهذا يكون أيضاً في مقام الأنس إذا اكتمل في الأنس وشاهد قرب القرب ودأب في محل الأنس من شهود الحسن يريد أن يفرد منه ليلاً وذلك من عجز الحدث في القدم، ولذلك قال عليه السلام: «أعوذ بك منك»[(١)] وقال: «إن الله لا يمل حتى تملُّوا»[(٢)]، وقال العارف قدّس الله روحه: الملال قرار الحدث عن الزوال في القدم.

الفصل السابع والثلاثون: في إدراك العلم الكلي

إذا شرب الروح من بحر الحقائق زلال دقائق العلوم اللدنية وسبح في لجج قاموس القدم والأبد وغاص في قعر بحر الهوية فيخرج منها بصفات الأحدية فيعرف كل معروف ويعلم كل معلوم ومجهول ويظهر عنده علة كل علة ويعلم بطون الافعاليات وحقائق الأشياء في الآيات، قال عليه السلام: «إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمها إلا عالم بالله»[(٣)]، قال العارف قدّس الله روحه: إذا عرف الكل لا يعزب عنه علم كل شيء لأن صبح الوصال إذا طلع يظهر بسنائه كل مستور وينكشف بأنواره كل علم ومعلوم.

الفصل الثامن والثلاثون: في نقض العهد

إذا غلب على العارف جرأة المحبة وسلط عليه سلطان العشق وبان له أنوار مشاهدة الأزل والأبد تنتقض عنده جميع عهود الرسوم في العبودية ويخرج من أعلام الطريقة ويصير منجذباً بجمال الحق إلى الحق بلا عهد ولا رسم، قال أمير المؤمنين

---

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه، باب الدعاء في السجود، حديث رقم (٦٧١) [١/٣٣٥] والنسائي في السنن الكبرى، باب ما يقول في آخر وتره، حديث رقم (١٤٤٤) [١/٤٥٢] ورواه غيرهما.

(٢) رواه البخاري في عدة أبواب منها: باب فضل الطهور بالليل والنهار..، حديث رقم (١١٠٠) [١/٣٨٦] ومسلم في صحيحه في أبواب عدة منها: باب صيام النبي ﷺ..، حديث رقم (٧٨٢) [٢/٨١١] ورواه غيرهما.

(٣) أورده المنذري في الترغيب والترهيب، فصل عن أبي هريرة..، حديث رقم (١٤١) [١/٥٨] والديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، حديث رقم (٨٠٢) [١/٢١٠] وأورده غيرهما.

www.alkottob.com

علي ابن أبي طالب كرّم الله وجهه: عرفت الله بنقض العزائم، وقال العارف قدّس الله روحه: العهد قائم بالحق مع نقضه والكون تحت جريان إرادته أسيرٌ له، لذلك قال الواسطي: من لام نفسه فقد أشرك.

الفصل التاسع والثلاثون: في القضاء مع الرضى

رضى الحق من نفسه بما أوجد من العدم، والموحد الصادق يكون منعوتاً بذلك النعت فالرضى عنده قضاء والقضاء عنده رضى، قال الله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النّساء: ٧٨]، قال العارف قدّس الله روحه: الرضى بالقضاء أوائل العبودية والقضاء والرضى يستويان عند أهل الكمال من أهل أواخر المقامات.

الفصل الأربعون: في البديهة

بديهة العلم مع أشكال الغيبية إذا بانت في مقام المحبة تشوق الأرواح إلى أماكن الجلال والجمال وتطير في عالم الملكوت بأجنحة الجبروت، قال العارف قدّس الله روحه: بظهور البديهة يكون اضطراب بواطن الصديقين وتنشق أفئدة الراسخين.

الفصل الحادي والأربعون: في البغتة

إذا وقع نور الذات والصفات بالبغتة على مرآة قلوب الموحدين بلا رسم المراقبات وطلب المداناة، يظهر منهم الوله والهيمان والهيجان والحال والوجد وتهتك الأستار وتشرق الأنوار، قال العارف قدّس الله روحه: الحال إذا كان بالبغتة انحرقت عندها ستور التمكين والاستقامة.

الفصل الثاني والأربعون: في الاختيار

إذا كمل في الاستقامة وصار صيراً في المقامات وظهر الانبساط يختار على ما يليق به الوقت دخول الحضرة والخروج منها ويختار باختيار الله ما واصله الحق بغير الرسوم، قال العارف قدّس الله روحه: الاختيار محل الاتصاف.

الفصل الثالث والأربعون: في الأمانة

أمانة الله معرفة الله والعلم بذاته وصفاته والاطلاع بعجائب علوم الألوهية الجبارية وكتمانها بوصف الحرمة ولا يحتمل ذلك إلا من رفع عنه ثقل الأمانة من الموحدين والعارفين، قال الله تعالى: ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾

www.alkottob.com

[الأحزاب: ٧٢]، وقال عليه السلام: «من لا أمانة له لا دين له»[١]، وقال العارف قدّس الله روحه: الأمانة إخفاء الأحوال والسكوت عن الأقوال.

الفصل الرابع والأربعون: في العكوف

وهو ملازمة الأسرار في طلب مشاهدة الأزل في باب الربوبية بغير اضطراب عند الأحوال ولا تغير عند ظهور الواردات ولا رجوع عند الباب ببديهة السطوات، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٢٥]، قال العارف قدّس الله روحه: العاكف من لا ينتزح سره من أبواب الغيب لمحة.

الفصل الخامس والأربعون: في تقليب الأعيان

هذا مقام تكون في ظهور جمال القهر واللطف من وقع في بحر القهر تنقلب عنده بوسائل السحر ومن وقع في بحر اللطف تنقلب الأعيان عنده باتصافه بالحق؛ وما وجدت ذلك المقام بعينه وأتوقع أن يعطيني ذلك وإن لم يعطني لا أهتم فإنه تعالى وهبني ما فوق ذلك وهو المعرفة ولو يريد بتقليب الأعيان انقلاب الباطن في مقام النفس إلى مقام الروح ومن مقام الروحانية إلى مقام القدسية فجعلني الله بذلك متصرفاً في الأشباح والأرواح وَرُبَّ زنديق وقع في فخ إرادتي فصار صديقاً، قال العارف قدّس الله روحه: تقليب الأعيان الاتصاف بالقدرة.

الفصل السادس والأربعون: في مقام ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [الأنعَام: ٧٣]

إذا اتحد العارف في مقام التوحيد بالموحد، فإذا أراد شيئاً يقول له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [الأنعَام: ٧٣] وذلك إذا خلعه الحق خلعة الاتحاد حيث قال: «كنت له سمعاً وبصراً ولساناً ويداً» ولأن العارف لا يريد إلا ما يريد الحق وأمره وإرادته أمر الحق وإرادته، قال العارف قدّس الله روحه: العارف إذا صار مراد الحق فكل كلامه اسمه الأعظم فإذا تكلم عند إرادة شيء يقول: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [الأنعَام: ٧٣].

الفصل السابع والأربعون: في الوصية

الوصية للخفاء إذا بلغ مقام الخلافة واصطفاه الله بالخلة والمحبة وكان متمكناً مستقيماً وصار وصي الحق، أوصى المريدين بما أوصاه الله من البذل في المقامات

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

والهجوم في القربات وطلب الاستقامة مع أحكام السنة بإثبات الشريعة، قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ﴾ [البَقَرَة: ١٣٢]، قال العارف قدّس الله روحه: الوصية تربية طلاب الحق بنعت ارتسام أعلام الطريقة والحقيقة.

الفصل الثامن والأربعون: في الأحياء

إذا اتصف الموحد بحياة الحق ويتجلى الحق من حياة الألوهية لروحه ونفسه وقلبه وعقله وصورته ويحيى بعكس هذا الموحد كل ميت، ألا ترى كيف يحيي قتيل بني إسرائيل بقطعة لحم من البقر الذي ألبسه الحق ضوءاً من إشراق جمال حضرته مع أن العارف ملتبس بسناء جمال القدم كآدم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام فأحيى الله العالم بهم، قال الله تعالى: ﴿وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ [آل عِمرَان: ٤٩]، قال العارف قدّس الله روحه: أخص إحياء الموتى أن يحيى بنور معرفة الله قلوباً ميتة وتصير أحياء بمحبة الله.

الفصل التاسع والأربعون: في الحرمة

أعظم مقام الموحد عند الله تعالى أن يزيد في جميع أحواله حرمة حضرة الله وذلك حفظه وعنايته حتى لا يتجاوز عن مقدار الحدوثية فيهلك ولا يعلم، وذلك حين غلب عليه سكون الوصال وروح الأنس والانبساط، والعبد إذا يفنى في مقام الحرمة لا يسقط عن رؤية جمال الصرف وعن الاطلاع على كنوز لطائف أسرار الحق، ومحترماً في جميع الأحوال عند جميع الخلائق من الآدمي والملائكة والجن والحيوان والسباع ويحتشم منه جميع الأكوان، قال العارف قدّس الله روحه: بالحرمة ينال المريد والعارف مقامات الدنو.

الفصل الخمسون: في العزم

هذا مقام أهل الكمال من الأنبياء والأولياء وذلك حمل واردات مشيئة الأزل برؤية الوحدانية على وصف التمكين والاستقامة بغير اضطراب البشرية والعربدة من مقام الانبساط، قال الله تعالى في وصف أولو العزم من الرسل إذا ندب حبيبه إلى ذلك المقام: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقال العارف قدّس الله روحه: العزم استقبال مراد الحق بنعت الاستقامة والفرح بجمال الحق أبداً.

www.alkottob.com

الباب الثاني عشر
في مقامات الواصلين وهي خمسون فصلاً

الفصل الأول: في مقام الصبغة

إذا وصل العبد إلى مقام الوصلة غسل الله سره وقلبه وعقله وروحه وفطرته وطبيعته وجميع وجوده بمياه بحر القدس وصبغها بصبغ الألوهية، فصار ظاهره وباطنه منوراً بصبغ الله حتى يكون مرآة تجلي الحق للعالمين، ثم بعد ذلك يكون مستعداً لقبول أنوار أسرار الأزل والأبد من عين القدم والبقاء وأصل الذات والصفات ولا يتغير ذلك الصبغ عليه بطوارقات التلوين وأحكام القهريات وواردات الامتحان فلا صبغ فوق صبغ الله، وبترك ذلك يتغير الأمر والنهي ولا يقبل بعد صبغ الاصطفائية في الأزل صبغاً، قال الله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨]، قال العارف قدّس الله روحه: الصبغة اتصاف الخليقة بالحقيقة.

الفصل الثاني: في مقام الحنيفية

إذا صار مصبوغاً بصبغ الله يكون مائلاً عمّا دون الله ولا يقف على الحدثان بعد رؤية الرحمٰن ويسير عن كل حظ يحد في الحنيفية ولا يلبث حتى يصل إلى محل الفناء، قال سبحانه وتعالى في وصف خليله عليه السلام: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا﴾ [آل عِمرَان: ٦٧]، وقال عليه السلام: «بعثت بالحنيفية السهلة السمحة البيضاء»[١]، قال العارف قدّس الله روحه: الحنيفية التخلق بسنة الله والتبري عمّا دون الله.

---

(١) ورد بلفظ: «بُعثت بالحنيفية السمحة» رواه الطبراني في الكبير من طريق عفير بن معدان عن سليم بن عامر ومعان بن رفاعة السلامي عن علي بن يزيد حديث رقم (٧٧١٥) [٨/ ١٧٠] وحديث رقم (٧٨٦٨) [٨/ ٢١٦] وحديث رقم (٧٨٨٣) [٨/ ٢٢٢] والحديث رواه أحمد في المسند عن أبي أمامة، حديث رقم (٢٢٣٤٥) [٥/ ٢٦٦] ورواه غيرهما، ونص رواية أحمد هي:

عن أبي أمامة قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في سرية من سراياه، قال: فمرّ رجل بغار فيه شيء من ماء قال: فحدّث نفسه بأن يقيم في ذلك الغار فيقوته ما كان فيه من ماء ويصيب ما حوله من البقل ويتخلى من الدنيا، ثم قال: لو أني أتيت نبي الله ﷺ فذكرت ذلك له فإن أذن لي فعلت وإلا لم أفعل فأتاه فقال: يا نبي الله إني مررت بغار فيه ما يقوتني من الماء والبقل فحدثتني نفسي بأن أقيم فيه وأتخلى من الدنيا، قال: فقال النبي ﷺ: «إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكني بُعثت بالحنيفية السمحة والذي نفس محمد بيده لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ولمقام أحدكم في الصف خير من صلاته ستين سنة».

www.alkottob.com

الفصل الثالث: في مقام الوسط

الوسطية هي أن يكون الصديق على تسديد السر في المعرفة وتتحرك عليه أحكام التمكين ويعرف الله بأمارات التوحيد لا بشواهد الالتباس ولا يغلب عليه أحكام الشطح ويكون وسطاً في جميع المقامات لا يسرف في الحالات ولا يقصر في المقامات، قال سبحانه: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقال عليه السلام: «خير الأمور أوسطها»[١]، قال العارف قدّس الله روحه: الوسط السر بين الجمال والجلال.

الفصل الرابع: في مقام الملكوت

ملكوت العارف قلبه الذي فيه عالم الله وفيه عجائب الله من غرائب أسراره ولطائف أنواره وظهور ذاته وصفاته وأشكال أفعاله، فإذا صار قلبه بهذا الوصف يكون مرآة ملكوت الله يرى في قلبه ما يكون في الملكوت إما عيناً وإما شاهداً، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام: ٧٥]، وقال عليه السلام: «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات»[٢]، قال العارف قدّس الله روحه: مقام الملكوت مقام اليقين.

الفصل الخامس: في مقام الجبروت

إذا برز من عيون القدم أنوار العظمة والكبرياء لقلب العارف الواصل يكون جبروتياً يهتز عند صولته كل شيء، ألا ترى كيف قال عليه السلام: «اهتز العرش لموت سعد»[٣]، قال العارف: غلب على سعد أنوار سلطان الكبرياء فصار نوراً من نوره فإذا وصل إلى العرش اهتز العرش من صولته وثقل أمانته.

الفصل السادس: في مقام الاستباق

إذا كان روح الواصل مصطفى في الأزل بالولاية والقربة يكون مشتاقاً إلى جمال الأولية مجذوباً بسلاسل المحبة يستبق إلى موطن المشاهدة ويطير إلى عمائم الديمومية بجناح المعرفة لا يتخلف عن المسابقة عند كل وارد غيب من امتحان وابتلاء، قال: الاستباق لا يكون إلا بالاشتياق.

---

(١) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (١٢٤٧) [١/٤٦٩] وأورده غيره.

(٢) هذا الحديث سبق تخريجه.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، باب منقبة أسيد بن حضير..، حديث رقم (٣٥٩٢) [٣/١٣٨٤] ومسلم في صحيحه، باب من فضائل سعد بن معاذ..، حديث رقم (٢٤٦٦) [٤/١٩١٥] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

الفصل السابع: في مقام الاسترقاق

إذا كان الواصل متسلطاً بسلطنة الله على كل شيء استرق نفسه وجعلها منقادة في العبودية ويكون جميع أحواله ومواجيده تحت رأيه لأنه مسلط على الأحوال كلها، قال عليه السلام: «أسلم شيطاني»[١]، قال العارف قدّس الله روحه: الاسترقاق التنور بأنوار الربوبية.

الفصل الثامن: في مقام التبري

التبرية من الناسوتية والخليقة من أحكام البدايات ومن السكون والوجود في النهايات ومن الحول والقوّة في المشاهدات، قال الله تعالى: «لا حول ولا قوة إلا بالله» وقال: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٨]، قال عليه السلام: «أنا وأتقياء أمتي برآء من التكلف»[٢]، قال العارف قدّس الله روحه: التبري في مقام الوصلة لا يكون إلا من كل ما يشغل الواصل عن الحق وإن كان من الحق.

الفصل التاسع: في مقام الحلال

الحلال الصافي ما لا يكون بعد ذلك حجاب أو ذلك أن يكون الواصل يباشر ما له في الأزل ولا يتجاوز عن مقدار مقامه، فإنه لا يحل عليه الذكر عن مقام لا يبلغ إليه، وقال العارف قدّس الله روحه: الحلال مشاهدة الله.

الفصل العاشر: في مقام الحرام

كل ما يمنع الواصل عن الترقي فهو حرام عليه، فإذا نظر إلى الكون بغير الشوق إلى جمال الحق فهو في المعرفة قاصد الحرام، فإذا نظر إلى الكون وما فيه والمقصود

---

(١) ورد معناه بألفاظ أخرى منها ما رواه مسلم في صحيحه، باب تحريش الشيطان...، حديث رقم (٢٨١٥) [٤/٢١٦٨] ونصه:
حدثني هارون بن سعيد الأيلي حدثنا ابن وهب أخبرني أبو صخر عن ابن قسيط حدثه عن عروة أن عائشة زوج النبي ﷺ حدثته أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً قالت: فغرت عليه فجاء فرأى ما أصنع فقال: «ما لكِ يا عائشة أغرتِ؟» فقلت: وما لي لا يغار مثلي على مثلك، فقال رسول الله ﷺ: «أقد جاءك شيطانك؟» قالت: يا رسول الله أوَ معي شيطان؟ قال: «نعم» قلت: ومع كل إنسان؟ قال: «نعم» قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال: «نعم ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم».

(٢) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (١٠١٣) [١/٣٧٥].

www.alkottob.com

منه الشوق والمشاهدة والعشق والمحبة فلا يكون عليه حرج، قال الله تعالى: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البَقَرَة: ١٧٣]، قال العارف قدّس الله روحه: الحرام حظّ النفس في طريق النفس.

الفصل الحادي عشر: في مقام القصاص

إذا ألبس الحق الواصل لباس سلطنته يكون مراقباً لنفسه في جميع اللحظات فإذا تجاوزت عنه رسوم العبودية يقبض عنها القصاص ما احترمت في حضرة القدس، قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البَقَرَة: ١٧٩]، قال العارف قدّس الله روحه: أصل القصاص مؤاخذة الله الواصل في كل لمحة بما يحظّه عن قلبه من ذكر غير الله.

الفصل الثاني عشر: في مقام الحدّ

إذا زمّ الواصل نفسه بزمام الأدب في الحضرة وصار مشغولاً بالحق، ونفسه تكون مقهورة وروحه قوية بحظّ المشاهدة سرت حظوظ الروح إلى الطبع ومن الطبع إلى القلب ومن القلب إلى النفس، فتكون مستروحة بحظّ من حظوظ الروح واقتحمت حظوظها من البشرية، فإذا فرغ الواصل من وارد المواجيد حدها بحدود الملامات والمجاهدات، قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البَقَرَة: ٢٢٩]، قال العارف قدّس الله روحه: الحدّ تغيير النفس بعد معرفة المعاتب ومداواتها بعقاقير المنن من فاطر السنن.

الفصل الثالث عشر: في مقام الصدّ

صدّ الواصل تكون تارة في الأوقات في مقام الصد وهو حجاب النكرة بعد المعرفة لكن ليس عليه حرج الامتحان لأنه في مقام الاستراحة عن الفناء في مشاهدة قدس القدم، قال العارف قدّس الله روحه: الصد حجاب المريدين ودلال من المعشوق للعاشقين.

الفصل الرابع عشر: في مقام التهلكة

إذا تجلّى الحق من عيون اللطفيات في لباس القهريات يبصر الواصل من مرآة القهر ما يبصر من مرآة اللطف فيخوض في بحر المستقبحات كما يخوض في المستحسنات، فإذا وصل إلى حظّ باشر سرّه سرّ السرّ وعلم العلوم المجهولة ولا يطيق بعد ذلك التجلي برسوم المقامات والطريقة في الحالات ويكون فتنة للعالمين

www.alkottob.com

اعتبر بشجرة آدم فهناك محل الامتحان الأعظم، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، وقال: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، قال العارف قدّس الله روحه: التهلكة طريق الشطاحين ولا يخرج منها إلا من وصل بالحق إلى الحق.

الفصل الخامس عشر: في مقام الزاد

زاد الواصل شوقه على مطية همته فيسير به إلى ما لا نهاية من مقامات الدنو ودنو الدنو، قال الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧]، تقواه إجلاله في مشاهدة الله، قال العارف قدّس الله روحه: خير الزاد المحبة والمشاهدة.

الفصل السادس عشر: في مقام السعي

سعي الواصل عدو روحه بين الآزال والآباد في ميادين الكبرياء لطلب الجمال والوصال، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]، صفاؤه أزلية ومروته أبدية والواصل الساعي بينهما بنعت الهيمان والهيجان، قال عليه السلام: «إسعوا عباد الله»، قال العارف قدّس الله روحه: السعي تخريب بلاد الناسوت للوصول إلى اللاهوت.

الفصل السابع عشر: في مقام الحسنة

الحسنة المشاهدة والمعرفة والقربة، فإذا وصل الواصل إلى الحسنة يرغب في مزيد الحسنات لوجدان حظّه من المشاهدات، قال الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [النحل: ١٢٢]، قال العارف قدّس الله روحه: الحسنة في الدنيا والآخرة وصول الواصل إليه بنعت الرفاهية والأنس والعافية من جميع الامتحانات والمكريات.

الفصل الثامن عشر: في الصلح

لا يكون بين الحادث والقديم صلحاً أبداً لأن نكرة الآزال والآباد من وصف عين الألوهية وامتناعه بصمديته وعزته أزلية أبدية يحيط بصفاته بكل مدركات، وأي دراك يدرك عن العين وأي مشاهد يشهد حقيقة الحقيقة وأي ذوّاق يذوق طعم صرف الصرف لكن الله سبحانه طالب الواصلين والأكوان والحدثان بأسرها أن يرجع إلى أماكنها لأنها فعله ومعادن الفعل صفته فمن هذا الوجه الصلح منه أزلي وأبدي، قال الله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]، قال العارف قدّس الله روحه:

www.alkottob.com

الصلح في كل لحظة يجدد بين الحبيب والمحبوب لأن الواصل ما دام بين الوصل والفصل ولا وصل ولا فصل في التوحيد المجرد.

الفصل التاسع عشر: في مقام العزة

العزة وصف القدم فإذا تجلّى من تلك الصنة في مقام الوصلة صار الواصل منعوتاً بوصف الحق ويكون عزيزاً بين الأعزة، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، قال العارف قدّس الله روحه: قلت قبل الصبح يا عزيز من حقيقة صفاء فكري وذكري؟ فقال لي: يا عزيز ما معنى العزة؟ فقلت: تنزيهك وقدسك وجلالك وأحديتك، قال: افهم فإن عزتي أن أكون قرّة عيون العاشقين فإن المعشوق عند العاشق عزيز لا من حيث المنع بل من حيث الوصل.

الفصل العشرون: في مقام تجلي الصفات في صفات الفعل

إذا أراد الحق سلب قلوب الواصلين بنعت العشق يظهر أنوار صفاته الخاصة الذاتية في صفات فعله ليكونوا بين الطرفين طرف العشق وطرف التوحيد، فإذا نظروا إلى صفات الفعل عشقوه به وبقوا فيه وإذا نظروا إلى صرف الصفات فنوا فيه، قال العارف قدّس الله روحه: تجلي الصفات في صفات الفعل موجب الفناء والبقاء.

الفصل الحادي والعشرون: في مقام إتيان الحق في لباس الفعل

إذا أراد الله أن يوقع الواصل في بحر المهابة، ويعرف وصفه في لباس المجهول له يظهر إتيانه إليه في لباس الفعل المنكر عند العارفين والمستأنسين، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البَقَرَة: ٢١٠]، قال العارف قدّس الله روحه: هذا المقام عين النكرة في المعرفة.

الفصل الثاني والعشرون: في مقام تجلي الصفات الخاصة

إذا أفرد الواصل من تربية السير في مقام المحبة ويرى بأنوار المعرفة يتجلى لقلبه من عيون الصفات فيكون ذا ذوق من كل عين ومخبر عن كل صفة، وقال العارف قدّس الله روحه: هذا المقام يوجب المعرفة الخاصة بلا رسوم الشواهد.

الفصل الثالث والعشرون: في مقام التجلي في القرآن

إذا برز الوصف ممكن الخطاب وظهر النعت من صورة الألفاظ يكون القلب مشاهد الصفة بعد سمع الخطاب وذوقه لذلك، قال موسى عليه السلام بعد سماع

www.alkottob.com

الخطاب: ﴿أَرِنِي﴾ [البَقَرَة: ٢٦٠] لأن الخطاب مظنة الرؤية، قال علي كرّم الله وجهه: إن الله يتجلى لعباده في القرآن، قال العارف قدّس الله روحه: يظهر نور الصفة من نور الخطاب فالروح شاهد والعقل سامع.

الفصل الرابع والعشرون: في مقام تجلي الفعل

إذا ألبس المستحسنات نور الصفات وتجلى من الأفعاليات يستأنس الواصل بكل ذرة منها وذلك مقام أنسه يزيد له أنس بالحق، قال العارف قدّس الله روحه: بتجلي الفعل يزيد لفؤاد الواصلين الشوق والأنس.

الفصل الخامس والعشرون: في مقام التجلي الذات صرفاً

إذا قطع الواصل مفاوز أنوار الأفعال بالعقل وسبح في بحار الصفات بالروح يتجلى الحق سبحانه لسره من أنوار ذاته صرفاً فيستغرق سره في بحر ذاته ومحله هناك محل الفناء فلو يخرج به منه يكون متسلطاً على السير في الصفات والأفعال، قال العارف قدّس الله روحه: رؤية التجلي الذات تفني أبصار الناظرين.

الفصل السادس والعشرون: في مقام التزين

الواصل عروس الله في العالم، فإذا زين الله بواطنه بأنوار جماله وجلاله ومعرفته ومحبته وأنسه صار روحانياً ملكوتياً يزيد حاله من الطيب واللباس الفاخر واستحسن الحق منه ذلك وأَحَبَّ به ذلك حتى قال: مبارك عليك، ألا ترى إلى قوله عليه السلام: «إن الله جميل يحب الجمال»[١] وقال العارف قدّس الله روحه: التزين ميراث الأنس.

الفصل السابع والعشرون: في مقام الملاقاة

مقام الملاقاة يكون تارة في المحاضرة وتارة يكون في المراقبة وتارة في القرب والأصل في ذلك بين القرب والدنو على البديهة، ويقتضي ذلك الفرح والحيرة والوجد ثم بعد ذلك خطاب الخاص وظهور العين، قال تعالى: ﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غَافِر: ١٥]، قال العارف قدّس الله روحه: الملاقاة للواصل رؤية هلال الجمال من سماء القدم والبقاء.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، باب تحريم الكبر..، حديث رقم (٩١) [١/ ٩٣] وابن حبان في صحيحه، ذكر ما يستحب للمرء تحسين ثيابه..، حديث رقم (٥٤٦٦) [١٢/ ٢٨٠] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

الفصل الثامن والعشرون: في مقام اليمين

هذا المقام ميراث الانبساط والمعرفة بوجود الله تعالى والاطلاع على ما كان له من الله عند الله في الأزل، فيحلف به بعبارات ما سمعها أهل الكون، وفي ذلك الوقت هو شاهد مشاهدة جلال الله ولسانه لسان الله، قال العارف قدّس الله روحه: مقام اليمين سر صولة المعرفة.

الفصل التاسع والعشرون: في مقام القسم

هذا المقام نوع من المباهات، إذا قال: بحياتي، أراد حياة الله كأنه يخبر عما له عند الله من مراتب المعارف والكواشف ويظهر بذلك الولاية والاصطفائية، قال العارف قدّس الله روحه: القسم شطح الواصل.

الفصل الثلاثون: في مقام السمع

إذا ألبس الحق سبحانه سمعه نور سمعه يسمع كلام الحق بسمع الحق في جميع المقامات ويفهم من ذلك جميع أصوات الوجود، كقوله تعالى حاكياً عن سليمان عليه السلام: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ [النَّمل: ١٦]، قال العارف قدّس الله روحه: مقام السمع بعد شهود السر.

الفصل الحادي والثلاثون: في مقام اللسان

إذا شرح الله صدر الواصل بنور مشاهدته في مقام الوصل والأنس ورفع العلة عن لسانه فصار لسان القلب والظاهر واحداً فيقدر أن يتكلم بلسانه مما في لسان القلب من شرح المعارف والكواشف بعبارات فصيحة وإشارات لطيفة فيكون صاحب اللسان في المعرفة فكلامه هناك كلام الربانيين لأن الحق سبحانه يتكلم بلسانه، قال سبحانه في هذا المعنى حاكياً عن كليمه عليه السلام: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾﴾ [طه: ٢٧]، قال عليه السلام: «بعثت بجوامع الكلم وأنا أفصح العرب»[١]، قال العارف قدّس الله روحه: إذا ارتفعت عجمة الإنسانية عن لسان العارف يتكلم بجميع الأسرار لأن لسانه ملتبس بلطائف الأنوار.

---

(١) هذا الحديث سبق الحديث عنه.

www.alkottob.com

الفصل الثاني والثلاثون: في مقام الأخذ والعطاء

هذا المقام مقام الاستقامة والتمكين والتخلق بخلق الله وإسقاط الكون وأهله عن نظر الواصل فيأخذ من الحق ويعطي إلى الحق، قال العارف قدّس الله روحه: الأخذ والعطاء وصف المتبسطين والواصلين مقام الأنس.

الفصل الثالث والثلاثون: في مقام الكمال

إذا استقام في العبودية واتصف بالربوبية ولا يمزج بحر الربوبية ببحر العبودية ويصير بين البحرين حاجزاً لا يتجاوز عن مقام العبودية في المحبة ولا ينحط عن مقام الربوبية في المعرفة يكون في حد الكمال، قال العارف قدّس الله روحه: الكمال مشاهدة الربوبية في العبودية.

الفصل الرابع والثلاثون: في مقام النوال

أعظم النوال من الله سبحانه نوال الوصل بعد الانفصال وذلك إذا تخلص الواصل من بحر الفراق ويقوم في مقام الشهود فيواسيه الحق سبحانه بأن يكلمه من مقام البسط ويقول له ليس في الكون مثلك وليس في العالم غيرك يا حبيبي، ثم يوصله إلى عين الوصال وينيله رايات الولاية والصديقية، لذلك قال الخليل: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٢٤]، قال العارف قدّس الله روحه: بالنوال يستقيم الوصال.

الفصل الخامس والثلاثون: في مقام الميراث

أورث الحق نور مشاهدته وجه الواصلين وجعلهم بذلك الميراث وارثين منه الولاية والاتصاف والقدرة فيما يريدون، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠﴾ [المؤمنون: ١٠]، ورثوا نعم مشاهدته وهم فيها خالدون، قال العارف قدّس الله روحه: الميراث لباس الربوبية على العبودية.

الفصل السادس والثلاثون: في مقام الآمر بالمعروف

إذا وصل الواصل إلى قرب الله سبحانه دعا عباد الله بلسان النور واللطف إلى الله وعرفهم معروف ألطافه وأراهم طرق أنواره وأرشدهم إلى سنن عبوديته لأنه خليفة الله في البلاد والعباد، قال تعالى: ﴿ٱلْأَٰمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [التوبَة: ١١٢]، قال العارف قدّس الله روحه: الآمر بالمعروف وضع سنة الله على رقاب الأمم.

www.alkottob.com

الفصل السابع والثلاثون: في مقام الوسم

إذا ألبس الله شمائل جماله وجوه الواصلين وأبرز نور القدس والأنس من جباههم وجعل أرواحهم أنجم سموات القيومية وقلوبهم أصداف بحار الأحدية فظهرت بعد ذلك من وجوههم أنوار المشاهدة وسمات القربة، قال: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]، قال العارف قدّس الله روحه: الوسم ظهور نور الغيب من وجود العارف.

الفصل الثامن والثلاثون: في المبارزة

إذا غلب على الواصل فورة التوحيد ولذة الوصال والبقاء بعد الفناء يبارز أهل الملكوت ومن فوقهم ومن دونهم، وقال العارف قدّس الله روحه: المبارزة غليان عين الشطح وعين الفرح في العشق.

الفصل التاسع والثلاثون: في مقام الكسر

إذا وطأ الحق أقدام قدمه على الواصل في ميادين الألوهية ينكسر الواصل تحت أذيال عظمته ويتحير في سلطان كبريائه فيصير من المنكسرين الذين وصفهم الحق بالعندية منه بقوله: «أنا عند المنكسرة قلوبهم»[1]، قال العارف قدّس الله روحه: الكسر من أهل الحق هذا ومن العارف كسر أغصان أشجار العوائق من العرش إلى الثرى.

الفصل الأربعون: في رؤية القدم

إذا أراد الله أن يسقي الواصل شراب الوحدانية والتوحيد والوحدة يريه أنوار القدم ويُقبل به إلى الأولية فيفنى ثم يبقى فيكون بين الفناء والبقاء في رؤية أنوار القدم، قال العارف قدّس الله روحه: رؤية القدم يقتضي الوحدة.

الفصل الحادي والأربعون: في رؤية قدم القدم

إذا خرج من رسم القدم وأحكام معارفه يريه الحق بحار سرمدية قدم القدم فيسبح فيها برسم معرفة القدم حتى ينخلع من الرسم والوسم والاسم والذوق فيفنى عن وجوده فيبرز إلى الأولية فلا يرى فتذهب به أمواج القهارية إلى لجج بحار أولية

---

(١) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (٦١٤) [١/ ٢٣٤].

www.alkottob.com

الأولية فلا يرى بعد ذلك إلا بحاراً في بحار وعظمة في عظمة وكبرياء في كبرياء ولا يتخلص منها أبداً، قال العارف قدّس الله روحه: رؤية القدم تقتضي الفناء في التوحيد والعظمة في الوجود.

الفصل الثاني والأربعون: في البقاء

رؤية البقاء بعد الوصال انكشاف أنوار البهاء على السرمدية فيفنى في لذة الأنس ثم يبقى ببقاء الحق، قال العارف قدّس الله روحه: البقاء رؤية دوام جمال الحق.

الفصل الثالث والأربعون: في مقام بقاء البقاء

إذا خرج العقل من انصرام الكون ويقع في بحر بقاء البقاء يرى بطنان الألوهية بعين البقاء وينكشف له في كل لمحة عيان عيان الذات فيتحير في فقدان مقام ولا يرى لأقدامه موقفاً هناك فيذهب في بحار بقاء البقاء إلى البقاء.

الفصل الرابع والأربعون: في مقام الأزل

الأزل مثل القدم لكن القدم وصف خاص والأزل وصف خاص، ولكل واحد منهما ذوق ورسم واسم، ولكن قريب أحدهما من الآخر، والأزلية ظهور جلال الأولية للأرواح لإلباسها أنوار العزة، قال العارف قدّس الله روحه: الأزل وصف القدم، ونعت الأولية يتولد من رؤيته إفراد الواحد عن أعداد الصفات.

الفصل الخامس والأربعون: في أزل الأزل

كنه العزة بلا رسم الإبهام والأوهام، إذا بدا أغار أرواح الواصلين والموحدين وألقاها في بحار المنزّهية وهناك تبدو الحيرة والبهتة والتلاشي، قال العارف قدّس الله روحه: رؤية أزل الأزل تقتضي الطمس والرمس.

الفصل السادس والأربعون: في الأبد

الأبد اسم البقاء لكن هو وصف خاص وله تجلٍ خاص وتربية خاصة ورؤيته تقتضي العشق السرمدي والشوق الأبدي والفرح والأنس مع التوحيد، قال العارف قدّس الله روحه: أوائل أنوار الأبد تسلب سر الأسرار من بطون الواصلين إلى شهود الجمال بنعت الوقفة في اللذة والزوال في المعرفة.

www.alkottob.com

الفصل السابع والأربعون: في أبد الأبد

إذا بدا أنوار بطنان الأبدية للأبد ومن الأبد لشاهد الأبد أغرقته في بحار الآخرية ولا يرى هناك إلا ذاتاً سرمدياً يحجبه عنه ساعة ويكشف سره له به عنه ساعة فيصير أبدياً أبد الأبد يؤبده الحق، قال العارف قدّس الله روحه: ما ذكرنا في هذه الأسامي هو ما أخبر سبحانه عن نفسه بعبارات مختلفة في كلامه يقول: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣].

الفصل الثامن والأربعون: في مقام الفناء

إذا شاهد الواصل القدم والبقاء والأزل والأبد أفنته عما دونها وبقي فناؤه، قال العارف قدّس الله روحه: الفناء أوائل التوحيد.

الفصل التاسع والأربعون: في مقام فناء الفناء

إذا أدرك نور قدم القدم وأزل الأزل وبقاء البقاء وأبد الأبد صار مضمحلاً عن فنائه وزال فناؤه في فناء الفناء ثم أفناه الحق عن فنائه وفناء فنائه من غيرته على الأزل والأبد والقدم والبقاء فبقي الحق كما لم يزل باقياً وكما لم يزل قديماً بلا إدراك دراك ولا معرفة عارف ولا توحيد موحد سبحانه: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القَصَص: ٨٨].

الفصل الخمسون: في رؤية القدمية في نفسه

ربما يهتم العارف الواصل من كمال محبته وتلذذه ذوق المشاهدة والدنو بعدمه في القدم، فيأخذ علم القدم يده ويواسيه بما يقول: كنت مكانك في القدم فأنا وصف القدم، فلا يرضى بذلك حتى يقول الحق: كنت مكانك لك في الأزل ولا يرضى بذلك حتى ألبسه الحق نعوت الأولية، فيرى نفسه قديماً فيقتضي حاله دوام الفرح على القدم كما يفرح بالبقاء، قال العارف قدّس الله روحه: هذا سر عظيم يكون من علم المجهول ولا يعلم تأويله إلا من أفرد الحق على الكون في نفس التوحيد ويرى المعدوم موجوداً في رسم المكر تعالى الله عن الضد والند وعن المعية وعما يقول الثنوية.

www.alkottob.com

الباب الثالث عشر
في مقامات النقباء وفيه خمسون فصلاً

الفصل الأول: في مقام الحلم

إذا اتصف العبد بالرب وتخلّق بخلقه فيوثر كل صفة في صفته فصار حليماً بحلم الله فيحتمل من أهل الكون إذ يأتهم بما في قلبه من صفاء صفته وليس هذا الحلم الطبيعيّ، قال تعالى في وصف الخليل: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾ [هُود: ٧٥]، قال العارف قدّس الله روحه: الحلم سكون القلب بنعت الطيب تحت جريان التقدير.

الفصل الثاني: في مقام الغضب

هذا أيضاً محل الاتصاف لأن الغضب من أوصاف الربوبية وذلك إذا عظم في العظمة ورؤية الكبرياء والقهر والجبارية والتبس بها يغضب على كل مخالف حين يظهر أوصاف غيرة الحق له، قال تعالى: ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المَائدة: ٦٠]، قال عليه السلام: «يغضب بغضبهم ويرضى برضاهم»[١]، وقال العارف قدّس الله روحه: الغضب ظهور صولة الحق من العارف مع الهيبة.

الفصل الثالث: في مقام الفؤاد

رؤية الصرف للفؤاد، وذلك بعد قطع حجب المقامات والحالات والعروج إلى معارج قرب القرب، قال الله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴿١١﴾﴾ [النّجم: ١١]، وقال عليه السلام: «رأيت ربي»[٢]، وقال العارف قدّس الله روحه: يرى الفؤاد صرف الذات دون الالتباس.

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٢) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

الفصل الرابع: في مقام الروح

مقام الروح مقام العشق والمعرفة ورؤية الجمال والحسن ومحل تربية الأنس وهي تعلو أبداً إلى محل الروح والوصال والجمال، قال العارف قدّس الله روحه: مقام الروح الطيران في هواء الهوية والألوهية.

الفصل الخامس: في مقام روح الروح

هذا المقام هو رؤية ظهور أنوار القدم والبقاء وعين النكرة والتباس الخاص وإدراك السر، قال العارف قدّس الله روحه: مقام روح الروح من حيث السمع علم المجهول ومن حيث البصر رؤية غرائب الغيب.

الفصل السادس: في مقام العين

للعقل عين وللقلب عين وللروح عين وللسر عين وللظاهر عين، فأما مقام عين العقل فرؤية نور الآيات، ومقام عين القلب اليقين وهو رؤية أنوار الصفات، وأما عين الروح فمقام شهود الذات، وأما مقام عين السر فشهوده مشاهدة الغيب بالغيب، وأما عين الظاهر إذا كملت في صفاء الآيات وصارت عين الظاهر كعين الباطن فيرى ما يرى القلب والفؤاد، قال الله تعالى: ﴿فِى لَوۡحٍ مَّحۡفُوظٍ ۝٢٢﴾ [البُرُوج: ٢٢]، وقال عليه السلام: «رأيت ربي بعيني وبقلبي»[1]، وقال العارف قدّس الله روحه: في وقت الكشف يرى ما يرى عين الظاهر الروح في هذا العلم.

الفصل السابع: في مقام التصرف

التصرف مقام التمكين في البقاء به وذلك أنه إذا بدا له أنوار الربوبية واتصف بها يسهل له كل مشكل ولا يتعذر عليه التصرف في الملك ولا يحتجب بذلك ولكل مباشرة منه يزيد له الشرف والمقامات، قال الشيوخ: التصرف لا يصح إلا للأقوياء، قال العارف قدّس الله روحه: التصرف للمحفوظين والمرادين.

الفصل الثامن: في مقام الحفظ

محافظة الأوقات بنعت عدّ الأنفاس لمن له تواتر التجلي والكشف حتى يكون بها محفوظاً، قال العارف قدّس الله روحه: الحفظ ضبط المكاشفات لأهل الإرادات.

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

الفصل التاسع: في مقام السِّنة

مقام السنة في شهود الغيب موضع اللوائح ولمعات النور والخطاب والهواتف ونظائر الغيب وكشف الحضرة وكشف اللقاء بالبديهة، وهذا المقام قريب من مقام الأنبياء، قال العارف قدّس الله روحه: السِّنة لاستراحة الروح من عيّ عدّ الأنفاس.

الفصل العاشر: في مقام النوم

النوم مقام المنامات والرؤيا الصادقة وكشف الأعظم وكشف نظائر الملكوت، وهناك تجول الأرواح في حظائر القدس وتقرأ حروف الغيب بصورة أشكال الروحانية من لوح المحفوظ وأكثر مكاشفات النقباء في هذا المقام، قال عليه السلام: «الرؤية الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»[(١)]، قال تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤]، قال العارف قدّس الله روحه: مقام النوم مقام أهل الصحو.

الفصل الحادي عشر: في مقام بين النوم واليقظة

هذا المقام من بدو الإرادة إلى منتهى المقامات مقام كشف الملكوت للسائرين لكن أكثر فوائده الخطاب والوحي ورؤية أشكال الحضرة ويزيد للراغب هاهنا الأنس بالله والشوق إلى الرفاهية في الحضرة، قال العارف قدّس الله روحه: هذا المقام لمن بلغ مقام الأنس بالله والصحو على الكمال لهم خصوص والعامة نادرة.

الفصل الثاني عشر: في مقام نوم العين ويقظة القلب

هذا مقام الأنبياء ظاهره لأهل الصفوة وباطنه لأهل القربة وهناك تظهر الأحكام الغيبية وهناك تظهر الملائكة للوحي والإلهام ورسوخ الأمور، قال عليه السلام: «تنام عيناي ولا ينام قلبي»[(٢)]، وقال العارف قدّس الله روحه: رُبَّ واقعة سنية رأيتها في هذا المقام.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في أبواب عدة منها: باب الإستبرق ودخول الجنة...، حديث رقم (٦٦١٤) [٦/ ٢٥٧٤] ورواه مسلم في صحيحه في أبواب عدة منها كتاب الرؤيا، حديث رقم (٢٢٦٤) [٤/ ١٧٧٤] ورواه غيرهما.

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه، باب استحباب المضمضة...، حديث رقم (٤٨) [١/ ٢٩] وأبو داود في سننه، باب الوضوء من النوم، حديث رقم (٢٠٢) [١/ ٥٢] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

الفصل الثالث عشر: في مقام الاستمساك بالعروة الوثقى

من شمائل النقباء التمسك بالسنة في جميع مقاماتهم ولا يتجاوزون في الغلبات والسكر عن ظاهر الحكم لاقتداء المريدين وسلامة سلوك السالكين ودفع الآفة من عامة المسلمين، قال تعالى: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦]، قال العارف قدّس الله روحه: الاستمساك بالسُّنة مقام الصديقين والنقباء المقربين وبه يزيد الشرف ويتم به المقامات وببركاته تُنال أعلى المراتب وهناك موضع ستر الله من أهانه أهانه الله وأسقطه من درجته وهو لا يعلم.

الفصل الرابع عشر: في مقام القصم

هذا يتعلق بطوارق التوحيد وبروز أنوار الألوهية وارتفاع أمواج بحر القدمية تنقصم عند رؤيتها أشجار الأرواح والقلوب وهو محل الفناء، قال العارف قدّس الله روحه: القصم ظهور سطوة العزة بالبديهة.

الفصل الخامس عشر: في مقام رؤية إحياء الموتى

في هذا المقام يبرز أنوار القدرة والحكمة والعلم ورؤية الربوبية والعجز في إدراكها وكذلك يختال العارف هاهنا ليرى صرف الذات والصفات في الأفعال ويتمنى أن يغوص في بحر نكرة النكرة، ألا ترى كشف صنع الخليل عليه السلام عند قوله: ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٠]، قال العارف قدّس الله روحه: هذا المقام أعظم من مقام الرؤية.

الفصل السادس عشر: في مقام المنّة

المنّة وصف القدم وإذا كان العارف واقعاً في هذا البحر سقط عنه المجاهدات والرياضات ويكون أكثر حاله الرفاهية والأنس وحسن الرجاء ولا يبقى إلا عدّ الأنفاس، قال العارف قدّس الله روحه: الكامل في المعرفة يغرق في بحر الامتنان والمبتدي يغرق في بحر العبودية.

الفصل السابع عشر: في مقام الإدخار

إذا كمل الرضى والتوكل والتسليم والفرح بالله في قلب المقبل لا يضر به الإدخار ويزيد بذلك له قطع العلائق وهو سنة نبينا ﷺ أنه كان يدخر لعياله سنة، قال العارف قدّس الله روحه: هؤلاء خزّان الله.

www.alkottob.com

الفصل الثامن عشر: في مقام النذر

غرضهم بالنذر ذمّ النفوس عن الازدحام في مقام المراقبات وعدّ الأنفاس، قال تعالى: ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البَقَرَة: ٢٧٠]، قال العارف قدّس الله روحه: النذر تحذير النفوس وطرد الشياطين ومن وفى بذلك فهو من رجال المعرفة.

الفصل التاسع عشر: في مقام الإحصار

الإحصار للقائمين بالله المستمسكين بعروة محبته المتوكلين على الله الراضين عنه، حضروا أنفسهم في شهود الغيب وإدراك المشاهدة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ٢٧٣]، قال العارف قدّس الله روحه: الإحصار للمراقبين والحاضرين مشاهد القرب.

الفصل العشرون: في مقام السماء

إذا غلب على العارف الصبر في أحكام الله يتشعشع في أنوار العبودية على وجههم ولا يراها إلا ناظر بالحق، ألا ترى كيف قال سبحانه لحبيبه في وصف أحبابه: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ [البَقَرَة: ٢٧٣]، والسيماء سيماآن؛ سيماء العبودية في البداية وسيماء الربوبية في النهايات.

الفصل الحادي والعشرون: في مقام الخطأ

الخطأ عَثرة أهل الصفات من غلبة العشق وهي خطرات حب الالتباس في مشاهدة الربوبية لذلك قال أهل الكمال: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦]، لكن هو مرفوع عنهم لصدق ثباتهم في المحبة والمعرفة، لذلك قال عليه السلام: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما توسوست به صدورهم»[1] قال العارف قدّس الله روحه: الخطأ تبين النكرة لزوائد المعرفة والندم على ذلك من جهالة الطبعِ بأحكامِ المعرفة.

---

(١) الحديث بشقه الأول: «رُفع عن أمتي الخطأ والنسيان»أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (١٣٩٣) [١/ ٥٢٢] أما في شطره الثاني: «وما توسوست به صدورهم» فلم أجده.

www.alkottob.com

الفصل الثاني والعشرون: في مقام الرسوخ

الرسوخ هو الوقوف على مشكل علوم المتشابهات والعلوم المجهولة وثباتها على حسن الفصاحة بالألسنة، قال تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عِمرَان: ٧]، قال العارف قدّس الله روحه: الرسوخ معدن تجلي الصفات في المتشابهات.

الفصل الثالث والعشرون: في مقام النزول

هذا من أعظم المتشابهات وهو ظهور الألوهية في لباس النكرة لمزيد القرب وسلب فؤاد المشتاقين والعاشقين، قال عليه السلام: «ينزل الله في كل ليلة»[١]، وقال العارف قدّس الله روحه: النزول إقبال جمال القدم على قلوب عشاقه بنعت المعاينة لا بنعت الانتقال.

الفصل الرابع والعشرون: في مقام الأسحار

وهناك يظهر الحق في لباس الملك يتجلى بخاصية النزول في الأسحار، وهناك من مرآة الفعل وربما يكون الكشف الصرف بغير الالتباس فإذا بلغوا إلى الرتبة الأعلى استغفروا من تقصيرهم في إدراك المعرفة في مقام النكرة، قال تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريَات: ١٨]، قال العارف قدّس الله روحه: تستنشق الأرواح نسيم نفحات الوصال في الأسحار.

الفصل الخامس والعشرون: في مقام شهادة الحق على نفسه

إذا برز سناء العزة اضمحل الكون ولم يبقَ أثر الحدثان في جناب الرحمٰن يتعزز بكبريائه ويحضر نقباء قربه ويظهر نفسه لهم ويشهد بأزليته وجلال قدمه ويفنيهم بعظمته ويبقيهم ببقائه، والغرض في ذلك إلباس أنوار جمال وحدانيته إياهم بجلوة جلاله لهم، قال سبحانه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عِمرَان: ١٨]، قال العارف قدّس الله روحه: موضع شهادة الحق على نفسه القدم وظهور مقتضى العدم فإذا ظهرت شهادته اضمحلت الأكوان والحدثان ولا يبقى إلا من شهد بالحق وأجاب الشهادة بالحق حيث قال تعالى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعرَاف: ١٧٢].

---

(١) هذا اللفظ لم أجده إنما ورد معناه بألفاظ أخرى منها ما رواه مسلم في صحيحه باب في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء، حديث رقم (٧٥٨) [١/٥٢١] ورواه غيره.

www.alkottob.com

الفصل السادس والعشرون: في مقام المحادثة

مقام المحادثة مقام الوصل أن الله سبحانه يخاطب النقباء بحديثه ويسمع حديثهم في شكواهم منه إليه، قال عليه السلام: «إن في أمتي محدثين ومكلمين وإن عمر منهم»[1]، قال العارف قدّس الله روحه: في المحادثة سقوط رفع الاحتشام.

الفصل السابع والعشرون: في مقام الهواتف

هاهنا هواتف الملائكة والجنّ وعرائس الملكوت من الحور والرضوان وسفرة القرب، وربما يكون الهواتف من الحيوان والسباع والأشجار والجبال، وربما يكون من هواتف أطيار الصفات وأفعال الخاصة، قال العارف قدّس الله روحه: هواتف الحق تنبّىء من حقائق المعرفة وتصحّح مقام الولاية.

الفصل الثامن والعشرون: في مقام سماع تسبيح الجبال

هذا المقام للأنبياء والنقباء والأصفياء وذلك حين ألبس الحق لسان الجبال أنوار عظمته فتدكّت من تأثير تجليه وخطابه، قال تعالى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ [سَبَإ: ١٠]، ولا يكون ذلك إلاّ في كمال العشق والأنس والتوحيد وشهود الغيب بسمع خاص، قال العارف قدّس الله روحه: سمعت من شيوخي أن الشيخ عبد الرحيم الإصْطَخْري وبعضاً من نظرائه أنه كان يسمع تسبيح الجبال، قال العارف: تسبيح الجبال ثناء الحق على نفسه بلسان الكون.

الفصل التاسع والعشرون: في مقام الحياة الطيبة

إذا انفرد الروح من أسرار الامتحان وتخلص من أثقال العبودية تصل إليها أنوار حياة الحق بنعت التجلي وتطيب حياتها بحياته ويطيب عيشها بمشاهدته ولا تبقى لها عيش في الظاهر إلاّ بأصوات طيبة ورائحة طيبة ولباس ذي جمال ومشاهدة المستحسنات في جميع الأوقات والرقص والسماع والفرح بوجه الله وإجزاء الأنفاس في طلب الوصال والحسن والجمال، قال تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، قال العارف قدّس الله روحه: الحياة الطيبة دوام ظهور المشاهدة.

---

(١) هذا الأثر لم يرد بهذا اللفظ إنما أورده القنوجي في أبجد العلوم بلفظ: «إن في هذه الأمة محدثين وإن منهم عمر».

www.alkottob.com

الفصل الثلاثون: في مقام الهدوء

إذا استأنس بالحق هذا وسكن في الوجد وصحا من السكر واطمأن في التوحيد. قال العارف قدّس الله روحه: الهدوء سكون السر في مقام الأنس بمشاهدة الجمال.

الفصل الحادي والثلاثون: في مقام لباس الهيبة على العارف

إذا تجلّى الحق سبحانه من عين عظمته لروح العارف تترشح أنوار الجلال عن جميع وجوده ويتناثر نور هيبة الله عن وجهه وذلك لباس الهيبة ألبسه الحق نقباء أوليائه، قال العارف قدّس الله روحه: لباس الهيبة لا يحصل إلا لمن عاين له الحق بالعظمة والكبرياء وشعاره في العبودية ترك مراده لمراد الحق.

الفصل الثاني والثلاثون: في تربية الخاص

إذا كمل في الوليّ لطفه وعطفه قلّبه في كنف جماله وحِجر وصاله في كل لمحة حتى لا يستوحش بوقوفه في مقامه، ألا ترى كيف وصف أصحاب الكهف بقوله: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٨] أي نقلبهم ذات يمين القدم وذات شمال الأبد بذاته وصفاته لا بواسطة الغير، قال العارف قدّس الله روحه: التربية الخاصة مباشرة صرف تجلي الذات والصفات.

الفصل الثالث والثلاثون: في مقام نسيان حال الصحو في السكر

إذا غلب عليه سكر التوحيد وسكر البسط والانبساط وسكر الوصل والجمال ينسى ما جرى عليه من أحكام الربوبية والعبودية وهناك أيضاً تربية الخاص ليسهل عليه السير في الآزال والآباد ولا يثقل عليه أوقات كشف الألوهية، قال تعالى في وصفهم حين نسوا حال الصحو والسكر وإدراكهم بعد ذلك في الصحو قالوا: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف: ١٩]، قال العارف قدّس الله روحه: نسيان حال الصحو في السكر والسكر في الصحو الغيبة في شهود حسن الله وجماله.

الفصل الرابع والثلاثون: في مقام اللبث في الغيبة

هذا نوع من تلطّف الحق على عشّاقه حين تركهم في حجر وصاله لأنه عشق بهم كأنهم عشقوا به وليرينهم في كشف أنسه بروح مشاهدة جماله وليرينهم كنوز لطائف أسرار ذاته وصفاته، قال سبحانه في حق أصحاب الكهف: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ﴾ [الكهف: ٢٥]، قال العارف قدّس الله روحه: اللبث في الحال والوجد والغيبة من استئناس الروح بروح الملكوت.

www.alkottob.com

الفصل الخامس والثلاثون: في مقام الغضّ

إذا شاهد العارف جمال الحق استأنس به وهو غير ممتحن بالمكر فكلما ظهر له شيء من الملكوت يغضّ طرفه عنه لأن عينيه مملوءتان من الحق فلا يبقى فيهما موضع الحدثان، ألا ترى كيف غضّ بصره سيد المشاهدين عليه السلام حيث وصفه الحق بقوله: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ⑰﴾ [النّجم: ١٧]، وقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النُور: ٣٠]، قال العارف قدّس الله روحه: غضّ طرف السر عن رؤية غير الله وصف العارفين بقدم الله وبقائه.

الفصل السادس والثلاثون: في رؤية سجود الكون

كل ما خلق الله من العرش إلى الثرى يسجد لله في كل وقت لكن إذا بدا للعارف أنوار التوحيد وانفتح عين سره بمشاهدة عزة القدم يرى سجوده في أحيان كشف العظمة فيريد في ذلك الوقت له إجلال الله، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النّحل: ٤٩]، قال العارف قدّس الله روحه: رؤية سجود الكون لا يكون للشاهد العارف إلاّ عند ظهور أنوار قدم الحق لعين روحه.

الفصل السابع والثلاثون: في مقام تحية الملائكة للعارف

إذا ألبس الحق سبحانه العارف لباس عظمته وكبريائه وجماله وجلاله خلق صورته على نقوش الروح وزيّن ظاهره وباطنه بنور التخلق والاتصاف والاتحاد، ويتجلى منه بنعت الجمال للعالم والعالمين، يتواضع له كل شيء وتحييه الملائكة كتحيتهم لآدم، قال تعالى: ﴿ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ﴾ [البَقَرَة: ٣٤]، قال العارف قدّس الله روحه: الولي عروس الحق يستأنس بجماله أهل الملكوت من الملائكة والأرواح.

الفصل الثامن والثلاثون: في مقام رؤية الخضر وإلياس عليهما السلام

إذا بلغ الولي إلى درجة النقباء لا يغيب عنه الخضر وإلياس ويستأنس بهما ويتعلم منهما العلوم اللدنية وذلك حين لا يجري عليه شيء من المخالفة. وما رأيتهما ظاهراً بعلمي ويمكن رأيتهما لكن ما علمت بمكانهما وكثيراً رأيتهما في الكشف وكلّماني ورقصا معي، ولا أحصي عدد رؤيتهما في مقام الكشف ورزقنا الله رؤيتهما وصحبتهما ظاهراً، قال العارف قدّس الله روحه: هما يأتيان الزهاد والعباد لتعليمهم آداب الطريق ولا يأتيان إلى المستهترين من العشاق المتهتكين أستار الأدب.

www.alkottob.com

الفصل التاسع والثلاثون: في مقام معرفة أقدار الناس

إذا عرَّف الله سبحانه نفسه لعبد من عباده عرف نفسه بنفسه وعرف بنفسه جميع الخلائق من الكافر والمؤمن بعد أن يرى منازلهم في الحضرة وهذا من العلوم المجهولة، ألا ترى كيف عرف الخضر عليه السلام الغلام الذي قتله وعرف أبويه. كقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ [الكهف: ٨٠]، قال العارف قدّس الله روحه: معرفة أقدار الناس لا تكون حتى تكون عين السر مكحولة بنور حكمة الله وعلمه.

الفصل الأربعون: في مقام التصرف في الملك

إذا صار العبد مراد الله يكون الحق مراده فيتصرف في ملكه بمراده لأن مراده مراد الله وذلك التصرف كتصرف الخضر في كسر السفينة وقتل الغلام، وكقوله في بعض الحديث: «لو سألوا زوال الدنيا لأزلتها»[1]، قال العارف قدّس الله روحه: لا يكون هذا المقام للعارف حتى تكون يده يد الحق في القدرة والتصرف، كقوله: «كنت له سمعاً وبصراً ولساناً ويداً».

الفصل الحادي والأربعون: في مقام الهوية

إذا ظهر أنوار هوية الحق يغيب العارف في غيب الهوية ويبقى في مشاهدة الهوية حتى يفنى في الهوية ثم يبقى بالهوية ويكون في الهوية بالهوية هو هو بنعت الاتصاف والاتحاد، وهذا المقام في بيان حديث المحبة بقوله: «كنت له سمعاً وبصراً ولساناً ويداً»[2]، وبقوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، ولقول العاشق: أنا من أهوى ومن أهوى أنا، قال العارف قدّس الله روحه: مقام الهوية رؤية غيب الغيب حتى يكون غيباً في غيب.

الفصل الثاني والأربعون: في مقام النداء الخفي

النداء الخفي موضع الحزن والهم والغم والشكوى والانكسار وطلب السؤال والمأمول وهو نداء السر في طلب المراد، قال تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾ [مريم: ٣]، وقال العارف قدّس الله روحه: النداء الخفي نداء السر بلسان الغيب لطلب المراد.

---

(١) هو من كلام ذي النون المصري رواه البيهقي في كتاب الزهد الكبير، فصل في الاجتهاد في الطاعة. . ، حديث رقم (٧٠١) والأصبهاني في حلية الأولياء [٩/ ٣٩٤].

(٢) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

الفصل الثالث والأربعون: في مقام رؤية الملك بصورة الآدمي

المقام للرسول والأنبياء والأولياء في نادر الحكم وذلك حين باطنه وظاهره يكونان مستويين في صفاء الذكر ويرى بعين الظاهر ما يرى بعين السر، قال تعالى في وصف الصديقة مريم عليها السلام في رؤية جبرائيل عليه السلام: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريَم: ١٧]، قال العارف قدّس الله روحه: رؤية الملك بصورة الآدمي لبقاء استئناس الروح بروح المقامات ولو كان على غير صورة الآدمي لشوّش مقام الأنس.

الفصل الرابع والأربعون: في مقام تمني الفناء

هذا مقام الحياء وذلك عند جريان أحكام الامتحان عليه ورؤية الحق بنعت القدم وشهود النكرة والبقاء في النكرة؛ الأول ما قالت مريم في قول الله: ﴿يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريَم: ٢٣]، والثاني قول النبي ﷺ: «ليت رب محمد لم يخلق محمداً»[1]، قال العارف قدّس الله روحه: تمني الفناء من كمال الحياء في رؤية القدم والبقاء.

الفصل الخامس والأربعون: في مقام إبطاء المكاشفة للعارف

هذا لزيادة التربية وإذابة الروح في الحزن وانقطاع النفس عن مألوفات الطبيعة ولمزيد الاشتياق وللسرعة في الاشتياق، لذلك سلّى قلب نبيه ﷺ بقوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضحى: ٣]، قال العارف قدّس الله روحه: إبطاء المكاشفة محض الاستتار ويكون بعد ذلك التجلي والتدلي بالبديهة.

الفصل السادس والأربعون: في مقام القبول بنعت المحبة بين الناس

إذا جعل الله عبده مرآة جماله ويبرز من وجهه أنوار مشاهدته يكون بين الناس محبوباً مقبولاً ويبقى مؤدبه أبداً في قبول الحق ليس ذلك كحال المرائين الذين قبولهم من جهة الجاه الدنياوي لأن الأولياء والنقباء بقوا في زكيات الأعمال بخلاف أهل الناموس، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ۝٩٦﴾ [مريَم: ٩٦]، وفي الحديث: «إذا أحبّ الله عبداً أمر جبرائيل أن ينادي في السموات والأرض: إنّ الله يحب فلاناً فأحبوه»[2] الحديث، قال العارف قدّس الله روحه:

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، باب ذكر الملائكة. .، حديث رقم (٣٠٣٧) [٣/ ١١٧٥] ومسلم في صحيحه، باب إذا أحبّ الله عبداً، حديث رقم (٢٦٣٦) [٤/ ٢٠٣٠] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

حقيقة القبول من الخلق لا يكون إلا بعد خلوص العبد في محبة الله وإخلاصه في طاعته.

الفصل السابع والأربعون: في مقام يكون العارف فيه مردوداً بين الناس

هذا إذا كان له فوق معرفة الناس ويكون حاله حال النكرات وأفعاله من عالم العلم المجهول؛ قال العارف: هذا مقام الالتباس بالقهريات.

الفصل الثامن والأربعون: في مقام تسمية الله العارف باسمه ودعوته بغتة

هذا من تلطّف الحق سبحانه حين دعاه باسمه ويقول بالبغتة: يا روزبهان حتى ينتبه من خمار سكر الأحوال والغيبة في الغيب وإخراجه من الفناء في رؤية الأحدية أو يحضر من ممكن الامتحان أو يشتاق إليه ويدعوه أو يشتاق العارف إليه فيدعوه، وهذا بعد الرؤية والوصال وعظائم الكشوفات، قال العارف قدّس الله روحه: كنت في زمان الإرادة في الخلوة يوماً من الأيام فناداني وسمّاني باسمي سبعين مرّة وكان بين كل دعوة ودعوة كشف وعيان وبيان وغيب واستتار وتجلٍّ وتدلٍّ ودنو وسمو وسلو.

الفصل التاسع والأربعون: في مقام تسمية العارف باسمه الأعظم

إذا اتّصف العارف بجميع الأسماء والنعوت والصفات واتحد بأنوار الذات، وكان عروس الله في جمال الأنس، وكان قدوسياً في القدس، سمّاه الحق باسمه الأعظم كما سمّى نفسه باسمه الأعظم، وهذا من كمال حب الله إياه، ألا ترى استباق اسم محمد ﷺ من اسمه، ميمه من محبته وحاؤه من حياته وداله من ديموميته وأبديته، قال العارف قدّس الله روحه: هذا مقام الاصطفائية الخاصة في الشوق والمحبة من الله للعبد.

الفصل الخمسون: في مقام رفع العبادة الكثيرة عن المحب

إذا صفا الحال وكثر الوجد واستتار السر واستقامت المحبة وصار وجوده ذكراً ودام حضوره وشهوده وصفا اليقين عن الخطرات وكان روحه في وطنات المشاهدة وبقي في الأنس وشاهد الحق بالحق، رفع عنه المجاهدات والرياضات والعبادات الكثيرة حتى لا يثقل عليه برحاء الحال ولا يتكدّر عليه صفو الوجد، ألا ترى كيف رفع هذه الأثقال عن حبيبه بقوله: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ [طه: ١، ٢]، قال العارف قدّس الله روحه: إذا دام الشهود سقط عنه كلفة التكلف.

www.alkottob.com

الباب الرابع عشر
في مقامات الأصفياء وفيه خمسون فصلاً

الفصل الأول: في رؤية النور في النار

وذلك إذا تجلّى الحق سبحانه من أنوار الصفات ثم تجلّى من الصفات في الأفعال ثم تجلّى من الأفعال لأبصار الأصفياء من الشجر والحجر والجبل حتى يستأنسوا بالحق ويرونه في لباس الملك والعقل ويعرفونه في حقيقة الالتباس، قال تعالى: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ [طه: ١٠]، قال العارف قدّس الله روحه: رؤية النار داعية الأنس.

الفصل الثاني: دخول الحضرة بغير الإذن

هذا المقام من سر الانبساط وصولة الحال والتمكين في المعرفة وهو فوق مقام الملك وصف الله كليمه بذلك بقوله: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ [القَصَص: ٢٩]، قال العارف قدّس الله روحه: دخول الحضرة بغير الإذن لمن اصطفاه الله بمقام السلطنة والعربدة والأنس.

الفصل الثالث: في مقام الخبر عن الأحوال بلا إذن

إذا عرف الصفيّ أنه مراد الله في العالم خلقه لموضع نظره وجعله مرآة لمشاهدته ورحمة لعباده وبلاده يستقل بداية في جميع أحواله يعرف في الأحكام على رؤية الانبساط ويخبر عن مكاشفته ومقاماته بين يدي الله سبحانه وتعالى وهو لا يضر به وهو غير مأخوذ به لأن الحق يرضى عنه وهو تعالى مريد مراده، قال العارف قدّس الله روحه: هذا المقام مقام المستهترين بذكره ومشاهدته.

الفصل الرابع: في مقام الجرأة في إسقاط الأدب

إذا سكر بجمال وجه الحق ورأى فرج أبواب غيب الذات والصفات منفتحة له ارتفع عنه حجاب الاحتشام وسقط عنه رسوم الأدب وهو مجترى به بأنه يخرج من

www.alkottob.com

رسوم الأدب وهو غير مأخوذ به، إذا صار حاله على نعت الاستدامة ووقته على وصف السرمدية بل يزيد قربه ووصاله لأن الأزل اختاره بأن يوصله إلى بطون جلال الغيب بأنوار العشق لا بوسيلة أخرى، قال عليه السلام: «من أحبه الله لم يضره ذنب»[١] قال العارف قدّس الله روحه: الجرأة في إسقاط الأدب لا تكون إلا بمعرفة حب الله إيّاه وإدراك سر الاصطفائية.

الفصل الخامس: في مقام الانسلاخ عن الحدثان

إذا دنا الصفي من القدس ومشاهدة الوحدة يتهافت عنه غبار الحدثان ويصير مجرداً بغير الكلفة عن الوجود في مشاهدة الموجود القديم وهذا من مقام الوحدانية، قال تعالى لكليمه في هذا المقام: ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾ [طه: ١٢]، قال العارف قدّس الله روحه: إذا استنار سر الصفي بنور مشاهدة القدم صار منسلخاً من علة الحوادث.

الفصل السادس: في مقام سماع ثناء الحق عليه

هذا إذا كان مقيماً في مقام التوحيد سيّاراً في التجريد سالكاً في التفريد فانياً في الوحدة باقياً بالجمال مستقيماً في العشق والمعرفة، فإذا بلغ إلى أركان قاف الكبرياء ولا يفنى ويبقى ببقاء الحق يثني عليه الحق سبحانه ويصفه بالرجولية الحقيقية ويقول: أيها الملك! أيها العزيز! لا يكون في ملكي مثلك، ألا ترى كيف أثنى على حبيبه بقوله: «لعمرك ولولاك لما خلقت الكون»[٢]، قال العارف قدّس الله روحه: بثناء الحق عليه تزيد رغبته في الفناء في عظمة الحق وجلاله.

الفصل السابع: في مقام سؤال الحق وحلّ العقد لا من العبد بنعت إعلامه مراده

إذا خفي على العارف مقام من أسرار الحق وأراد الله أن يبلغه إليه حتى يعرف كرامات الحق وما لديه من فضائل القربات، يسأل الله عنه من ذلك السر المخفي حتى يعرف ذلك ويطلب منه بنعت الرغائب والشوق، ألا ترى كيف قال سبحانه لموسى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [طه: ١٧]، أعلمه بذلك سر الثعبانية وأنواع كراماته فيها، قال العارف قدّس الله روحه: هذا إذا كان الصفيّ مختاراً بكمال المحبة.

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٢) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

الفصل الثامن: في مقام إخفاء اليد والرجل في المراقبة

إذا كان العبد في مقام الإجلال والحياء والمراقبة فإن الله سبحانه يراقبه، فإذا رأى منه ترك أدب بحيث تبدو يده أو رجله في الخلوة، لا يستحسن منه ويعلمه حقيقة الإجلال والحياء ليزيد حاله في مقام الحرمة، ألا ترى كيف قال لكليمه عليه السلام: ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ﴾ [القَصَص: ٣٢]، قال العارف قدّس الله روحه: هذا المقام يوجب الانبساط بعد ذلك.

الفصل التاسع: في مقام حلّ العقد من لسان العارف

إذا انشرح صدره بسناء مشاهدة الجمال وملىء قلبه من نور المعرفة وعقله من نور التوفيق وروحه من نور البسط وسره من ضياء القلب تسري هذه الأحوال في جميع وجوده وترفع عنه أثقال البشرية والطبيعة وترفع عن لسانه عقدة الإنسانية فيصير فصيحاً في شرح الأحوال يتكلم بجميع الأسرار على لسان الأنوار، انظر كيف سأل موسى هذه الأحوال الشريفة بقوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾﴾ [طه: الآيات ٢٥-٢٧]، قال عليه السلام: «جمال المرء فصاحة لسانه»[١] قال العارف قدّس الله روحه: إذا تكلّم بالحق يقدر أن يتكلّم بكلّ أسرار مكتومة بإشارات لطيفة وفصاحات غريبة.

الفصل العاشر: في مقام الاصطناع

إذا اصطفى الحق سبحانه عبداً واصطنعه لنفسه صار موضع سره وولايته ووحيه وإلهامه وموضع كراماته ورحمة لخلقه، ويكون سبباً للهداية من الضلال لأنه مكتسٍ بلباس نور القرب منوراً بسناء مشاهدة الحق فهناك يدعو الخلق إلى طريق الحق، انظر إذا كان الكليم وأخوه عليهما السلام بهذه المراتب مخصوصين كيف أمرهما الحق بدعوة عباده إليه بقوله: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ [طه: ٤١]﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى﴾ [طه: ٤٢]، قال العارف قدّس الله روحه: مقام الاصطناع ظهور أنوار الصفات في الفطرة بنعت المباشرة كآدم عليه السلام بقوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥] ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحِجر: ٢٩].

---

(١) أورده أبو الوفا الحلبي الطرابلسي في الكشف الحثيث باب الهمزة [١/٤٩].

www.alkottob.com

الفصل الحادي عشر: في مقام رؤية المخايل

إن الله تعالى إذا أراد أن يعرف العارف لطائف المكاشفات وحقائق المشاهدات يريه في البدايات طرف الخيالات ويبرز منها الأفعال المجهولة ليقف على أسرار الفعل ويعرف أشكال المخيلات من المكاشفات الملكوتية، قال تعال: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦]، قال العارف قدّس الله روحه: لو يبصر الشاهد بعين الحق في المخايل يرى فيها لطائف الأفعال القهريات.

الفصل الثاني عشر: في مقام الخوف من رؤية الآيات

إذا ظهر الحق بنعت العظمة في الآيات يفزع العارف من رؤية الآيات ويحق له ذلك لأنه يخاف من الحق في رؤية عظمته وسطوات أحديته وصولة كبريائه لا من غيره، ألا ترى كيف فرّ موسى من عصاه إذ التبست العظمة بها حيث قال سبحانه: ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ [النمل: ١٠]، وقال: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ [طه: ٢١]، لا سيّما أنه يفزع من رؤية مخايل السحرة بقوله: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً﴾ [طه: ٦٧]، لكن له عذر لأن السحر في الحقيقة تحقيق آيات الله فأيضاً فزع من الحق لا من الغير، قال العارف قدّس الله روحه: الخوف من رؤية الآيات مقام لطائف الصفاء وغلبة الأنس على الروح، فإذا صار شاهد القدم والبقاء لا يؤثر فيه رؤية أشكال الآيات.

الفصل الثالث عشر: في مقام الخوف بعد الأمن

إذا سكن في مقام الأنس وعرف مقام الأمن وأمن من القهر باللطف ودام، ثم رأى أعلام أنوار العظمة والكبرياء في لباس الآيات، يفزع أيضاً منها وإن كان عارفاً بمقام الأمن لأن المعاينة تزيل أحكام الخبر، وما مضى من مقام قبل ذلك، فإن المباشرة تفني الأسرار في الحال ولأن العظمة والكبرياء لا نهاية لها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْآمِنِينَ﴾ [القَصَص: ٣١]، قال العارف قدّس الله روحه: الخوف بعد الأمن معارضة النفس وظهور أسرار غلبة الربوبية على العزائم.

الفصل الرابع عشر: في مقام المعارضة بعد المكاشفة

إذا عاينت الحقيقة أزالت عن قلب العارف ظلم معارضة النفس ولا يبقى في خاطره لسان الوساوس، فإذا خفي نور الغيب في الغيب تأتي النفس ويعارض السر وهذا من امتحان الله حتى يعرّف عارفه تحقيق المعارف والكواشف وغيوب النفس ولا يخلو أحد من هذا المقام وإن كان نبياً مرسلاً، ألا ترى كيف قال موسى عليه السلام

www.alkottob.com

بعد الكشف والخطاب ورؤية الأنوار في الشجرة وصحة بيان القرب والرسالة والنبوة: ﴿إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ [القَصَص: ٣٣]، بعد قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ [القَصَص: ٣١] وقوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، قال العارف قدّس الله روحه: معارضة النفس امتحان الحق وهذا أعظم بلايا العارفين.

الفصل الخامس عشر: في مقام العصيان بعد الاصطفائية

إذا أراد الحق سبحانه أن يعرّفه لطائف القهريات لينال بمباشرتها العلم بنكرات الصفات والذات يكون فانياً تحت سبحات الجلال بنعت الاحتشام، ويكون أيضاً بعد ذلك عارفاً بمكريات القديم، قال تعالى: ﴿وَعَصَىٰ ءَادَمُ﴾ [طه: ١٢١]، قال العارف قدّس الله روحه: لم يوثر العصيان في الاصطفائية بل يزيد في القربة.

الفصل السادس عشر: في مقام معرفة الخطاب والفرق بين لمّة الملك ولمّة الشيطان وحديث النفس

هذا المقام لا يكون حتى أسرج الحق سبحانه في قلب العارف سراجاً من أنوار سرج صفاته وذاته، فيرى بذلك أحكام المغيبات، ويعرف بذوق خطاب الحق خطاب العدو، ويعرفه الله خطاب الملك بانشراح النور في سره، وتضوع رائحة الغيب من أنفاس الملك، ويعرف خطابه بذوب الروح في لذته وهيجان الشوق إلى لقائه، ويعرف حديث النفس بتحرك البشرية وانتشار الشهوة، ويعرف له لمّة الشيطان بيد الظلمة في مكان القلب فيعرف بنور الحق وخطاب الحق علل الخطابات، قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الزُّمَر: ٢٢]، وقال عليه السلام: «للملك لمّة وللشيطان لمّة، فأما لمّة الملك فإيعاد بالخير، وأما لمّة الشيطان فإيعاد بالشر»[١]، قال العارف قدّس الله روحه: معرفة الخطابات الباطنية لا تكون إلا بعد المعرفة بالله ورؤية مشاهدته وسماع خطاباته وهذا من أعظم مقامات الأصفياء وهاهنا مزلات القدم وفيه يظهر فضائل أهل الفضل من أئمة المعرفة.

الفصل السابع عشر: في مقام العبادة بلا فترة

إذا صفا سره ودام قلبه في صفاء الذكر وغاص روحه في بحر المحبة وارتفع عنه ثقل النفس دامت عبادته عليه إلى حد الكمال لأنه صار روحانياً ملكوتياً ربانياً،

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

ملكيّ الطبع نبويّ الحال، عبادته شوق وحركاته وجد وعبوديته عرفان الربوبية وبهذا وصف الله الملائكة المقربين بقوله: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾ [الأنبياء: ٢٠]، قال العارف قدّس الله روحه: إذا كان العبد في مقام رؤية الجمال بنعت المحبة سهل عليه العبودية ولا يضر به دوامها لأنه في صفاء الوجد.

الفصل الثامن عشر: في مقام الرشد الأول

إن الله سبحانه إذا اصطفى عبداً بمحبته وخلته عجز سره وفطرته بنور غيبه ثم يصفيه بنور جماله ويربيه في حجر وصاله ويكلمه بلطفه وينقش عليه نقوش أنوار صفاته فينمو ويعلو أبداً إلى معادن القربات ومداناة المشاهدات بلا علّة الاكتساب، قال تعالى في وصف خليله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [الأنبياء: ٥١]، قال العارف قدّس الله روحه: الرشد الأول ظهور نور القدم للروح الناطقة فعرفت مكانها في أماكن الغيب وطلبت معدنها أبد الأبد بلا فترة ولا وحشة.

الفصل التاسع عشر: في مقام تسخير النار له

هذا مقام من مقامات الكرامات وذلك أنه إذا استقام في العبودية، ومراد الله أحسن من ذلك أن ألبسه الله لباس العظمة والكبرياء لا تؤثر عليه نيران جهنم فكيف نار الدنيا، ألا ترى كيف تقول جهنم: «جز يا مؤمن فإن نورك أطفأ لهبي»[1] وقال في وصف الخليل: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾ [الأنبياء: ٦٩]، قال العارف قدّس الله روحه: إذا كان الصفي في زمان الوله لا تحرقه النار ولا يغرقه الماء.

الفصل العشرون: في مقام الفهم الخاص

إذا عرف الحق سبحانه ووقع بصره على حقائق الأحكام الغيبية يرى حقيقة الأشياء بماهيتها بنور يصدر من الأنوار الخاصة الصفائية، قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، قال العارف قدّس الله روحه: الفهم الخاص ما فهم من الإلهام الخاص الذي بلا واسطة الملك.

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير من حديث خالد بن الدريك عن يعلى برقم (٦٦٨) [٢٢/ ٢٥٨] والديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، حديث رقم (٢٣٦٥) [٢/ ٦٥] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

الفصل الحادي والعشرون: في مقام تسبيح الطير وجميع الأشياء معه

إن العاشق إذا عشق جمال الحق وغلب عليه شوقه يترنم بألحان الذكر والثناء من كمال الصبابة وافقه الأطيار والأشجار والأحجار في الذكر والتسبيح ويفهم سره تلك الأكوان معرفة الرحمٰن، قال تعالى في حق داود: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ [سَبَإ: ١٠] وقال في حق سليمان: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ [النَّمل: ١٦]، قال العارف قدّس الله روحه: يفهم بصفة الله تعالى مناطق كل مسبّح لله حين شاهد الحق بوصف الشوق.

الفصل الثاني والعشرون: في مقام النهي عن الكلام والخطاب عند مسابقة الجرم

هذا مقام الحياء والإجلال يقتضي مباشرة الجرم مع الندم والحياء والسكوت والخرس عند العذر باللسان ويزجره زاجر الحق عنه حتى يحيي أوقات القبول، قال العارف قدّس الله روحه: ينقطع لسان المخاطبة عند رؤية الجرم وذلك أن خاطر الحق منعه عن العذر باللسان.

الفصل الثالث والعشرون: في مقام إخفاء الولاية إلا أن يكون ظاهراً من غير اختيار الولي الصادق

إذا كان مراد الحق ومحبوبه لا يريد أن يطلع عليه وعلى حاله أحد لأنه غيور إلى أهل خالصته من الأصفياء، قال تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النُّور: ٣١]، أمرهم بكتمان الولاية والحال، فإذا كان ظاهراً بغير اختياره صار معذوراً، قال العارف قدّس الله روحه: كتمان الولاية العلم بغيرة الله.

الفصل الرابع والعشرون: في مقام سؤال المعشوق عن عاشقه بأن يراه بعد أن عرض عليه

هذا إذا كان المعشوق عاشقاً على عاشقه ويريد أن يزيد عشقه وتعرض نفسه عليه إذا يبدو له حسن وزينة، والحق تعالى منزّه عن البداء لكن يريد أن يظهر على محبه ما يخفى عنه من جلال صفاته وأنوار ذاته ومجموع مراده، ما في ذلك قوله تعالى لحبيبه عليه السلام: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الفُرقان: ٤٥]، قال العارف قدّس الله روحه: عرض الحق تعالى نفسه لا يكون إلا في نهاية العشق.

www.alkottob.com

الفصل الخامس والعشرون: في مقام الليل

الليل موضع السير ومقام الأنس والخلوة والمكاشفة والمناجاة والمسامرة والمعراج ولا يسهل القيام فيه إلا لمن له هذه المقامات، قال تعالى: ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً﴾ [الإسرَاء: ٧٩]، قال العارف: بالسهر في أجواف الليالي وجدنا طرف المقامات والمكاشفات.

الفصل السادس والعشرون: في مقام التقلب

إن الله تعالى خلق أرواح الأصفياء في هواء من أنوار القدرة وألبسها أجنحة المعرفة وطيّرها بشمال المحبة من عالم القدم إلى معارج الأبد وقلبها في سناء الصفات وسبحات الذات ففي كل لحظة لها تقلب في مشاهدة الآزال والآباد، ولتلك الأرواح مطايا من القلوب في مرابط الصور الإنسانية تحملها إلى عالم العبودية لإلزام سمات الخضوع عليها لذلك قال سبحانه لحبيبه ﷺ: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩﴾ [الشُّعَرَاء: ٢١٩]، قال العارف قدّس الله روحه: التقلب للقلوب في عالم الغيوب.

الفصل السابع والعشرون: في مقام العلم بمنطق الطير

علّم كيفية منطق الطير للأنبياء والعلم بفحواه للأصفياء وليس يستحيل أنهم علموا كيفيته وذلك حين رفع الله حجاب الطبيعة عن الروح القدسية فيعلم كل شيء كما يعلم في الجنة لأن هناك ليس بمقام الجهل، قال تعالى حاكياً عن سليمان عليه السلام: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ [النَّمل: ١٦]، قال العارف قدّس الله روحه: إذا ألبس الحق سبحانه الولي الصفي أنوار الربوبية يعلم الأشياء بحقائقها.

الفصل الثامن والعشرون: في مقام العبد الحائر إذا سجد إلى جميع الجهات

إذا بدا أنوار سلطان الكبرياء والعظمة والجلال والجمال بنعت الكشف من كل أفعال العارف يغلب بقلبه غلبة السكر ويسجد إلى كل جهة، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١١٥]، وقال عليه السلام: «جاء الله من سينا واستعلن بساعير وأشرق من جبال فاران»، قال العارف قدّس الله روحه: شهود الحق على أفعاله يقتضي للسكران السجود إلى جميع الجهات.

www.alkottob.com

الفصل التاسع والعشرون: في مقام إجابة المضطر

كمال الشوق إلى مشاهدة الجمال والوصال موجب الاضطرار في العشق وإذا كان مضطراً بهذه الصفة ويدعو الله يجيب دعوته لعلمه بحاله وولهه وهيمانه وكمال شوقه إليه، وكذلك إذا كان مضطراً في كل معنى، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ﴾ [النَّمل: ٦٢]، قال العارف قدّس الله روحه: إذا أوقع الحق على العارف الاضطرار ففي كل ما يتكلم به فهو الاسم الأعظم يكون كقوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [الأنعَام: ٧٣].

الفصل الثلاثون: في مقام السكون عن الوجد والهيجان

إذا بدّل السكر بالصحو والتلوين بالتمكين والوحشة بالأنس والاضطراب بالطمأنينة واستقام في المعرفة، تجري عليه طوارق الواردات بنعت الأنس والسكون، قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النَّمل: ٨٨]، قال العارف قدّس الله روحه: السكون في الوجد من أمارات كشوف البقاء.

الفصل الحادي والثلاثون: في مقام جفاف البكاء

إذا شاهد عين القدم وغلب على روحه أنوار الكبرياء وتحترق في نيران العظمة والعزة فتجفّ عيون عرق الأنس ولا يجري من قلبه على سيل الدمع عرقه الذي هو البكاء لأن القلب والروح إذا احترقا بنيران الوحدة ونور العزة لم يبقَ فيهما العرق الذي يسيل عن العين من الفرح والحزن، قال العارف قدّس الله روحه: جفاف البكاء من اضمحلال السر في رؤية الوحدة.

الفصل الثاني والثلاثون: في مقام سجود الشمس والقمر والنجوم للعارف

إذا ألبس الله سبحانه العارف أنوار لباس الربوبية سجد له كل شيء لأنه قبلة الله في ذلك الحال إما حقيقة وإما بمثال وإما ظاهراً وإما في النوم والمكاشفة، قال تعالى في قصة يوسف: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يُوسُف: ٤].

الفصل الثالث والثلاثون: في مقام الاقشعرار مع تلين الجلود والقلوب

إذا انكشفت براهين الملكوت وسلطان أنوار الجبروت للقلوب تضطرب الأسرار وتقشعر الجلود وتلين القلوب وتخضع الأرواح، وكذلك للمريدين في مقام أنوار

www.alkottob.com

المذكور، قال تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزُّمَر: ٢٣]، قال العارف قدّس الله روحه: هذا المقام للمريد من صولة الذكر وللعارف من صولة رؤية المذكور.

الفصل الرابع والثلاثون: في مقام رؤية الحق

إذا انقلع الكون بظهور عظمته هذا في أحيان التوحيد ورسوخ المعرفة، فإن الله سبحانه يظهر بوصف العظمة للعالم فتضمحل الأكوان والحدثان في سطوات عظمته ولا يرى ذلك إلا العارف الصفي لأن له في كل لحظة قيامة، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزُّمَر: ٦٧]، قال العارف قدّس الله روحه: من هاهنا يصل العارف إلى مقام رؤية القدم حين يظهر نوره في مباشرة القدرة.

الفصل الخامس والثلاثون: في مقام قتل العارف الغير من الغيرة

إذا رأى العارف الصفي الصديق مدعٍ يدعي محبة الله ومعرفته ويتكلم بلسان القوم وهو كاذب في ذلك يقتله بنظره إما بغتةً وإما بغير بغتة، قال عليه السلام: «الغيرة من الإيمان»[1]، قال العارف قدّس الله روحه: إذا غلب عليه عشق الوحدانية ويرى خاصية مقامه في الوحدة يقتل نظره كل مدعٍ كذاب.

الفصل السادس والثلاثون: في مقام الوصل بالمراد

إذا وصل إلى مراد الله وامتثل جميع مراده فيصير مراد الله ويفعل الله ما يريد مريده فيقول: افعل ما شئت فإن إرادتك إرادتي وفعلك فعلي، قال العارف قدّس الله روحه: هذا من مقام التصرف في المملكة ولا يكون ذلك إلا للمرادين.

الفصل السابع والثلاثون: في مقام رؤية الحق في نفسه وفي العالم هذا مقام عين الجمع

إذا شاهد أنوار الصفات في مرآة الكون ورأى أنوار الذات في نفسه فيبقى الحق لا غير، قال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فُصِّلَت: ٥٣]، قال العارف قدّس الله روحه: من هاهنا يظهر في العارف الأنانية.

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى، باب الرجل يتخذ الغلام والجارية المغنيين..، حديث رقم (٢٠٨١٢) والقضاعي في مسند الشهاب باب الغيرة من الإيمان، حديث رقم (١٥٤) [١/ ١٢٣]. ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

الفصل الثامن والثلاثون: في مقام البطش

إذا ظهر بوصف القهر يقلع السرائر ويفني الضمائر ويشوّش الخواطر ويظلم القلوب ويستر الأرواح فإذا سجا دجى القهريات تبدو فيها أعلام إصباح الوصال ويرى العارف بأنوارها أقمار الصفات وشموس الذات ويتطرّق من هذا إلى مقام الوصل والأنس، قال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢﴾ [البُرُوج: ١٢]، قال العارف قدّس الله روحه: بطشه هاهنا مباشرة صفة العظمة السر المفرد عن غير الله.

الفصل التاسع والثلاثون: في مقام معرفة المخاطب بلحن قوله

إذا نوّر الله عين الروح بنور الغيب تعرّفت على ممكنات ضمائر القلوب بلحن أقوالهم، قال تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ [محمَّد: ٣٠]، قال العارف قدّس الله روحه: هذا مقام تفرّس القلوب أماكن الغيوب.

الفصل الأربعون: في مقام رضى الله عن العبد وحبّه له

برهان هذا المقام أن يكون الصفيّ محفوظاً عن الخواطر والزلات وأنه تعالى يفعل ما يريد العبد منه، قال العارف قدّس الله روحه: إذا اتصف الصفيّ بنعت الرضى الأزلي يستحسن منه الحق ما يجري عليه من المقدورات، قال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المَائدة: ١١٩].

الفصل الحادي والأربعون: في مقام التقدّم

إذا كبر في المعرفة وعظم في التوحيد وكمل في العشق وصار سيداً يتقدم على كل أحد في زمانه ولا يجوز لأحد، لم يجد هذا المقام أن يتقدم على كل شيء، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١]، وقال عليه السلام: «المشي بين يدي الكبراء من الكبائر»[1]، وقال العارف قدّس الله روحه: التقدّم لأكابر المعرفة.

الفصل الثاني والأربعون: في مقام ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القَمَر: ٥٥]

إذا وصل العبد مقام الدنو وانشكف له تدلي الحق سبحانه وجلست روحه مجلس الأنس في حظيرة القدس حصل له مقام مقعد الصدق، وذلك المقام لعبد

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

صفيّ منقى عما دون الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ۝٥٥﴾ [القَمَر: ٥٤، ٥٥]، قال العارف قدّس الله روحه: هذا المقام لمن بلغ مقام العندية بنعت الانفراد في مقام الوحدة.

الفصل الثالث والأربعون: في مقام تحبب الإيمان وتزيّنه في القلب

خرجت الأرواح من مكمن الغيب ملتبسة بأنوار المعرفة والتوحيد من تأثير مباشرة القدرة فوجدت ذوقها وتزينت بزينتها ونورها وبهائها فبقيت في القلوب تقويها إلى الأبد، قال سبحانه: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحُجرَات: ٧]، قال العارف قدّس الله روحه: هذا مقام المنّة من الله بأن ألبس الأسرار أنوار حضرته وجماله في بدو الإيجاد بنعت المباشرة.

الفصل الرابع والأربعون: في مقام عين الحق

إذا عاين القلب جمال الحق وبقي في كلامه مشاهدته يكون صابراً في بليات القرب والبُعد وسر الامتحان، ويكون متلذذاً بما يجري عليه لعلمه بأنه يكون في جميع الأنفاس بعين الحق، قال لحبيبه ﷺ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطُور: ٤٨]، قال العارف قدّس الله روحه: وصف من كان بعين الحق أن يكون طيب العيش في جريان البلاء محفوظاً من خطرات الشك والشرك.

الفصل الخامس والأربعون: في مقام الرهبانية

إن الله عزّ وجل إذا أخص عبداً وصفّاه عن كدورة الإنسانية تقبّله إلى مشاهدة العظمة حتى يكون خائفاً وجلاً يترهب من لوث الطبيعة والخطرات المذمومة يُغلِّب الرهبة والخوف وحب الخلوة، قال العارف قدّس الله روحه: الرهبانية رؤية إجلال الحق.

الفصل الساس والأربعون: في مقام كتب الإيمان

هذا رسوخ التوحيد وصولة من حيث مباشرة التجلي لا يخلو الكَتْبُ من قلبه لمحة، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجَادلة: ٢٢]، قال العارف قدّس الله روحه: كتب في الأولية ولا ينقطع عنه أبداً لأن الحدثان أسير مكر القدم.

www.alkottob.com

الفصل السابع والأربعون: في مقام التأييد بروح القدس

الروح روحان: روح الصفة وروح الفعل، فإذا كان في مقام المعرفة أيّده في كسر النفس بروح روح الصفة، وإذا كان في مقام المحبة أيّده بروح الفعل في تنفير الشيطان وكسره، قال تعالى: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ﴾ [البَقَرَة: ٨٧].

الفصل الثامن والأربعون: في مقام الغبن

إذا علم أنه في مقام عليّ من المعارف والكواشف وسكن بذلك ثم يبدو له من عين القدم وصل آخر وسر آخر وصفة أخرى وغيب آخر وكشف آخر غبن من مكثه وسكونه بما نال عند رؤية الكشف الأعظم وذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾ [التّغَابُن: ٩]، قال العارف قدّس الله روحه: الغبن كل الغبن أن يرى من الله ما لم يرَ بما فات عنه أوقات السرمدية في الوصل بلا نهاية.

الفصل التاسع والأربعون: في مقام انقلاب صفة الالتباس

هذا من مقام العشق يظهر الحق سبحانه لعاشقه في كل حالة ووجد، صفته في لباس بما يليق بحاله وبما يكون أقرب من قلبه، فإذا استأنس مثلاً بوجه حسن يظهر له بوجه حسن وبكل المستحسنات ولا يستقيم الالتباس بحالة واحدة لأن تجلي الحق من عيون الصفات لا نهاية له، قال العارف قدّس الله روحه: انقلاب الالتباس من ترقي القلوب في رؤية الصفات.

الفصل الخمسون: في مقام رؤية الأشياء

إذا كانت خطاباً أن الله سبحانه يخاطب الصفي العارف بما خلق في الكون من جميع الأفعاليات بحيث إذا رأى شيئاً مستحسناً أو مستقبحاً يقرأ روحه من أوراق الأفعال القهرية اللطفية مرقومات بنقوش القدر السابق وتخبره تلك الرؤية بما يجري عليه في المستقبل من أمر القضاء والقدر، قال العارف قدّس الله روحه: تبدو أعلام المقدورات من مرائي الأفعال لحظة فلحظة لأبصار الأصفياء والأولياء.

www.alkottob.com

الباب الخامس عشر
في مقامات الأولياء وفيه خمسون فصلاً

الفصل الأول: في مقام الإعلان

إذا أعلن الله تعالى على الولي شرف الولاية لا يطيق الولي أن يكتمه والسبب في ذلك امتحان العباد بالهداية والخذلان وهذا إذا كمل الولي في جميع المقامات واستقام في المعرفة، قال تعالى لحبيبه عليه السلام: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشرح: ٤]، قال العارف قدّس الله روحه: الإعلان من الله حال الولي سبب معرفته نفسه.

الفصل الثاني: في مقام التخنّس الولي

إذا سار نجم أساره في سماء الآزال والآباد وانقطع لسيرها إذ لم تصل نهايته القدم والبقاء تخنس عن سدمات العظمة والجلال إلى مراجع الصفات لأن قاف هوية الذات لا نفاذ له للأرواح والعقول والقلوب والأسرار وهم في تلك المقامات على عناية الكمال، قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦﴾ [التكوير: ١٥، ١٦]، قال العارف قدّس الله روحه: التخنس سطوة النكرة على الأسرار.

الفصل الثالث: في مقام المشية

لا يشاء الولي إلا ما يشاء الحق بنعت إسقاط التمني والشهوة الكاذبة والإرادة الباطلة بل يشاء أمر المقدر وذلك حين فرس روحه أشكال الغيبة، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٩]، قال العارف قدّس الله روحه: مشية الولي مقرونة بمشية الله.

الفصل الرابع: في مقام العليين

ينكشف أنوار العليين للأولياء حين راقبت أسرارهم شواهد الملكوت فتصعد أرواحهم إلينا بأجنحة الشوق والمحبة، قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨﴾ [المطففين: ١٨]، قال العارف قدّس الله روحه: أهل العليين أهل

www.alkottob.com

مشاهدة الحق في مقام الأنس وهم أهل المعارف كقوله عليه السلام: «أكثر أهل الجنة البله وأهل العليين ذوو الألباب»[١].

الفصل الخامس: في مقام المسافرة

إذا وصل الولي مقام الوحي والإلهام يكون سفير الحق في العالم وهو نائب الأنبياء وهو مثل السفرة وهو مخبر من الحق أحكام الربوبية والبشارة والإنذار، قال الله تعالى: ﴿سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝١٦﴾ [عَبَسَ: ١٥، ١٦]، وقال عليه السلام: «الماهر في القرآن كالسفرة الكرام البررة»[٢]، قال العارف قدّس الله روحه: الولي سفير الله بينه وبين أوليائه من المؤمنين.

الفصل السادس: في مقام عين القهر

الولي إذا صار باكورة الحسن والجمال من تواتر أنوار القرب وتجلى عليه نصيبه عين القهر من الأزل من غيرته كي لا يستقيم حاله معه وإذا آوى إليه في كل لحظة تصرّفه الحق عنه كما حفظ حبيبه عليه السلام منها حيث قال: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [القَلَم: ٥١]، قال عليه السلام: «العين حق»[٣]، قال العارف قدّس الله روحه: العين عين التربية لا عين الزوال.

الفصل السابع: في مقام الطوارق

هي طوالع أنوار الصفات والذات من غيب الأسرار على قلب الولي ويتنوّر العقل والروح بسنائها ويرى بها مشاهدة القدم والبقاء، قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١﴾ [الطّارق: ١]، وقال العارف قدّس الله روحه: طوارق الغيوب في القلوب هي بديهات كشوف أنوار التجلي والتدلي.

---

(١) سبق تخريج القسم الأول منه أما القسم الثاني وهو: «وأهل العليين ذووا الألباب» فلم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٢) رواه أحمد في المسند من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، برقم (٢٥٤٠٤) [٦/ ١٧٠] ولفظه: «الماهر في القرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ وهو عليه شاق يتتعتع فيه له أجران اثنان».

(٣) رواه البخاري في صحيحه في أبواب عدة منها: باب العين حق، حديث رقم (٥٤٠٨) [٥/ ٢١٦٧] ومسلم في صححه، باب السحر، حديث رقم (٢١٨٧) [٤/ ١٧١٩] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

الفصل الثامن: في مقام اليتم

إذا انقطع الولي عن مقام الوصول ومشاهدة الدنو وصار يتيماً في الاستتار ممتحناً ببليات الطريق متحيراً في وادي الهجران يكون على منزلة الأيتام، ووجب حقه على كل الخلائق، قال الله تعالى لحبيبه عليه السلام: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾ [الضحى: ٩]، قال عليه السلام: «يهتزّ العرش ببكاء اليتيم»[(١)]، قال العارف قدّس الله روحه: اليتم احتجاب العارف بالنكرة وهذا فضل ومزيد، ألا ترى كيف قال لحبيبه عليه السلام: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦﴾ [الضحى: ٦] فيوجب اليتم مقام الدنو.

الفصل التاسع: في مقام التحدّث بالنعم

إذا كمل الولي ويكون على منزلة الاقتداء والإرشاد لا يجوز أن يكتم حاله مع الله ويجب عليه إظهار العلم والكشف والولاية لهداية العباد وعمارة البلاد، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ [الضحى: ١١]، قال العارف قدّس الله روحه: الولي إذا كان مراداً يزيد حاله مع الله بتحدثه بنعمته، قال الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، وقال عليه السلام: «التحدث بالنعم شكر».

الفصل العاشر: في مقام الرجوع من النهايات إلى البدايات

إذا كمل الولي في مقام التوحيد ووصل إلى مقام النكرة يرجع إلى أوائل الأحوال لتصحيح المعرفة لأن مقام النكرة أزال عنه جميع عقائد المقامات والحالات ويكون في صرف التوحيد في كل نفس مبتدئاً لأن عزته وجلاله لا نهاية لها، قال الله تعالى في وصف هؤلاء: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ [التين: ٤، ٥] قال العارف قدّس الله روحه: إذا انسدّ باب وصل القدم بنعت الإحاطة يستأنف العارف السير في طريق التوحيد.

الفصل الحادي عشر: في مقام الحدث

حوادث الغيب لا نهاية لها وهي طوارق القهريات يأتي ببليات الخواطر فيحتجب القلب بها عن مشاهدة المذكور وعن حلاوة الذكر ولا يتخلص من هذه الورطة أحد الأولياء لكن فوائدها مباشرة القهر بنعت التعريف، قال العارف قدّس الله روحه: الحوادث تأتي بعد الكدورة بصفو الحال.

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

الفصل الثاني عشر: في مقام الشبهة

إذا اشتبهت أشكال المكاشفات في وقت الظهور يتشوّش خاطر المريد بنعت التحير في إفرازها، ومعرفة حقائقها وهي مقرونة بالمعارضة النفسانية، قال العارف قدّس الله روحه: الولي الكامل يعرفها بما في نفسه من محك تجربة الحال والسؤال عن سر الخاطر، قال عليه السلام: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»(١).

الفصل الثالث عشر: في مقام رؤية المَلَك بالبديهة في أوّل أمره

إذا بلغ الولي مقام الولاية ينكشف له المَلَك بالبديهة إما كشفاً وإما عياناً، ويتكلم معه ويبشّره بالولاية ويعلّمه آداب الطريقة وتكون الملائكة تصاحبه إلى وقت الممات ولا تعجب واقرأ كتاب الله في حق مريم عليها السلام قوله: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريَم: ١٧]، قال العارف قدّس الله روحه: إذا صار طيب الوقت مع الله يكون محبوب الملائكة وهم يعينونه في جميع الأوقات.

الفصل الرابع عشر: في مقام القدح

تنقدح زنود الأفكار بنيران الأذكار قبل انقداح زند التجلي والتدلي فاقترن النار والنور كقوله تعالى: ﴿يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ﴾ [النُّور: ٣٥]، قال العارف قدّس الله روحه: القدح سقوط نور التجلي من زند الغيوب في القلوب.

الفصل الخامس عشر: في مقام القرع

قوارع الحق أبواب القلوب من أماكن الغيوب أوائل كشوف الصفات، قال الله تعالى: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٢﴾ [القَارعَة: ١، ٢]، قال العارف قدّس الله روحه: القرع تحريك سلسلة المحبة من قلب الولي بنعت الهيجان والشوق إذا جذبها الحق في أوان تجلي المشاهدة.

الفصل السادس عشر: في مقام النسبة

نسبة الولاية بالمعرفة بالقدم ولم يكن بين القدم والعدم نسبة، فإذا وصل الحدث إلى العدم والقدم إلى القدم وصار العارف معدوماً والمعروف باقياً انقطع النسب بين

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك في أماكن عدة منها: كتاب البيوع، حديث رقم (٢١٦٩) [٢/ ١٥] وابن حبان في صحيحه، باب الورع والتوكل، حديث رقم (٧٢٢) [٢/ ٤٩٨] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

العارف والمعروف من المعرفة بالحقيقة لأنه تعالى لم يكن معروف العارف أصلاً بل عرف نفسه بنفسه ولا غير في البين، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١]، قال العارف قدّس الله روحه: رؤية النسب من حيث المحبة مكان الإيمان ومن حيث المعرفة محل الشرك.

الفصل السابع عشر: في مقام النظر إلى نفسه

إذا صار الولي مرآة جمال الحق ويتجلى الحق بوصف الجمال منه له يرى أنوار الربوبية على نفسه فينظر إلى نفسه ولا ينظر إلى الحق ويسكر بشراب البسط ومباشرة الحقيقة ويبقى في الأنانية والاتحاد، من هاهنا قال: أنا الحق، قال العارف قدّس الله روحه: النظر إلى نفسه يقتضي الاحتجاب عن الكل والفرح بالسكر والشطح بالهيمان.

الفصل الثامن عشر: في مقام تمني الولي وصف القدم

إذا شاهد جمال القدم وعشق به غبن من فوت الأولية وتمنى القدم لجهة كونه مع الله من الآزال إلى الآباد، قال العارف قدّس الله روحه: هذا من كمال العشق وغلبة الشوق وحلاوة المحبة وروح الأنس لا من قلة معرفته بقدم الحق المنزّه عن المعية مع الأشياء.

الفصل التاسع عشر: في مقام قاب قوسين

هذا مقام الدنو ودنو الدنو من جمال الأزلية والأبدية المنزّه عن الفصل والوصل لكن إذا استغرق روح الولي في بحار الآزال والآباد بنعت الانخلاع عن الحدثان يكون بين قوس الأزل وقوس الأبد، قال الله تعالى: ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النّجم: ٨، ٩]، وقال العارف قدّس الله روحه: من كان مجروحاً بسهام التوحيد من قوس الأزل والأبد فقد بلغ مقام قاب قوسين.

الفصل العشرون: في مقام السدرة

سدرة المنتهى مقام أرواح الأولياء، إذا كان السير في الملكوت وقف العقل مقام سدرة المنتهى لأن هناك ينتهي علم العقول وبعدها مقام الأرواح والقلوب والأسرار، قوله تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤﴾ [النّجم: ١٤]، قال العارف قدّس الله روحه: سدرة المنتهى شجرة الأفعال الخاصة.

www.alkottob.com

الفصل الحادي والعشرون: في مقام الجنة

تطير روح الولي إلى الجنان في المنامات والمكاشفات تنكشف لها جنانها وقصورها وحورها وأشجارها وأنهارها تأكل ثمارها وتشرب أنهارها، قال عليه السلام: «أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تسرح في الجنان، تشرب من أنهارها وتأكل من ثمارها»(١) الحديث، قال العارف قدّس الله روحه: جنة الأولياء مشاهدة الله.

الفصل الثاني والعشرون: في مقام المعلوم

المقام المعلوم مقام الملكية وهو مقام الخوف والإجلال والحياء يطنهم الله هناك وقلوب الأولياء حبست في أوائل بداياتها هناك، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الصَّافات: ١٦٤]، قال العارف قدّس الله روحه: المقام المعلوم مقام المعاملات والمقام المجهول السير في النكرات.

الفصل الثالث والعشرون: في المقام الأمين

المقام الأمين الأنس في حِجَال(٢) مشاهدة الجمال وحجر الوصال، هناك أمن الولي من جميع الخطرات وطوارق الامتحان، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ﴿٥١﴾﴾ [الدّخان: ٥١]، قال العارف قدّس الله روحه: المقام الأمين مقام الوصال بلا انفصال.

الفصل الرابع والعشرون: في مقام الشرف

أصل الشرف الاطلاع على عالم الملكوت ورؤية أنوار الجبروت والغوص في بحار المعارف والكواشف، قال العارف قدّس الله روحه: كمال كل شرف في إفراد القدم عن الحدوث والاتصاف بالقدم والبقاء في البقاء.

(١) الحديث في شطره الأول رواه الطبراني في المعجم الكبير، عن عبد الله بن مسعود حديث رقم (٨٩٠٥) [٩/ ١٨٣] والمنذري في الترغيب والترهيب، حديث رقم (٢١٢٤) [٢/ ٢٠٧] ورواه غيرهما. وأما سطر الحديث الثاني وهو: «تشرب من أنهارها وتأكل من ثمارها» فلم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٢) الحَجْل بفتح الحاء وكسرها القيد وهو الخلخال أيضاً.. وحِجَال العروس: بيت يزين بالثياب والأسرة والستور.

www.alkottob.com

الفصل الخامس والعشرون: في مقام الحجاب

الملكوت مملوء من حجب الغيب وفي كل حجاب مقام للولي إلى الحضرة وإن الله سبحانه يربيه في جميع الحجب بأنوار الغيب حتى يكون مستقيماً ثم يرفع الحجب ويريه جمال حضرته، قال عليه السلام: «لله سبعون حجاباً من نور»(١)، قال العارف قدّس الله روحه: ليس للحق حجاب إنما الحجاب للحوادث وأصل كل حجاب بقاء العاشق عند المعشوق.

الفصل السادس والعشرون: في مقام وقوف الولي عند قرام الأعظم

قرام الأعظم حجاب أبيض كثيف أرسله الله على وجوه أهل الملكوت والوقوف هناك لكمال الحرمة، قال العارف قدّس الله روحه: هناك تبين مقامات الأولياء والرجل كل الرجل من يدخل في الحجاب.

الفصل السابع والعشرون: في مقام السير في النور والظلمة

إذا خرج روح الولي من معدن الصورة يسري في الحجاب والظلمة حتى يصل إلى الحجاب الأعلى، والنور والظلمة هما ميادين الملكوت في بحار الحضرة لا يسبح فيها ولا يقطعها إلا روح عاشق شائق، قال العارف قدّس الله روحه: أكثر الأرواح محجوبة بالنور والظلمة.

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ إنما ورد بألفاظ أخرى متقاربة منها ما رواه الطبراني في المعجم الأوسط، من حديث من اسمه مقدام، برقم (٨٩٤٢) [٨/ ٣٨٢] ونصه:
عن أبي هريرة أن رجلاً من اليهود أتى النبي ﷺ فقال: يا أبا القاسم هل احتجب الله عزّ وجل عن خلقه بشيء غير السماوات والأرض؟ قال: «نعم بينه وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجاباً من نار وسبعون حجاباً من نور وسبعون حجاباً من ظلمة وسبعون حجاباً من رفارف الإستبرق وسبعون حجاباً من رفارف السندس وسبعون حجاباً من در أبيض وسبعون حجاباً من در أحمر وسبعون حجاباً من در أصفر وسبعون حجاباً من در أخضر وسبعون حجاباً من ضياء استضاءها من النار والنور وسبعون حجاباً من ثلج وسبعون حجاباً من ماء وسبعون حجاباً من غمام وسبعون حجاباً من برد وسبعون حجاباً من عظمة الله التي لا توصف» قال: فأخبرني عن ملك الله الذي يليه، فقال النبي ﷺ: «أصدقت فيما أخبرتك يا يهودي؟» قال: نعم، قال: «فإن الملك الذي يليه إسرافيل ثم جبريل ثم ميكائيل ثم ملك الموت صلى الله عليهم أجمعين».

www.alkottob.com

الفصل الثامن والعشرون: في مقام رؤية بحار العجائب

إن في حضرة الله سبحانه بحاراً مملوءة من عجائب قدرته وهي تحت عرشه يخرج منها عجائب غيب الملكوت بجميع الأشكال تسبح فيها أرواح الأولياء في المكاشفات والمنامات، قال العارف قدّس الله روحه: بحر العجائب بحر الأفعال الخاصة التي تتصرف في العقل البسيط.

الفصل التاسع والعشرون: في مقام النوادر

عالم النوادر فوق بحر العجائب هنالك تبدو اللوائح واللوامع من الحضرة وهنالك تبرز نوادر الأنوار، قال العارف قدّس الله روحه: النوادر بروز أنوار الصفات.

الفصل الثلاثون: في مقام الرفارف

إذا طار الروح في هواء الغيب وترى إشراق شموس الحضرة تطيرها شمال من عالم الجمال إلى عالم الجلال، قال الله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ [الرَّحمٰن: ٧٦]، قال العارف قدّس الله روحه: الرفارف هوادج أنوار القرب تصعد بالأرواح إلى الحضرة.

الفصل الحادي والثلاثون: في مقام الحضرة

إذا وصل وراء الحجاب الأعظم واستوى في صحاري الغيب وقد وصل الحضرة ولم يكن بينه وبين الحضرة الخاصة حجاب وهناك مقام التحير، قال العارف قدّس الله روحه: الحضرة مملوءة من المهابة.

الفصل الثاني والثلاثون: في مقام الكرسي

الكرسي عالم تجلي الصفات الخاصة هناك سدمات العظمة والكبرياء وهو مطاف الأرواح الجلالية يتجلى بها الحق بنعت الأسرار من عين العظمة، لذلك قال: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، قال عليه السلام: «الكرسي موضع القدمين»[1]، قال العارف قدّس الله روحه: عنى بذلك، والله أعلم، أن الكرسي موضع تجلي قَدَم القِدم والبقاء.

---

(١) هذا الأثر موقوف على ابن عباس رواه الأصبهاني في العظمة، باب الأمر بالتفكر في آيات الله عزّ وجل. . ، حديث رقم (٢٧) [٢/ ٥٨٢] والهروي في الأربعين في دلائل التوحيد، باب إثبات الحد. . ، حديث رقم (١٤) [١/ ٥٦] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

الفصل الثالث والثلاثون: في مقام الحيرة بين العرش والكرسي

إذا وصل الروح بين العرش والكرسي تغلب عليها سطوات العظمة والعزة لا تطيق أن تدنو ولا أن تتخلف فبقيت متحيرة في أنوار الكبرياء، قال العارف قدّس الله روحه: هناك يبدو رجولية الأولياء.

الفصل الرابع والثلاثون: في مقام حظيرة القدس

هي معادن الأرواح القدسية تبدو فيها أنوار القدس تجول الأرواح فيها بجناح المعرفة وقوة المحبة وترى فيها بدائع الصفات، قال العارف قدّس الله روحه: حظيرة القدس مجالس أهل الأنس.

الفصل الخامس والثلاثون: في مقام الصفائح العليا

هي ألواح الأنوار منقوشة بنقوش الملك الخاص وهناك منازل خواص الكروبيين والمقربين تقرأ الأرواح منها سطور مغيبات العلم المجهول، قال العارف قدّس الله روحه: الصفائح العليا أوراق نور الحضرة على أشجار القربة.

الفصل السادس والثلاثون: في مقام سرادق المجد

سرادق المجد مقدم العرش وهو محل جولان أرواح الأنبياء والأولياء وخواص الكروبيين، قال العارف قدّس الله روحه: هناك ينال مجد القرابات وشرف المكاشفات.

الفصل السابع والثلاثون: في مقام العرش

إذا وصلت الأرواح إلى العرش وصلت إلى المقام المحمود والدنو وهو عالم فيه أنوار سلطان جلال الحق وهو مرآة تجلي الصفات ترى فيها حجال المداناة وتسمع لطائف المناجاة.

الفصل الثامن والثلاثون: في مقام البهت

هنالك إذا رأى الولي العرش بهت لأن عليه قرام أنوار العظمة وهو الفعل الخاص تنشعب منه العقول والعلوم في لباس المقدورات ولا يطيق الولي أن يبقى على هيبة في رؤيته لأن في كل لحظة تستوي أنوار الذات وتستولي عليه وهو مثل مرآة يرى فيها ممكنات الغيب، قال العارف قدّس الله روحه: العرش مسقط تجلي الاستواء

www.alkottob.com

الفعلي والصفاتي والذاتي والحق سبحانه منزَّه عنه وعن البينونة عنه والقربة بالذات منه.

الفصل التاسع والثلاثون: في مقام عالم العرش

إن لله سبحانه عالماً في العرش مملوءاً من القدرة يرى فيه أشكال المتشابهات، قال العارف قدّس الله روحه: عالم العرش عالم ظهور الصفات في الأفعال.

الفصل الأربعون: في مقام بحر العرش

تحت العرش بحر تغتسل فيه الأولياء والأنبياء، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هُود: ٧]، قال العارف قدّس الله روحه: بحر العرش مغتسل الأرواح القدسية الجلالية فيغتسل هناك من غبار الحدثان[1].

الفصل الحادي والأربعون: في مقام أنوار العرش

أنوار العرش تشعشعت من سبحات الصفات وتحيط بالعرش وهو حجاب الله لا يطيق أن يدخل فيها إلا من تنوّر بها من أهل الوصال، قال العارف قدّس الله روحه: أنوار العرش متصلة بأرواح الأولياء في معادن الفطرة تجذبها في كل لحظة إلى معادنها.

الفصل الثاني والأربعون: في مقام حجب القدرة

حجاب القدرة فوق نور العرش وهو يلحف العرش بعجائبها ويصدر منها إلى العرش غيب الله بلباس النور، قال العارف قدّس الله روحه: حجاب القدرة مصاعد الأسرار.

الفصل الثالث والأربعون: في مقام الانتظار بعد الحيرة

إذا خرجت الروح من حجاب القدرة ووقفت في رياض الأنس تنتظر كشوف أنوار الصفات وجلال الذات ولا يعلم أين هو ومن أين هي، قال العارف قدّس الله روحه: هذا المقام مقام الحياء والإجلال.

---

(١) الحِدْثان: الحدوث. قال في لسان العرب: وكان ذلك في حدثان أمر كذا أي في حدوثه. وأخذ الأمر بحدثانه وحداثته أي بأوله وابتدائه.

www.alkottob.com

الفصل الرابع والأربعون: في مقام شرب مفرح الفرح

هذا بعد الذوبان والهيمان والفناء في الإجلال بحمل وارد الجمال، قال العارف: مقام الشرب هناك وجدان برد المشاهدة في السر.

الفصل الخامس والأربعون: في مقام القوة بعد الضعف

إذا ضعف عن رؤية العزة والصمدية ألبسه الحق من أنوار قربه لباساً أنسياً فيتقوى بقوة الحق في حمل وارد أنوار الغيبة، قال العارف قدّس الله روحه: القوة بعد الضعف اتصاف العارف بأنوار المعروف.

الفصل السادس والأربعون: في مقام إشراق نور القدم في العدم

إذا تحير ولم يرَ شيئاً ونسي نفسه وجميع الخلائق ولا يدري أين يذهب وإيش (أيّ شيء) يطلب، أشرقت أنوار قدم الحق عند عدمه فيبقيه ويلبسه نوراً من نوره فيرى بالحق نور الحق، قال العارف قدّس الله روحه: إذا غاب الولي في العدم بدا له نور القدم.

الفصل السابع والأربعون: في مقام الخطاب السرمد

ثم بعد ذلك يخاطبه الحق بالوحي الخاص والكلام السرمدي بلا واسطة، قال سبحانه: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: ١٠]، قال العارف قدّس الله روحه: مخاطبه يقوى في مشاهدته.

الفصل الثامن والأربعون: في مقام رؤية الجلال بعد الخلاء والملاء

إذا خرجت الروح القدسية عن الأكوان والحدثان لا تبقى لها العلل بأسرها فينكشف لعينها جلال الذات وجمال الصفات القديمة جلّ جلاله بلا مكان ولا زمان ولا شكل ولا هيئة ولا التباس ولا خيال ولا شك ولا شبهة تنفرد عزة ديموميته بنفسه في مجلاه لنبيه ووليه، قال الله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم: ١١]، قال عليه السلام: «رأيت الله بعيني وبقلبي»[١]، قال العارف قدّس الله روحه: الولي العارف هناك جميع وجوده عيون يرى الله بالله لا بالغير كما عرفه به لا بالغير وكما يكون به لا بالغير، ويبقى في مشاهدة ذاته وصفاته ما شاء الله ساعة فانياً وساعة باقياً.

---

(١) هذا الحديث سبق الحديث عنه.

www.alkottob.com

الفصل التاسع والأربعون: في مقام الخجلة في المعرفة عند كشف الرؤية

إذا رأى الله سبحانه تحيّر في جماله وجلاله وينصرم إدراكه عنه فيخجل من دعواه قبل ذلك بمعرفته ويعلم أنه جاهل به في رؤيته ومشاهدته فكيف بما قبل الرؤية والمشاهدة، لذلك قال عليه السلام: «لا أحصي ثناء عليك»[١]، قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعَام: ٩١]، قال العارف قدّس الله روحه: خجل العارف بعد الرؤية من علم بجهله في إدراك كنه عزته.

الفصل الخمسون: في مقام الثناء الخاص

إذا شاهد الله سبحانه وتحيّر في جلاله ولا يطيق أن يثني عليه، يثني عليه الحق سبحانه ويقربه منه ويدنيه من قرب قربه ويريه مراده كما يريد ويعطيه مأموله ويعلّمه بثنائه الثناء عليه كما ورد في الحديث من قوله سبحانه لحبيبه: «السلام عليك أيها النبي»[٢] وذلك بعد قوله: «لا أحصي ثناء عليك»، قال العارف قدّس الله روحه: ثناء الله على الولي بيان ما أعطاه من سنيات المقامات وشرف القربات.

---

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

(٢) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

الباب السادس عشر
في مقامات أهل الأسرار من النجباء وفيه خمسون فصلاً

الفصل الأول: في مقام بروز الصفات

إذا شاهد العارف مشاهدة الحق وأن الله تعالى أراد أن يعرف نفسه بنفسه في مشاهدته حتى عرف الحق بنعوته واتصف بصفاته يتجلى له من ذاته أنوار صفاته فيشاهد الصفة بالصفة ويكون عارفاً بالصفات بعد وجدان حلاوتها، قال العارف قدّس الله روحه: بروز أنوار الصفات موضع الاتصاف.

الفصل الثاني: في مقام كشف صفة العلم

إذا انكشفت صفة علم الله وشرب الروح من بحارها يكون عالماً بالعلوم اللدنية، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]، وقال عليه السلام: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم»[1] قال العارف قدّس الله روحه: بعلم الله يعلم علم الله.

الفصل الثالث: في مقام كشف صفة القدرة

إذا بدا له أنوار القدرة وباشرت سره واتصف بها صار صاحب القدرة يقدر بالكرامات وإظهار الآيات ويرى جميع الأشياء مستغرقة في نور القدرة وتضحك الأشياء له بأفواه القدرة وسقط عنه مؤنة الكونين، قال العارف قدّس الله روحه: كشف القدرة بلا واسطة توجب راحة الروح في مقام الرضى والتسليم.

الفصل الرابع: في مقام كشف صفة السمع

إذا انكشف نور اسماع الأزلية المنزَّه عن التشبيه لروح العارف يسمع بسمع الحق كلام الحق ويسمع صوت خفيات الضمائر من بطنان السرائر، قال العارف قدّس الله روحه: كشف السمع يوجب العلم بإحاطة الحق بجميع ذرات الكون.

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور، [٢/ ١٢٣] وأورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (٢٥٤٢) [٢/ ٣٤٧].

www.alkottob.com

الفصل الخامس: في كشف نور بصر الحق

إذا تجلّى الحق من بصره لبصر العارف يرى العارف جميع صفات الحق به ويرى علل بطون الأفعاليات، قال العارف قدّس الله روحه: كشف نور البصر يوجب إدراك مغيبات الغيب.

الفصل السادس: في مقام كشف صفة الكلام

إذا تكلم الحق معه وتجلى منه بنعت ظهوره منه استروح الروح بطيب الخطاب وطلب كشف النقاب ويكون كلامه صولة الحق في العالم ويحيي به القلوب الميتة، قال العارف قدّس الله روحه: بكشف نور الكلام في المشاهدة يكون صاحب السر فصيحاً في كلام المعرفة.

الفصل السابع: في مقام كشف صفة الإرادة القديمة

إذا بدا نور صفة الإرادة لقلب المريد يكون مراده مراد الحق ومراد الحق مراده، قال العارف قدّس الله روحه: إذا كشف نور الإرادة لا يبقى للعارف إرادة.

الفصل الثامن: في مقام كشف نور الحياة الأزلية

وذلك إذا كان يتجلى الحق من حياته للروح فصارت حياً بحياته فيحمل أثقال برحاء الكشف في مقام الشهود، قال العارف قدّس الله روحه: من حَيِيَ بحياة الحق يحيى به كل شيء ميت، قال الله تعالى: ﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: ٤٩].

الفصل التاسع: في مقام رؤية الذات في الصفات

إذا اتصفت بهذه الصفة وباشرت أنوارها سره تنكشف عين الذات بلا حجاب ولا التباس ويكون بمشاهدة الذات عارفاً وبمشاهدة الصفات عاشقاً، قال العارف قدّس الله روحه: مشاهدة الذات في كشف الصفات مقام أهل السر من أهل التوحيد.

الفصل العاشر: في مقام الاصطلام بعد التمكين

أهل السر إذا عاينوا الحق بوصف كشف الذات والصفات بالبديهة استأصلهم سطوات العظمة وجلال الكبرياء وظهور بطون الأزل والأبد، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القَصَص: ٨٨]، قال العارف قدّس الله روحه: الاصطلام الأصلي فناء الفناء.

www.alkottob.com

الفصل الحادي عشر: في مقام سير السر في أنوار عزة القدم

أول حال أهل السر بعد المشاهدة سير السر في عالم القدم وأولية الأزل فيغوص في بحر كنه الذات والصفات ويرى في كل لمحة عزة في عزة وجلالاً في جلال، قال العارف قدّس الله روحه: لا ينصرم سير السر في القدم وفي كل لحظة يستأنف السير من الرأس.

الفصل الثاني عشر: في مقام خرس الخرس

يحب العارف في ذلك السفر أن يثني على جبارية الحق وسلطان عزته كلما يرى عجائب من ذاته وصفاته فوجد لسان ظاهره وباطنه خرس وهذا موضع قوله عليه السلام: «أنت كما أثنيت على نفسك»[1]، قال العارف قدّس الله روحه: من بلغ هاهنا لم يبقَ له لسان الثناء ولا لسان إفشاء السر، ألا ترى إلى قول الحلاج رضي الله عنه كيف قال في معارضة الشبلي قدس الله روحه: والله يا أبا بكر ما أفشيت سره.

الفصل الثالث عشر: في مقام الإبهام

في الإبهام كلما قطع ميداناً وجد ميداناً أعظم منه وكلما بلغ ساحل بحر من بحار الأزل وجد بحراً لم يره أبداً فيتحير حتى وقع في بحر أخضر أولية الأولية ولا يرى إلا ما لم يعلم ولا يعرف فيفنى في إبهام الإبهام، قال الله تعالى: ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ [الكهف: ١٠٩]، قال العارف قدّس الله روحه: النكرة تقضي الإبهام في الإبهام.

الفصل الرابع عشر: في مقام بقاء الأبصار بنعت إدراك الكل بالكل

ألبس الحق نوراً من أنوار بصره بصر مشاهدة العين فيرى بذلك العينَ بالعين ويسكن من غمرات الفوت والنكرة حتى وقع له أنه وصل، وهذا منه في مقام سكر التوحيد ومن الحق سبحانه مكر في مكر، قال العارف قدّس الله روحه: لولا المكر لفني السر في سير القدم.

---

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

الفصل الخامس عشر: في مقام ظهور الصفات في الصفات

بحر ذات القديم يتجلى في الصفات فيظهر فيها غرائب جواهر الصفات في رؤية الصفات عند أوان العشق في مقام التوحيد، قال العارف قدّس الله روحه: هذا العشق لا يكون إلا بعد التوحيد وظهور الصفات في الصفات، وجلوتها في عين سر العارف.

الفصل السادس عشر: في مقام ظهور نور العظمة ومن تلك الصفات، العظمة

وموجب ذلك الفناء وميراث الصولة، قال العارف قدّس الله روحه: صاحب السر يكون عظيماً من رؤية العظمة.

الفصل السابع عشر: في مقام ظهور الكبرياء

إذا بان نور الكبرياء أورث العارف الاصطلام والمحو والكبرياء بين الخلق حتى ظهر منه نور كبرياء الحق، قال العارف قدّس الله روحه: الكبرياء حظ في العارف لو لم يعلم الخلائق ذلك لماتوا حسرة من فوت رؤية أنوار كبرياء الحق.

الفصل الثامن عشر: في مقام العزة

إذا بدت أنوار العزة يضمحل العارف فيها لكن بعد ذلك يتصف بها ويحمل أثقال العزة وتكون مطيّة هودج العزة يسير بها إلى معادن الذات، قال العارف قدّس الله روحه: العزة توجب عزة العارف، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنَافِقون: ٨].

الفصل التاسع عشر: في مقام الصولة

صولة أنوار الذات والصفات عند معاينتها تهزم عساكر الأسرار وتغيبها عند مشاهدة القرب وحظّ المشاهدة، قال العارف قدّس الله روحه: الصولة موج بحر الأزل تغرق الأسرار بالأنوار.

الفصل العشرون: في مقام السطوة

إذا تحيّرت الروح في مشاهدة العظمة وتكاد تخلد في ثبوتها في مقام الحيرة فيضرب عليها سطوات القدم ويفنيها عن وجودها، قال العارف قدّس الله روحه: السطوة غيرة الوحدة.

www.alkottob.com

الفصل الحادي والعشرون: في مقام رؤية السبحات

لجمال الحق سبحانه سبحات النور من عاينها انطمست عيون أسراره وذلك موضع التوحيد والقدس والاحتراق، قال عليه السلام: «لله سبحات من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصر الخلق»(١) قال العارف قدّس الله روحه: رؤية السبحات مقام تلهيب الفؤاد.

الفصل الثاني والعشرون: في مقام رؤية الصمدية

إذا تجلّى الحق من عين الصمدية لقلب العارف صار صمدانياً روحانياً ربانياً لا يجري عليه في ذلك وقت شهوة الطعام والشراب، قال العارف قدّس الله روحه: الصمداني لا يكون إلاّ وحدانياً.

الفصل الثالث والعشرون: في مقام عين النور

كشف عين النور ظهور بطون جمال الأزل للأسرار تحار الأسرار فيها بنعت الوله والحيرة، قال العارف قدّس الله روحه: هذا مقام عين النكرة بغير الإبهام.

الفصل الرابع والعشرون: في مقام البهاء

إذا أراد الله أن يجعله مؤنساً في العشق يريه أنوار بهاء جماله حتى يكون عاشقاً لكل المستحسنات، قال عليه السلام: «الورد الأحمر من بهاء الله من أراد أن ينظر إلى بهاء الله فلينظر إلى الورد الأحمر»(٢)، قال العارف قدّس الله روحه: رؤية البهاء موضع الأنس والانبساط.

الفصل الخامس والعشرون: في مقام الجمال

كشف الجمال موضع غارات الأرواح بالعشق والشوق والمحبة وبه يطيق العارف

---

(١) رواه مسلم في صحيحه بلفظ قريب منه، باب في قوله عليه السلام: إن الله لا ينام..، حديث رقم (١٧٩) [١٦١] ولفظه:
عن أبي عبيدة عن أبي موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «إن الله عزّ وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور» وفي رواية أبي بكر «النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

(٢) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

السير في الصفات والاستقامة في رؤية القدم والبقاء، قال العارف قدّس الله روحه: مقام مشاهدة الجمال يوجب السكر والوجد والهيجان.

الفصل السادس والعشرون: في مقام الجلال

رؤية الجلال مقام خوف الخاص والخشية والإجلال والتعظيم، قال العارف قدّس الله روحه: رؤية الجلال تولّه الأرواح وتشوّش الأشباح.

الفصل السابع والعشرون: في مقام كشف أسرار الذات

الذات القديم جلّ وعلا عن الأوهام أسرار وأنوار وهي ظهور حقائق القدم والبقاء، من عاينها يضمحل في سدماتها ويخرس ألسنة أسرارها عن إنشائها، قال العارف قدّس الله روحه: أسرار الذات عجائب كشف عيون الجمال والبهاء.

الفصل الثامن والعشرون: في مقام التباس الخاص صرفاً في صرف

إذا خرج العارف من مقام المحبة واستقام في العشق بعد التوحيد لا يكون ظهور الحقيقة إلا في لباس نور الصفة ولا يكون هنالك لِلباس الفعلي أثر، قال العارف قدّس الله روحه: هذا المقام لمزيد العشق والمعرفة والتوحيد.

الفصل التاسع والعشرون: في مقام قسم الحق على أهل السر

إذا شاهد مشاهدة الكل وصار كلاً بكل ووجه حقيقة الاتصاف والاتحاد صار عروس الحق يقسم عليه الحق تشريفاً له كقوله لحبيبه: «لعمرك»، قال العارف قدّس الله روحه: قسم الحق يزيد للعارف شوق الله وحبّه.

الفصل الثلاثون: في مقام دعوى الربوبية في الحضرة

إذا فني في الحق حين أفنته سطوات القدم ويفنى بجمال الديمومية حين إبقاء مشاهدة البقاء ويرى نفسه لباس الربوبية يصير سكراناً ولهاً. قال العارف قدّس الله روحه: ذلك حين احتجب الحق عنه وأراه وجوده في عين الجمع.

الفصل الحادي والثلاثون: في المقام المحمود

إذا وصل الأنس في حجر الوصال ومشاهدة الجمال يكون مراد الحق من جميع الوجوه ويكون منبسطاً ببسط الله إياه ويكون عزيزاً بعزة الله يشفع بإذنه لمن احتجب عن الله ويكون مشفعاً عند الله، قال تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾

www.alkottob.com

[الإسرَاء: ٧٩]، قال العارف قدّس الله روحه: المقام المحمود البلوغ إلى مقام شهود حسن الله.

الفصل الثاني والثلاثون: في مقام الخروج من رسوم الأزل والأبد والقدم والبقاء

إذا انقطعت مفاوز هذه الصفات ولا يرى في نفسه السير فيها وينفرد بفردانية الله وينسلخ من رسوم معارفها وشواهدها وتأثيرها من الحال والوجد والمعرفة والتوحيد لا يرى بعد ذلك إلا عيناً بلا أين، قال العارف قدّس الله روحه: إذا خرج من هذه الرسومات يكون حاله عماء في عماء ونكرة في نكرة بلا معرفة.

الفصل الثالث والثلاثون: في مقام إدراك أهلية الأصل

إذا أبصر بعد النكرة العين بوصف المعرفة والعشق وصار قائماً بمشاهدة الأصل في الأصل يكون أهل الله وخاصته يفتح لعين سره أبواب خزائن جلال الذات وصفاته الخاصة، قال عليه السلام: «أهل القرآن أهل الله وخاصته»[1]، وقال العارف قدّس الله روحه: الأهلية التلبس بلباس الحقيقة.

الفصل الرابع والثلاثون: في مقام الطوفان وذلك بعد الاتصاف والدنو

إذا ظنّ أنه واصل الكل فقد ارتفعت أمواج بحار الأولية وأغرقته في لجج قاموس بحر السرمدية حتى لا يبقيه منه، ألا ترى وجود الحق تعالى عن الدرك واللحوق، قال العارف قدّس الله روحه: كلما زاد لأهل الأسرار دنواً ازداد لهم بعداً.

الفصل الخامس والثلاثون: في مقام فقدان المشاهدة

إذا يكون بعد الفناء في القرب وتليه غمار السكر وجد نفسه في درك الحيرة والغيبة ولا يرى أنوار المشاهدة، وأفاق من صعقة موت الفناء، ويطلب مقاماً يلتجىء إليه ويعتذر من انبساطه، قال الله سبحانه: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأعرَاف: ١٤٣]؛ قال العارف قدّس الله روحه: هاهنا موضع عذر جميع العارف.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب فضائل القرآن، حديث رقم (٢٠٤٦) [١/ ٧٤٣] والبيهقي في السنن الكبرى، أهل القرآن، حديث رقم (٨٠٣١) [٥/١٧] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

الفصل السادس والثلاثون: في مقام الرجوع من المعاينة إلى العلم

فلما فقد العين بذكر أيام الوصال في الحجاب ورجع إلى علم ما استفاد عن المشاهدة ويسري بسره في حقائقه ليكون له إدراك بين نور العلم وجلال المشاهدة، قال العارف قدّس الله روحه: الرجوع من المعاينة إلى العلم استتار.

الفصل السابع والثلاثون: في مقام طلب الأصل في فروع الآيات

إذا فقد شهود العين ووقع حجاب البُعد يطلبه في مرآة الفعل ليراه في الالتباس، قال العارف قدّس الله روحه: هذا كمال الغيبة في الحضرة.

الفصل الثامن والثلاثون: في مقام الرجوع من النكرات إلى المعارف

هذا أيضاً في العلم والغيبة يطلب ما فات عنه في خلال مقام المعرفة ليكون متخلصاً من النكرة بعد الحجاب ويدرك بذكر ما وجد حلاوة المشاهدة، قال العارف قدّس الله روحه: ربما يظهر بالذكر أنوار المذكور هاهنا.

الفصل التاسع والثلاثون: في مقام رؤية اللوائح في الحيرة

إذا وجد الله سبحانه عبده إلى غاية التحير في فقدان ما وجد من وصوله وصل الكل، أبرز له لائحة من لوائح مشاهدته يرى بذلك مسالك المغيبات ويدرك به مقامات المداناة، قال العارف قدّس الله روحه: مقام اللوائح إعانة الملهوفين في شراب الحيرة.

الفصل الأربعون: في مقام هبوط الروح من مستقر المعرفة ورؤية المعروف إلى عالم الحقوق

إذا فرغ من إدراك أنوار القدم ومقامات معارج البقاء رجع إلى العبودية ليجد ما احتجب عنه في العبودية ويعرف قدر ما وجد بالاصطفائية ويكون شوقه أكثر وعشقه أوفر وتعرف أحكام الربوبية في العبودية ويبقى عليه الفناء في موازاة القدم، قال العارف قدّس الله روحه: الرجوع إلى الحقوق بقايا الامتحان والبلاء.

الفصل الحادي والأربعون: في مقام البكاء من الحق على الحق

إذا غاب عنه هلال الجمال بكى منه عليه من فقدان الجلال، قال العارف قدّس الله روحه: البكاء منه عليه من كمال الشوق إليه.

www.alkottob.com

الفصل الثاني والأربعون: في مقام وجدان شهوة العشق الأصلي

إذا أنزل مطر الأنس بعد الوحشة من مزن الزلفة وجد في نفسه شهوة عشق المشاهدة وما كان بداية هاهنا إلا مشاهدة الحسان ورائحة الورد والريحان، قال العارف قدّس الله روحه: شهوة العشق من بقايا مباشرة نور مباشرة الجمال.

الفصل الثالث والأربعون: في مقام الفرح في الغيبة

هذا شوق الروح إلى الحضرة وذكر أيام الوصلة بذلك ينخلع حبل الحجاب عن رجل طير الروح ويطير بجناح الفرح إلى عالم الأفراح، قال العارف قدّس الله روحه: الفرح بالله يزيد الفرح في مشاهدة الله.

الفصل الرابع والأربعون: في مقام وصل المراد بعد الهجران

إذا كان العارف مجدًّا في العشق لا يصبر عن مشاهدة الحق ويسأل ويطلب في كل نفس في مقام العبودية مع أداء الحقوق ويكون عارية من الرسوم يتجلى الحق بوصفه له ليزيد شوقه ومحبته، قال العارف قدّس الله روحه: المشاهدة في الغيبة لشهوة قطع مسافة البُعد.

الفصل الخامس والأربعون: في مقام ضحك الحق بالبديهة

وبغتة الكشف في الغيبة، بأنه ظهور صفة خاصة لعاشق غائب واله يسلب به روحه وقلبه وعقله ونفسه ويخرجه بالغيرة من عالم العبودية وتستريح بجمال جلاله، قال العارف قدّس الله روحه: ظهور تلك لإغارة الأرواح والأشباح.

الفصل السادس والأربعون: في مقام الفرار بعد الوصال

إذا لم يجد جماله في زمان الفراق يفرّ منه ويضجر ويعربد ويهيم في بيداء ظلمات القهريات وهذا من كمال محبته، قال العارف قدّس الله روحه: هذا الفرار يقتضي حسن الوصال.

الفصل السابع والأربعون: في مقام تقرّب الحق إلى العارف

إذا وجده فراراً عنه إليه تقرّب بكشف جماله إليه ويخلصه من ظلمات القبض بنور البسط ويكسيه خلعة المداناة والقربات، قال العارف قدّس الله روحه: تقرب الحق بعد الفرار يوجب سرمدية الانبساط.

www.alkottob.com

الفصل الثامن والأربعون: في مقام العتاب بين القرب والبُعد

إذا قصّر الصادق في المسارعة إليه بنعت الشوق ولبثه في شرب شراب شهوة العشق يعاتبه الله في مقام التوحيد يكون منفرداً عما دونه، قال العارف قدّس الله روحه: هذا العتاب أعظم العذاب.

الفصل التاسع والأربعون: في مقام الاهتمام بعد الوصال

إذا انفصل عن مقام الوصل يتراكم عليه قتام السجيات ويصير اهتمامه دائماً وفكره ملازماً من فقدان لذة الجمال وحسن الوصال حتى لا يبقى في قلبه أثر يسر به ويكون صافياً من جميع الكدورات الطبيعية، كما روي في الحديث أن النبي ﷺ كان دائم الفكر متواصل الأحزان، قال العارف قدّس الله روحه: هذا غلبه عليه السلام بعد المعراج.

الفصل الخمسون: في مقام صلابة قلبه في الفترة وتمكينه في الغيبة

هذا إذا كان متواتر الذكر متواصل الحزن متراكم أنوار المحبة والشوق والعشق والمعرفة راسخاً في التوحيد تكون غيبته حضوراً وحضوره غيبة من كمال شهود سره مشاهدة القدم وتلاشيه في قدم العدم ولا يجري عليه طوارق التلوين ولا يزن عنده جميع مقامات السالكين درة بما في سره من تلاطم أمواج بحار أنوار الآزال والآباد، وهذا مقام الصديق رضي الله عنه حيث قال: هكذا كنّا حتى قست القلوب، قال العارف قدّس الله روحه: القسوة في المعرفة مقام سرمدية الحال والاستقامة في التوحيد.

www.alkottob.com

الباب السابع عشر
في مقامات المصطفين وفيه خمسون فصلاً

الفصل الأول: في مقام النعمة والاستدراج

إذا تتابع عليه نعم أنوار المواصلة وبقي في أنوار المشاهدة وسيلة شهوة العشق في رؤية الجمال سكن فورة قلبه من الشوق واستأنس بالذوق فيكون في خلال هذه الأحوال مستدرجاً بحلاوة مقامه ولا يدري، فإذا غلبت الاصطفائية أخرجته من الركون إلى حاله، قال الله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]، قال العارف قدّس الله روحه: الاستدراج هاهنا خفي المكر في رؤية النعمة.

الفصل الثاني: في مقام الاستدراك

إذا بان لمعان صبح الأزل استدرك ما فات عنه من رفيع الأحوال ويرتقي بذلك في مرقاة المقامات إلى مقام المداناة، قال العارف قدّس الله روحه: الاستدراك لنظار الحقيقة.

الفصل الثالث: في مقام الاستنباط

إذا انكشفت عرائس العلوم من حجال الحكم يستخرج من كل حرف ألف معنى وأكثر لأنه أهل الله وخاصته، قال العارف قدّس الله روحه: عروس حقائق العلم لا ينكشف إلا للمصطفين.

الفصل الرابع: في مقام الفتوى

إذا صار صاحب السر والقلب يرى عقله مرقومات نقوش حقائق الأمور والأحكام في أوراق نور الغيب يكون مفتي القلب ويخرج من حدّ تقليد العلوم والعلماء، لذلك قال عليه السلام لوابصة: «استفت قلبك ولو أفتاك المفتون»[1]، قال العارف قدّس الله روحه: لا يكون مفتياً حتى يكون ملهماً بحقائق الأسرار.

---

(١) رواه الدارمي في سننه، باب الربا الذي كان في الجاهلية، حديث رقم (٢٥٣٣) [٢/ ٣٢٠] وأبو يعلى في مسنده، مسند وابصة بن معبد، حديث رقم (١٥٨٦) [٣/ ١٦٠] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

الفصل الخامس: في مقام القضاء

إذا بلغ مقام التمكين والاستقامة ويكون متصفاً بصفات الله متخلقاً بخلقه عالماً بأحكام الله ظاهراً وباطناً يقدر أن يقضي من الخلق بالحق لأنه خليفة الله في العالم، قال العارف قدّس الله روحه: القضاء لمن له فصل الخطاب في المعرفة.

الفصل السادس: في مقام كشف علم المجهول

إن الله سبحانه علّم المصطفين علوم أسرار الربوبية والعبودية وكشف لهم علل الأحكام والموجودات فيعرفون من صورة العلم ما لا يعرفه العلماء ويسمعون من الله بالسمع الخاص علوماً غير مستفادة من ظاهر العلم وهو العلم اللدني كما ذكرنا في مواضع، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]، وقال عليه السلام: «إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله»[١]، قال العارف قدّس الله روحه: علم المجهول علم سر السر الموجود من جميع الرسومات.

الفصل السابع: في مقام تجلي القدر

لقدر الله تعالى تجلٍّ وهو ظهور نور برهانه يتبين بنوره منقوش الغيب لقلوب ربانية وعقول روحانية ومجمع ظهور أسراره من المصطفين والأنبياء والصديقين، قال العارف قدّس الله روحه: ظهور نور القدر موجب سكون السر في الرضى.

الفصل الثامن: في مقام ظهور سر القدر بنعت الإبهام

ينكشف أنوار سر الأقدار لسر المصطفين بنعت التجلي ولا إدراك هناك لحقيقتها لأنه موضع غيرة الله، ولذلك أهبط آدم عليه السلام من الجنة بعد أكل ثمرة شجرة القدر، قال عليه السلام: «القدر سر من أسرار الله لا يطلع عليه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل»[٢]، قال العارف قدّس الله روحه: القدر سر الذات ولا يعرف سر الذات إلاّ من يعرف حقيقة الذات وعلم حقيقة الذات مستحيل للحدث.

---

(١) أورده المنذري في الترغيب والترهيب، فصل عن أبي هريرة، حديث رقم (١٤١) [١/٥٨].

(٢) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

الفصل التاسع: في مقام تجلي اليد

اليد من الصفات الخاصة الذاتية وهو الأزلية والأبدية وذلك معدن القدرة، فإذا تجلّى لقلب منها يكون قادراً متصفاً بقدرته، قال الله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [المُلك: ١]، قال العارف قدّس الله روحه: تجلي اليد موجب العشق والبهاء والمعجزات.

الفصل العاشر: في مقام تجلي القَدَم

إذا بانت أنوار القَدَم بانت أنوار حقيقة التنزيه والتقديس والفردانية، وظاهرها التباس، إذا تجلى منها اشتاقت الأرواح إلى التلاشي تحت ظلال عزتها وتبرز أنوارها من عالم الكرسي لفؤاد العاشقين، قال عليه السلام: «الكرسي موضع القَدَمين»[١]، قال العارف قدّس الله روحه: تجلي القَدَم موجب رسوخ المعرفة والتوحيد.

الفصل الحادي عشر: في مقام تجلي الوجه

الوجه صفة خاصة جلالية جمالية أزلية أبدية قدمية بقائية وهو معنى في عزة ذاته وسلطان كبريائه وهو معدن الجمال والحسن منزّه عن الأشكال والأشباه والأضداد، إذا تجلّى منه لقلوب العاشقين والمصطفين من المشتاقين أغارها بجماله وجلاله وعشقها به وأوقعها في بحار الأنس به ويسقط عن أطرافها جميع الأكوان والحدثان وكشفه المقام المحمود ورؤيته مقام دنو الدنو وفناء ما دونه، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القَصَص: ٨٨]، قال العارف قدّس الله روحه: ذاته تعالى وصفاته كلها وجه إذا تجلى من ذاته تجلى من وجهه.

الفصل الثاني عشر: في مقام تجلي النفس على سبيل الالتباس

نفسه ذاته وإذا ذكر النفس بين سر الذات ظاهراً وباطناً وإذا تجلى منها صرفاً لا يحتمل تجليه الحدثان لكن برحمته وكرمه يتجلى من نفسه في لباس فعله لسلب فؤاد العاشقين والمشتاقين، قال الله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعَام: ٥٤]، قال العارف قدّس الله روحه: الرحمة هاهنا أن يتجلى منها في لباس حسن فعله.

---

(١) هذا الأثر سبق تخريجه.

www.alkottob.com

الفصل الثالث عشر: في مقام ضحك الحق في وجه العارف نصف الليل

إذا غلب على العارف الشوق إلى لقائه والأنس بمشاهدته راقب مشاهدته ودنوه في جميع الليالي ساعة في القيام وساعة في الركوع وساعة في الجلوس كما وصفهم الله بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان: ٦٤]، فإذا ضاق صدره من فقدان التجلي يظهر له الحق بصورة حسنة ضاحكاً في وجهه فزال عنه السهر والقبض ويكون منبسطاً واجداً راقصاً مصفقاً ضاحكاً مستبشراً باكياً، قال عليه السلام: «إن الله تعالى يضحك في وجوه المصلين في الليل»[١]، قال العارف قدّس الله روحه: مقام الضحك هاهنا مقام كشف الذات في صفة الخاصّ.

الفصل الرابع عشر: في مقام الأرق

إذا سلب فؤاده بحسن وجه القدم يكون محترقاً بنيران المحبة لا يطيق أن ينام بالليل ويغلب عليه الأرق، قال العارف قدّس الله روحه: أرق العاشق من تراكم الفقدان والوجدان.

الفصل الخامس عشر: في مقام رعونة الطبع من رقة العشق

إذا صفا عشقه يكون المعشوق بمراده ويظهر له في هيئة الجمال ويكون طبعه رقيقاً يتهزز ويضطرب عند رؤية أدنى جمال وأدنى سماع صوت طيب ويفعل في الرقص والسماع ما يفعل النساء والصبيان، قال العارف قدّس الله روحه: هذا المقام من مباشرة نور الجمال في قلبه.

الفصل السادس عشر: في مقام الهذر والهذيان في الأنس

إذا غلب عليه الأنس من رؤية الجمال وذوق الدنو من حجر الوصلة يكون سكراناً يهذر ويهذي في السكر ويتكلم بعبارات شتى لا يعرف معناها الخلق، روى أبو موسى عن أبي يزيد البسطامي رحمة الله عليه قال: إنه كان في الوجد يتكلم فأعرف بعضاً منه ثم بعد ذلك يهذي، قال العارف قدّس الله روحه: إذا هذر العارف تطيب أوقات الملائكة المقربين به وهو من ظهور جمال الحق بالبديهة.

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

الفصل السابع عشر: في مقام الأزيز

إذا سقط نور الهيبة في قلبه جاش قلبه من فورة نيران الشوق والمحبة ويكون قلبه متقلقلاً من الشوق والمحبة بنعت الهيبة ويكون مع البكاء وغير البكاء، قيل: كان عليه السلام يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء، قال العارف قدّس الله روحه: الأزيز قلق الفؤاد من غلبة نور واقعة الغيب.

الفصل الثامن عشر: في مقام الترنم

إذا بدا نور الحضرة في القلب وتترنم بلابل الغيب من أغصان ورد القربة يترنم العاشق بغير اختياره لأن قلبه يكون معلقاً بمخلب باز أنوار المشاهدة، قال العارف قدّس الله روحه: الترنم شعار المحبين المصطفين من العاشقين وهو هيجان السر بنعت الشوق والأنس بعالم القدس.

الفصل التاسع عشر: في مقام الزمزمة

إذا استقبلته أنوار المواجيد وتتسلسل في قلبه الواردات يتزمزم في أوائلها حتى استقام في رؤية المشاهد فإذا وقع نور المشاهدة ذهبت الزمزمة وبقيت الشهقات والزعقات.

الفصل العشرون: في مقام سماع الأبيات

للعشاق المصطفين، إذا وقعوا في نور حسن المشاهدة تطيب أوقاتهم بسماع الأبيات لرقة أحوالهم وغلبة الأنس بأرواحهم ومجامع سماع الأبيات يكون من مقام العشق والأنس والبسط، وكان عليه السلام يسمع البيت ويطيب وقته بسماع البيت، قال العارف قدّس الله روحه: إن الله سبحانه يخاطب المصطفين بمعاني الأبيات على لسان الخلق من جميع المقامات.

الفصل الحادي والعشرون: في مقام سماع القرآن خاصة

إذا خاطب الحق يجد العارف مقامه في ذلك الخطاب يأخذه الوجد الصعب، لأن سماع خطاب القرآن من معادن الأزلية، ويكون أكثرها من موجبات التوحيد، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]، قال العارف قدّس الله روحه: سماع القرآن كاشف حجب عظمة الآزال والآباد وموضع ظهور جمال الذات والصفات لا تحتمل وارده إلا قلوب الموحدين المصطفين.

www.alkottob.com

الفصل الثاني والعشرون: في مقام سماع الحديث

خاصة ما أخبر النبي ﷺ من المقامات الرفيعة والحالات الشريفة توجب الوجد المعظم عند سماعه على قدر مقام الوجد، سمعت أن بعض أهل العلم روى عند أبي سليمان الداراني رحمة الله عليه: «إن جبرائيل عليه السلام خادم الله تعالى في السماء»، فلما سمع هذا الحديث قام ودخل في بيته ووضع رأسه على الأرض وخار خوار الثور من الوجد، قال العارف قدّس الله روحه: سماع الحديث مذكر المقامات والحالات التي تكون بين الله وبين خواصه.

الفصل الثالث والعشرون: في مقام تقبيل الصفات الخاصة المتشابهة وجه العارف في وقت الرضى

هذه صفة خاصة ظهورها في مقام الرضى وهي تلطف الحق على عشاقه ليعلموا مكانهم عند الله ويعرفوا محبتهم في الله، قال العارف قدّس الله روحه: بذلك يزيد عشق المشاهدة القديمة في العاشقين وهو موضع انبساط الله إلى المصطفين.

الفصل الرابع والعشرون: في مقام بروز الصفات الخاصة بصورة الإنسان الحسن في زمان الصحو والسكر

هذا مقام الالتباس يكون في السكر والصحو، في السكر يزيد العشق وفي الصحو يزيد الأنس، قال عليه السلام: «رأيت ربي في أحسن صورة»[1]، قال العارف قدّس الله روحه: هذا مقام المكر يريد أن يدركه عاشقه بوصف الأزل في نعت آدم ليكون رفيع القدر في البسط والأنس.

الفصل الخامس والعشرون: في مقام التساكر في وقت النشاط

إذا نشط القلب بروح البسط والأنس يكون الصادق متساكراً في الوجد يتبختر كالسلاطين لوجدان برد نظر الحق في قلبه ووقوع نور مشاهدته في سره وما أصفى وقته في ذلك الوقت وما ألذّ وجده وما أطيب حاله، قال العارف قدّس الله روحه: لا يجوز التساكر إلا للسكارى.

---

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

الفصل السادس والعشرون: في مقام التواجد

هذا المقام لا يجوز إلا للمصطفين من الأولياء الذين هم أصحاب الوجود لأن التواجد بعض التكلف وهو استقبال القلب بنعت الحضور مشاهدة الحق فيه وفيه صفاء الأذكار والأفكار وحقائق الأنوار ومملوء في الأسرار نشيطاً بالوصال فرحاً بوجدان الجمال يتحرك صاحبه طلباً لوقوع نور الغيب في قلبه ويأول إلى الوجد الصافي الذي بدايته الوارد ونهايته المشاهدة والكشف والوصال، قال عليه السلام: «إبكوا فإن لم تبكوا فتباكوا»[1]، قال العارف قدّس الله روحه: التواجد اهتزاز الروح إلى معادن الفرح من الغيب.

الفصل السابع والعشرون: في مقام رؤية الروح وإدراكها في صورة حسنة

وذلك أنه إذا صفا القلب عن كدورة وظلمة الشيطان والشهوة وانهزمت جنود الطبيعة الفاسدة وصار منوراً بنور العقل والعلم والإيمان والمحبة والعرفان يخرج من معدن الغيب ويظهر القلب والعقل إما بصورة الملكوتية وإما بصورة الإنسانية ويخاطبه بلطائف المواساة، قال العارف قدّس الله روحه: رؤية الروح كشف عالم الملكوت.

الفصل الثامن والعشرون: في مقام رؤية النفس في صورة قبيحة

إذا أراد الله أن يعرّف العبد مكايد نفسه وخداعها أراها إياه بما فيها من أخلاقها المذمومة حتى عرفها وعرف عيوبها ومداواتها ليتخلص من شرها وعرف بذلك الحق سبحانه بما رآها ملبوسة بلباس القهر، قال عليه السلام: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»[2]، قال العارف قدّس الله روحه: رؤية النفس رؤية عالم القهريات.

الفصل التاسع والعشرون: في مقام رؤية إبليس مع رؤية حيله

وذلك أن الله تعالى أراد أن يعرفه حيله ومخايله وألوان تصرفه في المكريات ويريه ما عليه من لباس معادن الغيب الذي هو كسوة قهر القدم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠١]، قال العارف قدّس الله روحه: رؤية إبليس رؤية شواهد قهر القدم.

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه، باب الحزن والبكاء، حديث رقم (٤١٩٦) [١٤٠٣/٢] والبزار في مسنده، ومما روى الشيوخ عن سعد، حديث رقم (١٢٣٥) [٦٩/٤] ورواه غيرهما.

(٢) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

الفصل الثلاثون: في مقام رؤية الدنيا بصورتها وقبائحها وحسنها وبهجتها

وذلك في الحالتين بين القهر واللطف، فإذا كان العارف في مقام مشاهدة الجمال رآها على صورة حسنة وإذا كان في مشاهدة العظمة رآها في صورة قبيحة، قال العارف قدّس الله روحه: رؤية صورة الدنيا رؤية أشكال القهر واللطف.

الفصل الحادي والثلاثون: في مقام رؤية الجن

إذا بلغ مقام الولاية يرى الجنّ إما كشفاً في القلب وإما يرى في النوم وإما يراهم عياناً بالعين، قال الله تعالى في مؤمن الجنّ: ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ۖ﴾ [الأحقاف: ٢٩]، فيراهم النبي ﷺ، وكذلك سليمان وكثير من الناس يراهم، قال العارف قدّس الله روحه: رؤية الجنّ رؤية ملكوت الأرض.

الفصل الثاني والثلاثون: في مقام رؤية الموتى في القبور

إذا صفا الروح بنور الغيب ينكشف لها بمراد الله ما في الأرض كما ينكشف لها ما في السماء فيعرف العارف الموتى بأسمائهم وسِماتهم وما عندهم من أخبار الغيب وكلمهم ورأى ما عليهم من مجازاة الثواب والعقاب، قال العارف قدّس الله روحه: رؤية الموتى توجب الشوق والهيبة.

الفصل الثالث والثلاثون: في مقام مكاشفة ملكوت تحت الأرض

إن الله تعالى يري العبد المجتبى بالمعرفة والولاية ما تحت الأرض كما يريه ما في السموات من ملكوت ليعلم أن السماء والأرض معلقتان تحت العرش والكرسي؛ فإذا وصل إلى هناك يرى العرش والكرسي فصار ملكوت السماء والأرض واحداً، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٧٥]، قال العارف قدّس الله روحه: رؤية الملكوت توجب التعظيم والإجلال.

الفصل الرابع والثلاثون: في مقام الركوب على ثور الأرض

إن الله سبحانه إذا أراد أن يعرج عبده إلى عالم الملكوت وإلى مقام الدنو ركبه على ثور الأرض الذي عليه العالم ليسري به إلى ميادين الغيوب، وهذا كمال إظهار اصطفائيته عند الله، قال العارف قدّس الله روحه: رأيت هذا المقام بحمد الله ومنّه.

www.alkottob.com

الفصل الخامس والثلاثون: في مقام رؤية سقوط الفلك عن بكرة القطب

هذا من المكاشفات الغريبة وهو اطلاع على الفعل الخاص وعين العظمة والسلطنة والكبرياء، قال العارف قدّس الله روحه: رأيت انفلاق الفلك يوماً وقت الظهر عن بكرة القطب ورأيت الله سبحانه أنه وضعه على موضعه تعالى الله عن التشبيه والمشاكلة.

الفصل السادس والثلاثون: في مقام سماع الأوتار

إذا كمل العبد في مقام المحبة والشوق والعشق والمعرفة والتوحيد وصار روحانياً ملكوتياً قدسياً يسمع من الحق ويرى الأشياء بيد الحق ويرى فيها الحق ويزيد بذلك شوقه إلى الله وإلى وصاله، فإذا سمع شيئاً من ذلك من غيرها من المزامير بغير قصده يسمع منها خطاب الحق وأن الله سبحانه يهيج قلبه بنعت الشوق إليه بها، ألا ترى كيف قال سبحانه: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [فُصّلَت: ٢١]، وسمع أمير المؤمنين عليّ كرّم الله وجهه صوت ناقوس في الروم فقال لبعض خواصّه: أرأيت أنه كميل، والله أعلم، يا فلان! تعلم ما يقول الناقوس، قال الله ورسوله ووصيّ رسوله أعلم، قال: «يقول: الدنيا بنيت للخراب»[1] وأمثال هذا، قال العارف قدّس الله روحه: إذا شاهد الحق سمع جميع الأشياء من الحق.

الفصل السابع والثلاثون: في مقام إظهار الفعل المجهول والحكم المجهول

إذا بلغ مقام الأنس وسكر بوجه الحق صار سكراناً لا يكتم على المجهول ويظهر منه الأفعال المجهولة، ألا ترى كيف فعل الخضر عند موسى عليهما السلام، قال العارف قدّس الله روحه: ظهور الفعل المجهول والحكم المجهول من العارف مثل ما ظهر من الحلاج قدس الله روحه: من انخلاعه من رسوم العبودية.

الفصل الثامن والثلاثون: في مقام الخاصّ في مقامات المصطفين

مقام الخاص الخروج من المقامات والحالات والاتصاف بالصفات، قال العارف قدّس الله روحه: مقام الخاص مقام قريب من النبوة وهو التجاوز من الدنو إلى دنو الدنو.

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

الفصل التاسع والثلاثون: في مقام خاصّ الخاصّ

إذا استغرق في بحر أنوار الذات صار مكتسياً بنوره ويعرف سره وسر سره يكون في مقام خاص الخاص، قال العارف قدّس الله روحه: مقام خاص الخاص الذهاب مع العين من عين الجمع.

الفصل الأربعون: في مقام الحق

إذا أنزل أنوار الوصف في القلب فصار القلب معدن نوره

يكون القلب بعد ذلك مقام الحق إذ هو هودج أنوار كبريائه يحمله الحق به إليه، قال العارف قدّس الله روحه: مقام الحق نزول الحق.

الفصل الحادي والأربعون: في مقام الحقيقة

إذا انكشف سر الذات والصفات لسرّ العارف فهو في رؤية الحقيقة ووجد مقام الحقيقة، قال العارف قدّس الله روحه: الحقيقة وجدان مراد الله في الله.

الفصل الثاني والأربعون: في مقام حقيقة الحقيقة

حقيقة الحقيقة مباشرة نور حقيقة الحق صميم سر العارف بنعت التجلي فيصير بعد ذلك والهاً في الاتحاد، قال العارف قدّس الله روحه: حقيقة الحقيقة البقاء بعد الفناء والفناء بعد البقاء.

الفصل الثالث والأربعون: في مقام الحقوق

إن من موجبات الحقوق بذل الوجود، فإذا فني عن وجوده يكون في مقام الحقوق ثمّ إخلاص السر عما دون الله، قال العارف قدّس الله روحه: الحقوق الحقيقي ترك الحظ من مشاهدة الله للسير في الله لإدراك الله.

الفصل الرابع والأربعون: في مقام صفاء الصفاء

إذا صار صافياً بأنوار الذكر عما دون المذكور فيكون في مقام الصفاء ولا يتمّ حاله حتى يكون صافياً من الذكر بمشاهدة المذكور، قال العارف قدّس الله روحه: صفاء الصفاء صفاء المعرفة فوق صفاء العبادة.

www.alkottob.com

الفصل الخامس والأربعون: في مقام الزوائد

تكون الزوائد في جميع المقامات وأكمل الزوائد زوائد المعرفة في النكرة، قال العارف قدّس الله روحه: زوائد النكرة توجب الفناء والتحير في الذات، وزوائد المعرفة توجب الفرح والبقاء في الصفات.

الفصل السادس والأربعون: في مقام الفوائد

في جميع الأحوال فوائد وأشرف الفوائد ما استفادت الروح في الأنس والصحو من مشاهدة الذات والصفات والقدم والبقاء وما كان في علم كان من مكنونات الغيب وغيب الغيب، قال العارف قدّس الله روحه: الفوائد ما حصل للسر من السر في حجر الوصال وكشف الجمال.

الفصل السابع والأربعون:
في مقام شرب شراب الوصل من يد الحق بغير واسطة

إذا استهلك في الأنس وغاص في بحر القدس وصار عروس الله قرب الله منه بنعت الجمال وسقاه من شراب الوصال شراباً يوجب الوله والفرح والبقاء، قال العارف قدّس الله روحه: لولا شربت من ذلك الشراب في هذا العالم في مقام الأنس في هذا العالم ما وصفت ذلك الحال.

الفصل الثامن والأربعون: في مقام ظهور وجه الحق من روزنة الغيب

نعته بنعت ظهور الجمال في مرآة الفعل المستحسن من نفسه حيث قال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ [التِّين: ٤]، إذا صار العارف والهاً ذاهباً في الشوق غائصاً في بحر العشق يريه الحق وجهه من رؤية الملكوت بنعت يتناثر من جماله الورد البهائي والجواهر القدسية تعالى الله عن أن يكون قدمه محل الحوادث أو في الحوادث أو كالحوادث، قال العارف قدّس الله روحه: هذه الرؤية مقام الجلاليين من المصطفين الأخيار.

الفصل التاسع والأربعون: في كشف القيامة

تنكشف القيامة وأهوالها وأمورها وما فيها من العجائب والغرائب في المكاشفة للعارفين من أهل هذه المقامات ويرونها كما هي بأوصافها وما يظهره الله فيها من عجائب أفعاله ويرى الحق بلباس العظمة والجلال والجمال، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ

www.alkottob.com

يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾ [القَلَم: ٤٢] ويرون العرش والكرسي والجنة والنار وأهلها من المقبولين والمطرودين ومن الملائكة والحور والغلمان والولدان، ألا ترى كيف أخبر حارثة عن حاله حين سأله النبي ﷺ عن حقيقة إيمانه فقال: كأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً وكأني أنظر إلى أهل الجنة في الجنة يتزاورون وإلى أهل النار يتعاوون؛ قال العارف قدّس الله روحه: للعارف في كل يوم قيامة بل في كل ساعة لأنه دائم الكشف دائم رؤية الغيب.

الفصل الخمسون: في مقام انكشاف النار ومالك وأعوانه وما فيها على نعت الجنة وانكشاف أعلام القربات والمداناة منها

ربما تظهر نعوت جلال العظمة من جهنم حتى يكون أهلها سكارى من مشاهدته ويرى العارف ذلك في معادن الغيب وتستقبله أهلها متواجدين والهين، وهذا المقام من العلوم المجهولة رسمته هاهنا لأهل الكمال من المصطفين، قال العارف قدّس الله روحه: لو تتعجب مما فهم من قولي هاهنا أذكر قول ابن عباس في العلم كيف قال في تفسير: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ [هُود: ١٠٧]، يأتي على جهنم زمان لم يكن فيها أحد ويدخلها الرياح وتضرب أبوابها بعضاً على بعض.

www.alkottob.com

الباب الثامن عشر
في مقامات الخلفاء وفيه خمسون فصلاً

الفصل الأول: في مقام البكاء في الضحك

إذا استولى على الخليفة الأنس بالجمال وظهور الحق له بلباس ما يليق بالأنس غلب عليه الفرح في رؤية الجمال وتعرف روحه وتسيل عرقها من عينه وتضحك روحه ويسري ضحكها في الصورة فيضحك ويبكي من الفرح بالله، قال العارف قدّس الله روحه: الضحك والبكاء في الوجد يكون من مراعاة الله عاشقه في مقام الأنس.

الفصل الثاني: في مقام الخروج من الامتحان

إذا اتصف العارف بصفات الحق وبقي في النعوت ورؤية الذات على نعت الصحو واللذة ولا تنكشف عين القدم، يسقط عنه مؤن الظاهر واحتجاب الباطن، قال العارف قدّس الله روحه: هذا مقام جنون العشق.

الفصل الثالث: في مقام الهمّ المفرد

إذا كان العارف في محل التجريد يكون همّه همّ الوحدانية يريد الوحدانية لا غير ولا يبقى فيه همّ الحجاب ولا همّ الحدثان بل همته همة الربوبية، قال العارف قدّس الله روحه: الهمّ المفرد للوحدانيين.

الفصل الرابع: في مقام انقطاع الطلب

إذا اتحد بالوحدة وباشر سره سكر الوحدانية وبقي الحال معه ينقطع عنه طلب المزيد، قال العارف قدّس الله روحه: هذا مقام الوله في الاتحاد.

الفصل الخامس: في القنوط

إذا خمدت أنوار المعرفة عند ظهور نكرة القدس انصرف السر عن سطوات القدم بنعت القنوط عن الدرك، قال العارف قدّس الله روحه: معرفة زوال الحدث في القدم.

www.alkottob.com

الفصل السادس: في مقام التذمُّر على الله

إذا وجد نفسه حبيب الله وخليله وكليمه وجليسه وأنيسه ثم يرى منه مقاماً فوق مقامه يتذمر على الله من فوق ذلك، روي في الحديث أن النبي ﷺ لما أسري به وأتى موسى في الملكوت يتذمر على الله قال: «يا جبرائيل مَن هذا؟ قال: أخوك موسى يتذمر على الله، قال: وهل له ذلك؟ قال: إن الله تعالى عرفه فاحتمله عنه»، قال العارف قدّس الله روحه: التذمر ميراث البسط والانبساط وهو العربدة مع الله.

الفصل السابع: في مقام السر المجرد

السر المجرد ما لا ينزل فيه ذكر الحدثان وهو قائم بالله لا ينظر إلى غيره، كما قال في وصف الحبيب عليه السلام: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾ [النّجم: ١٧]، قال العارف قدّس الله روحه: مقام السر المجرد مقام الله لا مقام الغير وهو مملوء منه لا يبقى فيه موضع غيره.

الفصل الثامن: في مقام حكايات الأرواح مع الخلفاء

إذا سكن العارف عن السير ويكون في منزل الفترة والرفاهية غابت روحه في بحار الملكوت وتأتي إليه بخبر الغيب وحكايات عالم القدرة، قال العارف قدّس الله روحه: حكايات الروح مع العارف تورث الرغبة في الطيران.

الفصل التاسع: في مقام فهم نطق البهائم

إذا كان صاحب الخطاب ينطق الحق بلسان البهائم معه، إما نطقاً ظاهراً مفسراً كنطق الإنسان، وإما نطقاً معنوياً يفهم معناه، فمعروف أن الضبّ نطق مع النبي ﷺ، وكذلك الفرس وغيره، قال العارف قدّس الله روحه: نطق البهائم خطاب الله مع كل صديق يفهمون مراده منه.

الفصل العاشر: في مقام رؤية الملك في صورة الطير

هذا يكون في الكشف ويكون في الظاهر وهو معروف بين الخلفاء، قال العارف قدّس الله روحه: رؤيتهم بصورة الطير محل الاستئناس بالملكوت.

www.alkottob.com

الفصل الحادي عشر: في مقام رؤية عزرائيل عليه السلام قبل الموت

في موت الامتحان امتحن الله عباده في الدنيا في الواقعة ينزع الروح على قبض عزرائيل ومقصوده أن يعرفه مقامه قبل الموت وتخليصه من شدته، قال العارف قدّس الله روحه: رأيت عزرائيل عليه السلام حين قبض روحي ورأيته مراراً في الواقعات والمكاشفات.

الفصل الثاني عشر: في مقام ذهاب البصر

إذا ظهر الحق سبحانه للروح على صفة العظمة والكبرياء ودام ظهوره تحترق الروح في نيران العظمة والكبرياء ولا يصل نورها بطريق الباصرة إلى العين فلا يرى زماناً شيئاً حتى يذهب الحال، قال العارف قدّس الله روحه: ذهاب نور البصر في الحال من فناء القلب والروح في نيران مشاهدة العظمة.

الفصل الثالث عشر: في مقام هو بلا هو

هو بلا هو مقام عين الجمع، إذا انفرد بالحق لا يبقى هو ويبقى الله له فيكون هو هو، قال العارف قدّس الله روحه: مقام هو مكر.

الفصل الرابع عشر: في مقام اللطيفة

اللطيفة هي الروح القدسية ولطيفة اللطيفة معرفة الله ومعرفة الله مقام الرؤية واللطيفة في القلب والقلب مع الله، قال الله تعالى: «يقلبها كيف يشاء»* قال العارف قدّس الله روحه: إذا تلطفت الروح في المشاهدة بنور المشاهدة صارت لطيفة بحيث ترى جميع الوجود بجميع وجودها، كلها عين.

الفصل الخامس عشر: في مقام الغلط

الغلط يكون في أشكال المكاشفات الملكوتية ولا غلط في رؤية الله، قال العارف قدّس الله روحه: الغلط على ثلاثة أوجه: غلط المتحد في كمال السكر حين يدعي الربوبية، وغلط العاشق إذا سلك مسلك الشهوات، والغلط للمريدين حتى لا يعرفون لمّة الملك من لمّة الشيطان، وغلطهم لا نهاية له لأن لكل مقام غلط وإبهام.

---

* لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٦] أو إلى قوله ﷺ: «إن القلوب بين أصبعين من أصبع الرحمٰن يقلبها» رواه ابن أبي عاصم في السنة، باب إن القلوب بين. .، حديث رقم (٢٢٥) [١/١٠١].

www.alkottob.com

الفصل السادس عشر: في مقام تمني النبوة

إذا سكر العارف في مشاهدة الله ويرى مقام النبوة الذي فوق مقامه يتمنى من الحق ذلك وهذا من حدة السكر ويعلم في الصحو أن ذلك من هيجان الباطن والعلم بخلاف ذلك، قال العارف قدّس الله روحه: تمني النبوة من علم المجهول.

الفصل السابع عشر: في مقام الفراغة من تمني النبوة

إذا سقط نور النبوة والولاية من مزيد الألوهية وسرى بنهرها من بحر الربوبية، فالنبوة والولاية في الحقيقة واحدة والفرق بينهما بمزيد قرب الأنبياء في الدنو ولكن لا فرق بينهما في الأصل لأن مصدرهما واحد، فإذا علم ذلك يتمنى المزيد لا غير، قال العارف قدّس الله روحه: إذا وصل إلى بحر القدم وصادف عين العين ينزل عليه من القديم ما لا يطيق أن يتمنى فيه غيره.

الفصل الثامن عشر: في مقام الغيرة على الأنبياء

إذا رأى الأنبياء والرسل على معارج الدنو وهو في كمال المحبة يغار عليهم بأنه لا يرد أن يكون غيره في الحضرة، قال العارف قدّس الله روحه: هذا من كمال المحبة لأن الغيرة من شقائقها.

الفصل التاسع عشر: في مقام الغيرة على الملائكة

إذا بلغ مقام الأنس بالله ورآهم داخلين خارجين في الحضرة سافرين بينه وبين أوليائه وأنبيائه يغار عليهم من حدة التوحيد وهذا أيضاً إعلام المجاب، قال العارف قدّس الله روحه: غيرتهم من غيرة الحق هاهنا، لذلك قال: ﴿ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ﴾ [البَقَرَة: ٣٤].

الفصل العشرون: في مقام المحادثة مع الملائكة

إذا بلغ مقام الأنس بالله وصار شطّاحاً وغلب عليه الجرأة يحارب الملائكة من الحدة والغيرة، قال العارف قدّس الله روحه: ربما يقع بينه وبين الملائكة قضيات والقاضي بينه وبينهم الله سبحانه.

الفصل الحادي والعشرون: في مقام فقد آلام السيف في الوجد

إذا استغرق في بحر المحبة واستلذ نور الأنس وتتطرق إلى مقام التوحيد والوحدة لا تؤلمه آلام الكونين، قال الله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ [فَاطِر: ٣٥]،

www.alkottob.com

قال العارف قدّس الله روحه: لا يجد المشاهد في المشاهدة آلام السيف والسكين، ألا ترى كيف وصف الله سبحانه صويحبات يوسف عليه السلام بفقدان آلام القطع في مشاهدة يوسف، كما قال: ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يُوسُف: ٣١]، وهذا مقام الحلاج قدس الله روحه حين قطعت يداه ورجلاه.

الفصل الثاني والعشرون: في مقام ليس

الليسية مقام التوحيد والفناء عن الحس في سكر الروح عن صور العالم ونسيان من دون الله من نفسه ومن الغير وجميع الحدثان والفناء في رؤية الفناء، قال العارف قدّس الله روحه: مقام ليس مقام المحو في الحق.

الفصل الثالث والعشرون: في مقام سؤال الأنانية

إذا تمكن في التوحيد وغاص في بحر التجريد كان مستعداً للاتحاد بعد الاتصاف يسأل من الحق أن يرزقه المقام بكماله، كما سأل أبو يزيد من الله تعالى ذلك قال: إلَهي اجعلني مرآة تنظر العباد إليّ فيرونك، قال العارف قدّس الله روحه: سؤال الأنانية شغف العاشق والمعشوق.

الفصل الرابع والعشرون: في مقام الطيران

هؤلاء الخلفاء يطيرون مع الملائكة بالأرواح والأشباح لأنهم روحانيون بينهم شبه الملائكة، وهذا من كمال لطافة الظاهر والباطن؛ وما طرتُ في الهواء بعلمي ولكن وجدت ذلك المعنى الذي يطيرون به في نفسي في زمان حداثة سنّي كأني أُطيق الطيران إن أردت أن أطير، قال العارف قدّس الله روحه: طيران الظاهر للخصوص وطيران الأرواح في أنوار الوحدانية لخصوص الخصوص.

الفصل الخامس والعشرون: في مقام الضياع

إذا لم يبقَ له اسم ولا رسم ولا وصف ولا نعت ولا صفة ولا أثر ليس لفنائه خبر ولا لخبره سر ولا لسره غيب يقوم الحق مقامه له لا هو، ففي ذلك الوقت هو في ضياع من غلبة سلطان العظمة والعزة، قال العارف قدّس الله روحه: الضياع اضمحلال الوجود في كشف قدس القدم.

www.alkottob.com

الفصل السادس والعشرون: في مقام الخفقان

إذا وجد الروح الحق سبحانه بالبديهة بعد الشوق الطويل في مقام الحياء والخجل يتحقق ويضطرب غاية الخفقان والاضطراب وهو من تأثير العشق القائم ودوام كشف المشاهدة في حال البديهة، قال العارف قدّس الله روحه: الخفقان من كشف جمال الرحمٰن.

الفصل السابع والعشرون: في مقام الزمهرير في الوجد مع الاحتراق

إذا سلب الحق روح العارف بأنوار مشاهدة الجمال والجلال والعظمة وذهب بها إلى معادنها من العالم القدسي فبقيت الصورة بلا روح بل يعيش بأثرها فبقي بارداً مضطرباً متحركاً خلقها، فهذا الزمهرير من خروج الروح إلى عالم القدم والجلال، قال العارف: الزمهرير في الوجد صفقة نيران تجلي العظمة.

الفصل الثامن والعشرون: في مقام الاحتراق في الوجد بلا زمهرير

إذا بدا أنوار الكبرياء بنعت الصولة للقلب تحترق بنورها ونارها في الصورة كما تتوقد النار تحت حسيس الكير فإذ قبلته ترى جميعه محترقاً، قال العارف قدّس الله روحه: الاحتراق في الوجد من رؤية الكبرياء بلا روح الجمال.

الفصل التاسع والعشرون: في مقام البكاء في الوجد

هاهنا مقامات وأكثر حالها فورة عرق الروح في مشاهدة جمال الحق إلى آماق العيون بنعت معرفة كشوف أنوار الصفات وسناء الذات، قال العارف قدّس الله روحه: البكاء في أكثر من ألف مقام وأخصها وأفضلها من المعرفة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣].

الفصل الثلاثون: في مقام انفتاح أبواب الإجابة بعد السؤال الكثير

إن الله سبحانه لا يضيع سعي العارفين في جميع الأشياء لكن الإجابة مقرونة بأوقات مرهونة بالإرادة الأزلية لا سيما أجاب إذا بلغ كمال التربية، إذا بلغ مراده عرفه وعرف حقوقه، قال العارف قدّس الله روحه: إجابة الله مقرونة بإجابة العبد، فإذا أجاب الحق عند البداية بنعت الشوق أجابه الله بمراده حين دعاه.

www.alkottob.com

الفصل الحادي والثلاثون: في مقام الوجد بالبديهة الذي لا يعرف العارف سببه

الوجد تصرف الحق في قلب الولي، أرسل الله جنود الواردات متى شاء، وذلك القلب مرآة الله توقع عليها أنوار جماله كيف شاء، وإذا وقع على القلب نور الحق وجد لذة ذلك واضطرب ولا يعرف سببه حتى يرى بعد الحسن مشاهدة النور مثاله مثال الصبي حين ولد ووضع في فمه شيء ويذوق ذلك وهو غير منفتح العين، قال العارف قدّس الله روحه: هذا الوجد وجد المريدين ولهم وجودات أخرى وأصفاها ما يكون بعد الكشف وعلم الواجد بذلك بحيث يرى مشاهدة المراد.

الفصل الثاني والثلاثون: في مقام ذهاب حلاوة الطاعة

حلاوة الطاعة في أوائل الإرادة والمحبة، فإذا وصل إلى مقام الأنس وحلاوة الحضور في الحضرة، ووجدان أنوار المشاهدة والخطاب، وتتابع عليه واردات الغيب استغرق في الوجود، وتغلب حلاوة الشهود والوجد على جميع الأشياء، قال العارف قدّس الله روحه: حلاوة الطاعة مثال الصبح وحلاوة المشاهدة مثال الشمس.

الفصل الثالث والثلاثون: في مقام الوجد من اشتياق رائحة الطيب

إذا وصل الروح مقام الأنس تستأنس بكل جميل وكل صوت حسن وكل رائحة طيبة فإذا شفّها الله طيب وصاله سبب رائحة طيب الورد والريحان هاجت سرها بنعت الشوق والوجد إلى مشاهدة الرحمٰن، قال العارف قدّس الله روحه: الوجد الذي ظهر على العارف من اشتياق الطيب هو وصول نسيم نفحة الدنو إليه بذلك، قال عليه السلام: «حُبّب إلي من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة»[1].

الفصل الرابع والثلاثون: في مقام رقة القلب وصلابته

إذا صفا القلب بنور اليقين والإيمان رقّ وإذا سمع شيئاً من هذين المقامين زاد

---

(١) رواه النسائي في سننه الكبرى، كتاب عشرة النساء، حديث رقم (٨٨٨٧) [٥/ ٢٨٠] وأبو يعلى في مسنده، من حديث ثابت البناني عن أنس، حديث رقم (٣٥٣٠) [٦/ ٢٣٧] ورواه غيرهما. ولفظه: «حبب إليّ من الدنيا: النساء والطيب وجعلت قرّة عيني في الصلاة». وأما اللفظ الذي ورد في النص أعلاه فقد أورده العجلوني في كشف الخفاء، حرف الحاء المهملة، حديث رقم (١٠٨٩) [١/ ٤٠٥].

www.alkottob.com

رقة وإذا أثبته بأنوار المعرفة والتوحيد صلب، ويتحرك عند سماع الذكر وغيره من مقامات أهل الإرادة، ألا ترى كيف قال الصديق رضي الله عنه: هكذا كنّا حتى قست القلوب، قال العارف قدّس الله روحه: الرقة من وصف الضعفاء والصلابة من وصف الأكابر.

الفصل الخامس والثلاثون: في مقام ضرب الحق عاشقه بالصفة المتشابهة

هذا في مقام الأنس والانبساط وهو تلطّف الحق عليه وهو مقام لا يجوز أن يفشي أكثر من ذلك، قال العارف قدّس الله روحه: هو مباشرة الصفات الخاصة وجود العاشق ليكون مربى بالحقيقة ويطيق أن يحمل أثقال أحمال كشف العظمة.

الفصل السادس والثلاثون: في مقام نداء الحق وليّه ودعاءه إياه باسم الأنبياء

هذا مقام التلطّف وإظهار المنّة والاصطفائية الأزلية وسبق العناية الأبدية وأن الولاية والنبوة توأمان في المعرفة، قال العارف قدّس الله روحه: لا بأس فإنه تعالى سمّاه باسمه القديم في أوقات الوصال، قال عليه السلام: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل»[١].

الفصل السابع والثلاثون: في خطاب المعكوس

ربما خاطب الحق سبحانه أهل خاصته بما خاطب الكفار، ومراده من ذلك تأديبهم وستر أحوالهم وهو لعزة الخطاب، قال العارف قدّس الله روحه: هذا الخطاب لا يعرفه إلا أهل علم المجهول لأنه من ممكنات مقام الأنس والانبساط.

الفصل الثامن والثلاثون: في مقام حبس اللسان عن الذكر والتسبيح

إذا كمل في المعرفة ودوام صفاء ذكر قلبه لا يتكدر ذلك بتغير الأحوال ويكون أكثر حاله القبض والبسط، حبس لسانه عن دوام الذكر والتسبيح إلا ما شاء الله، وإذا كان حاله كذلك يكون الذكر والتسبيح عنده حال الصبيان، قال العارف قدّس الله روحه: الذكر باللسان طرد الغفلة عن القلب ولا غفلة في قلوبهم.

---

(١) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (١٧٤٤) [٢/٨٣] والهروي في المصنوع، [١/١٩٥].

www.alkottob.com

الفصل التاسع والثلاثون: في مقام الأكل من يد الأنبياء والملائكة والحور

هذا يكون بالظاهر والباطن في الكشف والعيان وذلك حين بلغ إلى مقام الخلفاء، ألا ترى كيف أكل عليّ وفاطمة والحسن والحسين ومريم عليهم السلام موائد الحضرة من أيد الملائكة والأرواح والأنبياء والحور، قال الله تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: ٣٧]، قال العارف قدّس الله روحه: الأكل من يد هؤلاء دليل على ولاية الأولياء.

الفصل الأربعون: في مقام طيّ الأرض

إن الله تعالى إذا أكرم ولياً من أوليائه سخّر له الهواء والماء، وطوى تحت قدمه الأرض، وهكذا كرامات الخلفاء من الأولياء، قال العارف قدّس الله روحه: وجدت في زمان الصبى، والله أعلم، شيئاً من ذلك حين ضللت الطريق في بعض الجبال فرأيت طريقاً دقيقاً وتحرك لساني بقوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ [البَقَرَة: ١٣٧] ثم وجدت نفسي على رأس الجبل بأقل من ساعة وهو فرسخين أو أكثر، وهذا من قدرة الله تعالى ليس بعجيب فإنه طير العصفور في الهواء.

الفصل الحادي والأربعون: في مقام نطق الحق على لسان البهائم والطير والسباع وحركات الرياح

إذا ظهر نور صفة الخاص في فعل الخاص ويكون العاشق والهاً هائماً كلمه الحق بهذه الألسنة الفعلية، قال العارف قدّس الله روحه: ينطق الله على جميع خلق الله إذا صار الولي في عين الجمع.

الفصل الثاني والأربعون: في مقام ظهور الحال من ذكر الشهوات

إذا غلب عليه الأنس وكمل العشق ووجد في كل ساعة جمال الحق في الوجد وتتابع فيه شهوة الملكوتية، فإذا سمع ذكر شيء فيه شهوة من المأكول والمشروب والملبوس ومعاشرة النسوان طاب وقته وغلب عليه حاله، قال العارف قدّس الله روحه: هذا الحال كمال رقة الروح في نور مشاهدة الجمال.

الفصل الثالث والأربعون: في مقام العجز عن إفشاء السر كيف يقدر أن يفشي سره

إذا كان الله كاتم سره من غيرته عليه وهناك محل الأنس والوصال وعجائب

www.alkottob.com

الخطاب، قال العارف قدّس الله روحه: العجز عن إفشاء السر غيرة القدم على العشاق.

الفصل الرابع والأربعون: في مقام شوق الحق إلى الهائم

الصواب في ذلك أن تعلم أن الشوق صفة من صفات الله تعالى وذلك شوقه إلى نفسه لأن نفس العاشق فعله وهو مريد فعله ومصدر فعله صفته ومصدر صفته ذاته تعالى كأنه يشتاق إلى نفسه وشوقه منزّه عن تغير الحدثان بل هو مريد إرادته ومحبّ أهل ولايته، أما سمعت أنه قال لحبيبه وكليمه: أنا أشدّ إليهم شوقاً، قال العارف قدّس الله روحه: شوق الله إلى عشاقه لا يكون تحت العبارة لأنه من صفات المشاهدة ولا يرى ذلك منه إلا العاشق الواله.

الفصل الخامس والأربعون: في مقام تواضع المعشوق في العاشق

هذا أيضاً من المقامات الالتباسية والصفات المتشابهة وذلك حين العاشق على حدّ التمكين في التوحيد والمعرفة يريد أن يبجّله ويعظّمه حتى يكون بين الخلائق عظيماً بعظمة الله ويعرف نفسه بمكان الكبرياء، قال العارف قدّس الله روحه: هذا حقيقة ولكن هو مكر يريد تطييب قلب العاشق.

الفصل السادس والأربعون: في مقام معرفة أوقات الإجابة

إذا عرف العارف خلق الحق وأيام أوقات الأنس والبسط ورأى الحق بنعت الرضى وإرادة أخرى هي مراد العاشق عرف هناك مجالس إجابة الدعاء، قال العارف قدّس الله روحه: إذا وجد نور الوصال ونور الجمال فهناك مقام إجابة الدعوة، قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

الفصل السابع والأربعون: في مقام نداء الحق إلى محبّيه وإعلامهم ساعة الإجابة وحثهم بالسؤال عنه

هذا بديهة لطف الله إذا شرّفهم بندائه وتعريفه إياهم مقام الإجابة والأدب في الدعاء والسؤال عنه، قال العارف قدّس الله روحه: عرّفهم بذلك مكنونات أسراره وأراهم لطائف أنوراه.

www.alkottob.com

الفصل الثامن والأربعون: في مقام نداء الحق من خواص الجبال مثل الحِراء والطور والقاف

نداء الحق أكثر من أن يحصى لكن من هذه الجبال مقام التكليم والتجلي، قال العارف قدّس الله روحه: إذا سمعت نداء من الجبال غلب عليّ العظمة والكبرياء.

الفصل التاسع والأربعون: في مقام نداء الحق من بطنان المشارق والمغارب

إذا هاج شوق العاشق إلى جمال الحق سبحانه وبقي والهاً يناديه الحق من بطون المشارق والمغارب. بـ (افهم). هو تعالى يناديه من مشارق الأزل ومغارب الأبد يريد بذلك طيب عيش العاشقين ووله الوالهين، قال العارف قدّس الله روحه: سمعت ذلك النداء فدهشت وصعقت وهو نداء البُعد في القرب.

الفصل الخمسون: في مقام رؤية أنوار صفة العظمة والكبرياء في لباس الأسد على رأس جبل القاف حين أكل جميع الأنبياء والأولياء

هذا المقام من عين السر الخاص ينكسر برؤيته عظام الخلفاء والصديقين وتتلاشى أرواح الموحدين، قال العارف قدّس الله روحه: رأيت ذلك الأسد حين أكلني فصرت أعظم من العالم من الفرح بذلك.

www.alkottob.com

الباب التاسع عشر
في مقامات البدلاء وفيه خمسون فصلاً

الفصل الأول: في مقام رؤية الكل بعين جميع الصفات في أشكال الأفعال

إذا ألبس الله تعالى نور الصفات عيون البدلاء وأراهم الذات يرون بقدر نور كل صفة مشاهدة الذات، وذلك حين أبرز نور الصفة ثم كشف جمال الذات، ثم تجلّى بعد اتصاف العيون بأنوار الصفات حين عيّن الكل في عين الجمع، فإذاً يرونه في عين الجمع كأنهم يرون الكل، وهذه عين الألطاف التي هي محل خفايا مكر القدم، قال العارف قدّس الله روحه: مشاهدة عين الكل موضع زيادة التشريق ومعرفة التلبيس.

الفصل الثاني: في مقام السؤال عن الأولية

إذا اشتاق العارف ووقع في بحر الصبابة وغلب عليه السير في الأزل والأبد استغرق في بحار التوحيد يريد أن يطلع على كنه القدم وإن علم أنه مستحيل، لكن هو معذور من جهة الشوق والتوحيد ومعرفة النكرة، كما سأل موسى عليه السلام قال: من متى أنت يا ربِّ، قال العارف قدّس الله روحه: إذا استغرق العارف في بحر النكرة ويريد أن يتخلّص منها فيغلب عليه شأن المستهترين.

الفصل الثالث: في مقام رؤية صلاة الحق تعالى عن التشبيه على وليه

من بلغ إلى كمال المحبة وصار حبيب الله فإذا توفاه الله يصلي عليه بنفسه بلا كيف، كما أخبرنا عليه السلام: «أول من يصلّي عليَّ ربِّي تبارك وتعالى»(١)، قال العارف قدّس الله روحه: الولي الصادق يرى ذلك قبل الموت.

الفصل الرابع: في مقام رؤية صلاة الحق على المحبين فوق سماوات السبع

إذا كان مقتولاً بسيف الشوق رفعه الله إلى فوق السمٰوات ويصلي عليه لأنه تعالى يصلي على العشاق المقتولين بسيف الشوق والمحبة، قال العارف قدّس الله

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

روحه: رأيت الحق سبحانه عن المثل والشبه فوق السموات السبع على أرض بيضاء مملوءة من موتى الأولياء والبدلاء والشهداء عليهم ثياب بيض يصلي عليهم تعالى الله عن كل ظن.

الفصل الخامس: في مقام العلم بليلة القدر

إذا كان إتيان ليلة القدر يخبر الله تعالى أبداله قبل ظهورها بساعة أو ساعتين أو بنصف يوم أو يوم ثم تنكشف له مثل فلق الصبح ويرى فيها عجائب الملكوت ويرى الحق سبحانه وملائكته وأنبياءه ورسله والجنة وأهلها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ [القدر: ١]، قال عليه السلام: «أُطلبوها في العشر الأواخر من شهر رمضان»[١]، قال العارف قدّس الله روحه: إن الله سبحانه أخبرني كل سنة بكرمه وفضله وأراني من عجائب قدرته ما شاء.

الفصل السادس: في مقام الخروج من رسوم العلم إلى العلم اللدني

إذا غلب عليه رؤية الغيب وانكشفت له علوم إلّهية من ألواح الملكوت يعمل بما يرى وتسقط عنه الرسوم، كما فعل الخضر عليه السلام، قال العارف قدّس الله روحه: العلم لا يخالف ذلك، لكن ذلك العلم غير منكشف في الظاهر لأهل الظاهر.

الفصل السابع: في مقام إسقاط من دون نفسه عن الطريقة

إذا وصل مقام التجريد وانفرد بالتوحيد وشرب شراب المحبة والشوق من بحر الحقيقة لا يرى في الطريقة غير نفسه وهو مستقل بذاته في السير إلى الله، قال العارف قدّس الله روحه: هذا إذا كان خارجاً من معدن الإرادة إلى معدن المحبة والمعرفة.

الفصل الثامن: في مقام التخلق بخلق الله

إذا تتابع عليه وارد تجلي الصفات وتباشر أنوارها وجوده صار متصفاً بكل صفة ومتخلقاً بخلق الله يظهر منه أفعال الله ومشيئته وأوصافه ونعوته ولا يعلم ذلك ولا يطلع عليه أحد، قال العارف قدّس الله روحه: لا يجوز الحكم بفعل من كان متخلقاً بخلق الله فإن أفعاله وأخلاقه بجملتها تأتي من مصادر الصفة وصفته لا يقاس عليها.

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده، مسند أبي هريرة، حديث رقم (٥٩٧٢) [١٠/ ٣٧٧] ورواه غيره بألفاظ أخرى متقاربة.

www.alkottob.com

الفصل التاسع: في مقام التمني عن يا ليت لم يخلق هذا

إذا أري أنوار القدم بنور القدم الغالب على أهل العدم وأن لا يوازيها الحدثان ولا يدرك غورها أهل المعارف ويبقى في نكرة النكرة وييأس من اللحوق بمعرفة المعرفة والعلم بالأولية وأداء حقوق الربوبية يتمنى بأن الله سبحانه لم يخلقه، ألا ترى كيف قال عليه السلام: «ليت ربّ محمد لم يخلق محمداً»[1]، قال العارف قدّس الله روحه: إذا بقي العارف في الحياء من القدم تمنى العدم.

الفصل العاشر: في مقام الذنب

حقيقة الذنب لا يكون إلا للأنبياء والبدلاء لأنهم بعيون الله وذنبهم قلة إدراكهم بحقيقة الوحدانية والأزلية والأبدية وجودهم ذنب في وجود الله ولا يتم لهم الاستغفار من هذا الذنب أبداً، قال العارف قدّس الله روحه: هذا الذنب لا يغفر لصاحبه يفنى في الله ثم يفنى عن فنائه.

الفصل الحادي عشر: في مقام الهوية التي تسقط فيها العبودية

إذا غاب في غيب الغيب وفني في بحار الأزل والأبد وصار غائباً في الوجد والحال وشهود العين صار سكراناً مجنون العشق لا يجري عليه قلم الأمر والنهي، قال العارف قدّس الله روحه: الهوية في العارف مقتضى فناء الرسوم فيه.

الفصل الثاني عشر: في مقام ترك الصلاة

إذا تحير في رؤية جمال القدم وفني فيه وكان مقتولاً بسيف الوحدانية متلاشياً في الأزل، كيف يصلي في تلك الحالة، يسقط عنه بغير اختياره ولو يصلي في المثَلِ، في ذلك الوقت يكون كافراً بالله، كما لو تكلف أحد في تركها ويكفر بالله، قال العارف قدّس الله روحه: إشارة الله سبحانه يقول: ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [النّساء: ٤٣]، غير منسوخة في الحقائق.

الفصل الثالث عشر: في مقام فقد الحسّ

إذا استلذّ شرب شراب المحبة، ويجري في جميع وجوده حياة روح رَوْح جمال الحق ويباشر سر سره وروح روحه روح أنسه ويكون غائباً في ضباب العظمة سكراناً

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

في الألوهية فقد في الوجد إحساسه ولا يعلم ألم الآلام ولا يعرف من الكونين شيئاً من آثار الوجود، قال العارف قدّس الله روحه: فقد الحسّ لا يكون إلا بكشف الجمال بالبديهة والاستغراق في بحار الوحدة.

الفصل الرابع عشر: في مقام الخمول

اعلم أن بدلاء الله تحت قباب غيرة الله يجري عليهم أفعال الملامتيين وهم بذلك مخمولين مستورين عن عيون الخلق، قال الله تعالى: «أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم سواي»[1]، قال العارف قدّس الله روحه: موضع الخمول موضع الغيرة.

الفصل الخامس عشر: في مقام العمل بالأعواض

العمل بالعوض يكون قبيحاً عند الكل، لكن لنا مقام لو أراد الله منا عملاً لا يفعل إلا بعد أن ينصف مرادنا قبل وإلا لا يفعل ذلك، قال العارف قدّس الله روحه: هو مقام الانبساط والعربدة ولا يعلم ذلك إلا من بلغ إلى هذا المقام.

الفصل السادس عشر: في مقام استئناس الأشياء بالعارف الصادق

إذا وصل مشاهدة الجمال وبقي في روح أنس الله وألبسه الحق لباس حسنه وجماله يستأنس به كل شيء حتى السباع والوحوش والطيور، رأى بعض المشايخ في مقام وحش فسئل عنه: من أين أنت؟ قال: أنا من كل مكان، قيل له: وما علامة ذلك؟ قال: أن لا يستوحش منه كل شيء ويستأنس به كل شيء، قال عليه السلام في الإشارة من هذا المقام: «المؤمن آلف مألوف»[2]، قال العارف قدّس الله روحه: من استأنس بالله استأنس به كل شيء.

الفصل السابع عشر: في مقام اضمحلال العلم في المشاهدة

إذا برز الحق بالبديهة بلباس الوحدة يفنى عن المشاهدة ما علم منه بعلم الرسوم ويجتهد هناك أن يعلمه ما استفاد منه ولا يقدر لأنه تعالى لا يدرك بالعلوم ولا ينال بالفهوم، قال العارف قدّس الله روحه: هذا موضع التحير لا موضع العلم المبهوت في الله أي شيء يعلم من الله.

---

(١) أورده الجرجاني في التعريفات حديث رقم (١٤٧٤).

(٢) أخرجه ابن حبان في المجروحين، باب العين، حديث رقم (٦٣٠) [٧٩/٢] والذهبي في ميزان الاعتدال برقم (٦٣٤٣) [٣٠٠/٥] وأورده غيرهما.

www.alkottob.com

الفصل الثامن عشر: في مقام الخروج من العلة

من ظهر في بحر رؤية الأزل وتقدس في مياه قاموس الأبد وصار متصفاً بالصفات منوراً بنور الذات لا يكدره شيء ويصفو به كل شيء وجميع وجوده يكون روحاً قدسياً جلالياً لا يتكدر بغبار الزمان والمكان، قال العارف قدّس الله روحه: علّة المعرفة تذهب بعلة البشرية.

الفصل التاسع عشر: في مقام تبديل السيئات بالحسنات

من أقبل على الله بالكلية يكون جميع أنفاسه طاعة وقربة، لو يعثر في مزلة القدم من سدمة القدر يكون دينه عند الله طاعة، قال الله تعالى: ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ﴾ [الفُرقان: ٧٠]، قيل: رياء العارفين إخلاص المريدين، قال العارف قدّس الله روحه: إذا سار العارف في ميادين الوحدانية بمراكب التوحيد تكون سيئاته حسنات.

الفصل العشرون: في مقام الصلاة في المشاهدة

هذا من كمال الشوق والعشق والمحبة يتواضع لمعشوقه وما أطيب ذلك الحال، لذلك قال عليه السلام: «جعلت قرة عيني في الصلاة»[١]، قال العارف قدّس الله روحه: الصلاة مقام الشهود والكشف والمشاهدة.

الفصل الحادي والعشرون: في مقام الصلاة في الأنانية

إذا بلغ العارف مقام الأنانية واتّصف بالوحدة وتوحّد في الاتحاد وصار عين العين وجب له حق العبودية لأنه هو الحق فلما لم يكن الخلق لائقاً بخدمته يؤدّي حق الحقيقة بنفسه لعلمه بأن الخلق لا يحتمل حق الربوبية، وهذا نادر في العالم ويمكن أنه إذا شاهد الأزل، ويدعي الأنانية من مباشرة الأزلية بقي عليه حظ المشاهدة، فقهره الحق بإلزامه الصلاة غيرة على وحدانيته، قال العارف قدّس الله روحه: إذا بدا في هذا المقام الروح بهذا النعت تتواضع لها الصورة لما عليها من آثار نعوت الأزل.

---

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

الفصل الثاني والعشرون: في مقام سقوط الولي عن عين الولي

إذا وقع الخلاف بين المقامات ويكون رفيع القدر في منازل التوحيد والمعرفة والعلم المجهول تكون شمائله وأخلاقه وأفعاله في الغالب مجهولة ولا يطيق أن ينظر إليه من دونه في المقامات، ألا ترى كيف ينكر موسى على الخضر عليهما السلام، وفي الأثر: «لو اطّلع السبعة على القطب لأباحوا دمه»، قال العارف قدّس الله روحه: هذا من غيرة الله.

الفصل الثالث والعشرون: في مقام ظهور الحقيقة بلا رسم الربوبية

إذا انكشف الذات والصفات صرفاً بغير لباس الأحوال وتصرفت الصفات فيها صارت الحقيقة ظاهرة بلا رسم الربوبية، وقال العارف قدّس الله روحه: هاهنا مقام البهت.

الفصل الرابع والعشرون: في مقام بروز النكرة بلباس النكرة

إذا ظهرت عين القدم بنعت العظمة والهوية صارت النكرة في النكرة منكشفة فلما لم يبقَ للعارف إدراك ويكون منطمس عين السر يصير وجوده ﴿هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفُرقان: ٢٣]، من الحسرة والفوت ويرجع من الحق إلى وجوده وييأس من السير في الأزل، قال العارف قدّس الله روحه: النكرة في النكرة مسقط توحيد الموحدين ومعرفة العارفين.

الفصل الخامس والعشرون: في مقام طوع النفس بغير اختياره

إذا استأنس الروح بالله وصل حظ الروح إلى النفس وتصير منقادة لها لكون مرادها في الأنس بالطاعة ووجدان حظها من جوارح الروح، قال العارف قدّس الله روحه: إذا اطمأنت بتواتر المواجيد ووجدت لذتها اطمأنت وانقادت للعبادة بلا كلفة.

الفصل السادس والعشرون: في مقام الرضوان الأكبر

إذا انكشف بنعت الرضى والجمال وألبس عين الشاهد نور جماله يراه به بلا حجاب ولا نكرة ويكون عند الشاهد كأنه يرى مراده أجمع ولا تظهر النكرة في مقام التوحيد، قال العارف قدّس الله روحه: الرضوان الأكبر الاتصاف بالله والخروج من امتحان الله.

www.alkottob.com

الفصل السابع والعشرون: في مقام الشهادة

إذا قتل الله محبوبه بسيف الشوق في الوصال وطرحه على بساط الجمال يكون حيًّا بالله وبحياة الله ولا يفنى بالله بعد كشف الله، قال الله تعالى: ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ﴾ [البَقَرَة: ١٥٤]، قال العارف قدّس الله روحه: الشهيد من استشهد بطرف الكبرياء.

الفصل الثامن والعشرون: في مقام المعاشرة في مقام القدس

إذا كمل في التوحيد وذاق طعم التفريد يكون معاشر عروس القدم ويجلس على بساط المداناة، قال العارف قدّس الله روحه: معاشرة الأبدال المداناة والوصال بعد قطع أنوار ميادين الصفات وكشف جمال الذات.

الفصل التاسع والعشرون: في مقام ما كشف في الأجل

لا يموت البدل حتى يرى الله بعين الظاهر وهذا سنته مع البدلاء ومن لم يؤمن بذلك فالنار والشنار ترجع إليه، قال العارف قدّس الله روحه: رؤية عين الظاهر ليس ما بعد من رؤية عين الباطن وهو عيان من كل الوجوه، قال الله تعالى: وهو ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ [الحَديد: ٣].

الفصل الثلاثون: في مقام الإكمال

قال الله سبحانه: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المَائدة: ٣] وهو إسباغ نعم الظاهر والباطن وتمهيد الطريقة والحقيقة والتربية في محل التمكين، قال العارف قدّس الله روحه: لا يموت الأبدال حتى يروا أنفسهم في أوائل مقام الأنبياء.

الفصل الحادي والثلاثون: في مقام النقابة من مقامات البدلاء

وهو نيابة الرسل مثل الحواريين بعد عيسى عليه السلام والآن هو نائب محمد ﷺ بعد اتصافه بصفته عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗا﴾ [المَائدة: ١٢]، قال العارف قدّس الله روحه: نقابة الأبدال مقام اتصافهم بصفات الأنبياء.

الفصل الثاني والثلاثون: في مقام الوراء

هو مقام أعلى عليّين، قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨﴾ [المطفّفين: ١٨]، إذا طار فوق العرش بجناح المحبة والشوق فهو في مقام الوراء، قال العارف قدّس الله روحه: مقام الوراء للأرواح القدسية.

www.alkottob.com

الفصل الثالث والثلاثون: في مقام وراء الوراء

إذا ارتفع السر عن عالم النور وقام مقام التحير فهو في مقام وراء الوراء وهناك مقام توقع النداء، قال الله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ [النّجم: ١٠]، قال العارف قدّس الله روحه: وراء الوراء ظهور صحارى القدم.

الفصل الرابع والثلاثون: في مقام الغمام

رؤية غمام الغيب بعد وراء الوراء لبصر الحقيقة إذا وصلوا أول حجاب غيب الغيب، وحديث الغمام معروف في الحديث عند قوله عليه السلام: «كان في عماء»[١]، قال العارف قدّس الله روحه: مقام رؤية الغمام رؤية أوائل العظمة.

الفصل الخامس والثلاثون: في مقام الضباب

الضباب فوق الغمام وهو انتشار ضوء أبيض مثل اللؤلؤ وهذا من الحجاب الأعظم وبعد ذلك كشوف العين، روي في الحديث أن شعيباً عليه السلام كان يرى الله في الضباب، قال العارف قدّس الله روحه: في الضباب تنكشف أنوار العزة قبل قطعه.

الفصل السادس والثلاثون: في مقام وجدان أثر الله بعد قطع الضباب

إذا وصل إلى الروح برد بركات كشف جماله تجد الروح بها سبحات الصفات وبقيت منتظرة للدنو، قال العارف قدّس الله روحه: هذا المقام مقام ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ [النّجم: ٩].

الفصل السابع والثلاثون: في مقام غلبة الشهوة

هناك إذا رأى جمال الحق تحركت شهوة العشق في نفسه وروحه، وذلك من تأثير مباشرة نور الجمال وروح الوصال، قال العارف قدّس الله روحه: وجدت ذلك حتى صرت مملوءاً من الشهوة واحتجبت بعد ذلك إلى المباشرة والنظر إلى وجوه الحسان.

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، باب بدء الخلق، حديث رقم (٦١٤١) [٨/١٤] وابن ماجة في سننه، باب فيما أنكرت الجهمية، حديث رقم (١٨٢) [١/ ٦٤] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

الفصل الثامن والثلاثون: في مقام وجدان النفحات من شمال الحق حين تهبّ من رياض القدس إلى عالم الأنس

لو يرى العارف في هذا المقام تسمع منه رائحة القربة ويرى عليه آثار جمال الحق لأنه في مشهد صحارى الجلال والجمال منتظراً للوصال مستأنساً بالدنو، قال العارف قدّس الله روحه: ما وجد ووجه من تلك الصحارى من نفحات يجد الألوهية تشفي عليل فؤاد المشتاقين وسقم قلوب الشائقين.

الفصل التاسع والثلاثون: في مقام وجدان لذة طعام الروح في الفم

إذا شرب الروح من بحر القرب شراب الوصلة تظهر آثاره في فم صاحبها ويذوق لسانه وفمه ذوق ذلك الشراب، قال العارف قدّس الله روحه: كثير منه وجدت في فمي وظننت من هاهنا، قال عليه السلام: «أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني»[1].

الفصل الأربعون: في مقام طيب البدن بطيب ألطف من جميع الطيب

إذا وصل نسيم الروح الوصال إلى الأرواح تطيب الأشباح من طيب الأرواح، قال العارف قدّس الله روحه: هذا من تتابع نفحات التجلي في القلوب من الغيوب، والحمد لله الذي خصّني بذلك.

الفصل الحادي والأربعون: في مقام إحساس أهل الغيب بلا رؤية العين والقلب

إذا صفا السر يحس الروح بحضور أهل الغيب وإن لم يرهم وهناك اشتغال القلب بالسير في سفر الآزال والآباد وربما لا ينكشف من غيرة الحق أو لم ينكشف ذلك بشغله عن سير السر وإن كان من أهل البداية لا يتم صفاء جوهره، قال العارف قدّس الله روحه: هذا من مقامات أهل الإرادات.

الفصل الثاني والأربعون: في مقام غيبة الحق بعد الظهور

هذا موضع ذبح العارفين حين تغيب شموس الآزال والآباد عنهم وبقائهم متوحدين متحيرين لا لهم وصول ولا لهم رجوع يطلبون ما غاب عنهم بالأسرار

---

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه، باب الدليل على أن الوصال منهي عنه..، حديث رقم (٢٠٧١) [٣/ ٢٨٠] وأبو داود في سننه، باب في الرخصة في ذلك، حديث رقم (٢٣٧٤) [٢/ ٣٠٩] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

وينظرون إلى عالم الأنوار، قال العارف قدّس الله روحه: هذا الفوت مقام الفراق والقبض بعد البسط.

الفصل الثالث والأربعون: في مقام خروج عروس القدم من حجاب الغيب بالبديهة ودخوله في حجاب الغيب بعد التصرف

يبدو الحق سبحانه بالبديهة من حجب الغيب ويتجلى للبدلاء بالبديهة ويتكلم معهم ويواسيهم ويزورهم ثم يدخل في حجب الغيب بلا كيف، قال العارف قدّس الله روحه: ربما يكون صرفاً وربما يكون التباساً وأكثر هذا الحال إما بنصف الليل أو بنصف النهار.

الفصل الرابع والأربعون: في الوقفة بين بحار الملكوت وجبال الملكوت

بحيث تجري على الواقف المتحير قاموس الكبرياء ولا يطيق التحرك هناك حتى يبرز له الحق بنعت الجلال والجمال وتحدّث معه بحديث الأسرار، قال العارف قدّس الله روحه: هذا مقام لم يبلغ إليه إلا من كان راسخاً في التوحيد في موازاة القدس.

الفصل الخامس والأربعون: في مقام إنكار الحق ما جرى على محبّه وعاشقه من الزلات

وذلك حين اعتذار العاشق من الخطرات والزلات بنعت الحياء والخجل ويقول: كنتَ قادراً على دفع ذلك مني، فيقول الحق سبحانه: ما عندي بذلك خبر، وهو منزَّهٌ عن الجهل بل علمه محيط بذرّات الوجود لكن مقصوده تطييب قلب العاشق حتى يعلم أنه تعالى يتجاوز عن ذلك، قال العارف قدّس الله روحه: ما أطيب هذا الإنكار يا ليتني متّ في ذلك وذلك من كمال شفقة الحق على محبه.

الفصل السادس والأربعون: في مقام الاشتغال بالنوافل بعد تركها

إذا كان المحبّ في بدو المحبة يكون مشتغلاً بالنوافل حتى صار سكراناً فيسقط عنه ذلك في أواسط الحال لأنه هناك من الوالهين فإذا سكنت فورته وجرت عليه أحكام الأنانية والشطح والغلبة يرجع إلى مقام الحرمة ويصلي للمقصرين ويستغفر للمذنبين ويظهر من نفسه سمات العابدين، لذلك قال الجنيد حين سئل ما النهايات؟ قال: الرجوع إلى البدايات، وكان أبو الحسين الزنجي في الحرم ثلاثين سنة لم يأكل ولم يشرب ولم يصل النوافل ثم يصلي بعد ذلك، فقيل له في ذلك قال: أستغفر

www.alkottob.com

للمذنبين، قال العارف قدّس الله روحه: الاشتغال بالنوافل بعد الكمال عذر الحسبان في إدراك قدم الرحمٰن.

الفصل السابع والأربعون: في مقام رؤية الكون حين يكون أقلّ من خردلة كالكرة بين صولجان القدرة يذهب به من الآزال إلى الآبادي في ميادين الغيب

هذا موضع كشف العظمة وظهور الحق بنعت الصولة يراه العارف بهذا الوصف لفنائه في عظمته وكبريائه ويتماشى فروسية فارس القدم كيف يضمحل الوجود عند ضرب صولجان قدرته، قال عليه السلام: «الكون في يمين الرحمٰن أقلّ من خردلة»(١)، قال العارف قدّس الله روحه: عند روية ذلك المقام تطير روح العارف من وجدان برد التوحيد في نور سلطان كبرياء الحق.

الفصل الثامن والأربعون: في مقام رؤية إيجاد الحق الكون من العدم عند عدمه

وذلك حين ينظر العارف إلى الحدثان بعين التوحيد المجرد ولم يره ومكث بين العدم والوجود فتقاضى سره، أين العالم؟ فيبرزه الحق عند كينونيته فيرى خروج الكون من العدم إلى الوجود، قال العارف قدّس الله روحه: هذا مقام الخليل عليه السلام في رؤية الطيور المعدومة، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [البَقَرَة: ٢٦٠] وعند هذه الرؤية يزول الناظر وعلمه في عدم إدراكه شيئاً من عالم القدرة والربوبية.

الفصل التاسع والأربعون: في مقام نسيان العارف وجود الله بالكلية ظاهراً وباطناً

وذلك إذا رفع الله بساط ملك معرفته عن قلبه ويجعله في ظاهره وباطنه كالغيب في غيب والعدم في عدم لا يعرف عقله الوجود ولا يبقى من قلبه أثر ولا من سره خطر ويكون روحه كواحد تسقط من منارة أو جبل ولا يدري في وسط الهواء شيئاً وهو محل الفناء في فقدان الحق، والغرض من ذلك أن يكون معدوماً كما لم يكن حتى يكون بعد ذلك بظهور ذات الحق وصفاته كما كان في الأول حتى تجدد عليه طوارق أنوار الذات والصفات ويكون عارفاً مبتدئاً في معرفته بقي فيه ذوق الفناء، قال

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

العارف قدّس الله روحه: المقصود من ذلك بقاء العارف في مقام التواضع عند الاتحاد.

الفصل الخمسون: في مقام نقصان الوجد وزيادة العلم

إذا صار صاحياً من سكر المحبة عارفاً بجمال الوحدانية متصفاً بالألوهية باقياً في الصحو في مقام الأنس يكون حاله في الوجد مسرمداً وذكره دائماً ومشاهدته أبدية وهو قائم بالحق لا تجري عليه أحكام التلوين ولا يضرّ به شيء في العالم وهو مستحسن الحال كريم الخلق حسن الوجه ظريف المقالة كل وقت يسبح قلبه في بحار زلال الجمال بغير أُجاج[1] النكرة، قال العارف قدّس الله روحه: زيادة العالم بالصفات والذات يزيده الصحو والأنس والراحة والفرح في حضوره وغيبته عن الحضرة.

(١) الأجاج: شدة الحر. والماء الأجاج: الماء الملح، والأجاج: المالح.

www.alkottob.com

الباب العشرون
في مقامات الأقطاب والغياث وفيه خمسون فصلاً

الفصل الأول: في مقام تعلّم الملائكة حقائق العلوم منهم

إفهم أن الملائكة خلقت من نور الملكوت وخلقت أرواحهم من نور فوق الملكوت والملائكة لا يطيقوا أن يتجاوزوا عن مقاماتهم المعلومة بقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الصَّافات: ١٦٤] والقطب يدخل حجب غيب الغيب ويسمع من الحق بلا حجاب ويرى أفعالاً خاصة من الحق فبذلك يحتاج الملائكة إلى ذلك العلم منه، كما سمعنا أن أبا موسى سأل عن أبي يزيد قدّس الله روحه: من هؤلاء الذين يأتوك ولا أعرفهم، قال: ملائكة الله يسألونني عن العلوم، قال العارف قدّس الله روحه: مقام جوهر روح آدم عليه السلام معدن القدس والجلال، لذلك خصّ بالعلم اللدني فوق علم الملك، ألا ترى كيف قال سبحانه: ﴿أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ [البَقَرَة: ٣٣].

الفصل الثاني: في مقام نزول الملك على قلوبهم

إفهم أن قلبه حضرة الله الخاصة يدور حولها الملائكة يدفعون عنها إلقاء العدو ووسواسه ويخبرون الروح القدسي من الوحي الإلّهي الذي يتعلق بالأحكام لقوله سبحانه: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ١٩٣]﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشُّعَرَاء: ١٩٤]، قال العارف قدّس الله روحه: العلم الخاص يأخذ من الحق بغير واسطة ودونه يتلقف قلبه من ملك الوحي والإلهام.

الفصل الثالث: في مقام رؤية الملك على صورته

إذا أراد الله يريه آياته العظام يريه هيئة ذات الملائكة على أصل فطرتهم، كما أراها موسى عليه السلام حين سأل الرؤية ونبينا عليه الصلاة والسلام صورة جبرائيل، والمقصود من ذلك أن يشاهد أفعال العظمة ليرى فيها مشاهدة نور القدم ويكون قوي القلب عارفاً بجبارية الحق سبحانه، قال العارف قدّس الله روحه: هذا من خاصية القطب رؤية الملكوت بغير مثال وذلك حين ظاهره وباطناً روحانياً.

www.alkottob.com

الفصل الرابع: في مقام رؤية إبليس على هيئته

إن الله سبحانه يفضل عليه بأن يريه الشيطان على صورة القهر حتى يرى فيها عجائب القهريات ويعرف في شمائلها عجائب المكريات فينكشف له فعل المجهول من القدم ويقع في بحر الإجلال والعظمة والكبرياء والفناء عند ظهور سطوات قهر الأزل، روي أنه ظهر ليحيى عليه السلام بصورته، قال العارف قدّس الله روحه: إذا شرب عين السر من مشرب عين نور الذات والصفات يرى به ما يصدر من القدم على هيئته إما قهرياً وإما لطفياً.

الفصل الخامس: في مقام
نظره إلى السماء ليرى الملائكة أو شيئاً من الملكوت بالبديهة

هذا إذا اشتاق إلى الغيب ليرى شيئاً لم يره قط لأنه غرثان[1] إلى ما وراء من كشوفات أسرار الملكوت لقوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [البَقَرَة: ١٤٤]، قال العارف قدّس الله روحه: طلب كشف أهل الملكوت من الاستئناس بعرائس الغيب، سمعت أن النبي ﷺ كان إذا مكث عنه الوحي يصعد إلى الجبل فكاد أن يلقي نفسه من الجبل فيأخذه جبرائيل ويضمّه حتى يسكن.

الفصل السادس: في مقام الدعاء عند رؤية البأس

إذا رأى بنور سره بلاءً من الله وقهراً على عباده وبلاده من الأعداء والظلمة ينصر عباد الله بدعائه وهمته العلية، وهذا من شأن محمد ﷺ حين دعا على قريش فطال في الدعاء حتى قال الصديق رضي الله عنه: دع مناشدتك مع ربك فإن الله منجز وعده، قال عليه السلام: «بهم يدفع البلايا»[2]، قال العارف قدّس الله روحه: دعاؤه عند رؤية البأس إظهار سر الانبساط ومقام العربدة ومقام الاتصاف ومقام الفناء في العظمة.

الفصل السابع: في مقام السؤال عن سر القدر

إذا خلا مع الله وصار في مقام النجوى ويرى عجائب مرقومات الغيب في عالم القدر السابق يشتاق إلى العلم ببطون أسرار القدم فيسأل من الله غامضات سر الأقدار

---

(١) غرثان: جائع والغَرَث: أيسر الجوع، وقيل: شدته؛ وقيل هو الجوع عامة (لسان العرب).

(٢) هذا الأثر لم أعثر عليه فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

فيريه الله أمثلة أفعاله الخاصة ليعلم منها بعض موجبات أحكام الغيب بتعرف نعوت الأزل حين التبس بنكرة النكرة وعاينت روحه بطون أنوار الحقيقة من عين الحقيقة وهذا ما سأل عزير حيث حكى الله سبحانه بقوله: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البَقَرَة: ٢٥٩]، قال العارف قدّس الله روحه: طلب العلم بسر القدر اقتحام الأسرار في أنوار الألوهية والربوبية ولا يرجع إلا بنعت الفناء والحيرة.

الفصل الثامن: في مقام الوقوف على معرفة السعداء والأشقياء

إن الله سبحانه نقش على وجوه السعداء والأشقياء سمات السعادة والشقاوة ولا تقرأها إلا عين تكحلت بنور النور فتعرفه به ويرى به مقاماتهم وأحوالهم في الغيب فيحكم على تلك الطائفتين بما هم فيه. سمعت أن شيخنا وسيدنا أبا عبد الله بن خفيف كان يقول: لولا الحرمة لا فرق بين الشقي والسعيد، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عِمـران: ١٧٩]، قال العارف قدّس الله روحه: إذا تلطف الروح بنور الحق يرى به ما للخلق من الشقاوة والسعادة.

الفصل التاسع: في مقام رؤية ظهور أسرار القيامة

إذا كان خاصاً في الحضرة ينكشف له سر أشراط الساعة من اللوح المحفوظ فيعلم أسرار ظهور عجائب القيامة قبل إتيانها ويعرف ما يقع في العالم من واقعات الغيب المستقبلة إلى سنين كثيرة، كما أخبر النبي ﷺ عن أشراط الساعة، وسمعت أن يوسف بن الحسين قدس الله روحه كان يقول: لولا الحرمة لقلت: متى يأتي عيسى بن مريم من السماء ومن يقوم من ظهره ومن أيّ بيت يتزوّج؟ قال العارف قدّس الله روحه: هذا سهل على من يسمعه الله ذلك ويريه أحكامه في أوراق نور الملكوت فبالله يرى وبالله يسمع.

الفصل العاشر: في مقام كشف علم المجهول من القدر بأن يرى جميع الخلائق في الجنة المؤمن والكافر والفاسق

هذا أمر عجيب من الأمور الغريبة والعجائب الشريفة وذلك حين انكشف ما في بطون الأقدار السابقة المكاشفة سر السر وغيب الغيب وعرف من الحق لطف القدم، وذلك حين رأى ظهور جلاله بنعت القدم بوصف عدم القهر في زمان يتجلى لجميع الذرات فيستغرق الكون وما فيه في نور ألطافه ويرتفع عن الخلائق غطاء قهره القديم

www.alkottob.com

ولا يبقى أحد إلا في نور جماله أبداً لا يجري عليه أحكام الغضب والقهر بعد ذلك، قال العارف قدّس الله روحه: هذا مما خصصت به ما كوشفت لي من حقائق الغيب.

الفصل الحادي عشر: في مقام وجدان سر
﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ [النّجم: ١٠]

إن الله سبحانه إذا اصطفى عبداً من عبيده بما اصطفى الأنبياء والرسل يعلم سره من الحق ما علّمهم من مكنون السر وسر السر وغيب الغيب. سمعت أن النبي ﷺ لما رجع من المعراج وأتى أصحاب الصفة سمع منهم من الوحي الخاص الذي سمع من الحق في الغيب يجأرون به فيما بينهم، قال العارف قدّس الله روحه: إذا استشرفت على الملكوت ترى ما يرى الأنبياء وتسمع ما يسمع الأنبياء.

الفصل الثاني عشر: في مقام ذكر الروح
ما سمع من الحق عند قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]

إن الله تعالى خصّ الأرواح الملكوتية بخطابه ورؤية جماله حين أوجدها من العدم بنور القدم وأنزلها منازل المقامات والمداناة، فمن نزل مقام الكسر والجمال استغرق في الدهش من طيب خطابه ومشاهدة جماله ولا يعلم عقله ما جرى وكيف جرى لأنه بقي في السكر ولا يعلم السكران علم ما جرى من الغيب بعد الصحو ونزل بعضهم في مقام الصحو والبسط وسمع بسمع الصحو خطاب الحق وفهم ما قال الحق ولا يذهب عنه ذلك أبداً، كما قال أمير المؤمنين علي كرّم الله وجهه: ذكرت خطاب الحق حين خاطبني بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، قال العارف قدّس الله روحه: خطاب الأزل إذا تسرمد صار كأنه سمع في الساعة قول: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

الفصل الثالث عشر: في مقام ذكر ما رأى الروح في الميثاق الأول

إذا استشرفت الروح الناطقة السامعة الشاهدة حضرة الملك الأول ورأت من أمارات الإيجاد يذكر ذلك بعد دخولها في الصورة وذلك من كمال قوتها في القدس والطهارة وقلة لوثها بالطبيعة، وهذا كما روي في الحديث أن النبي ﷺ دعا رجلاً من الكفار إلى الإسلام فحضر الحسن بن علي كرّم الله وجههما فقال: إنه لا يسلم، فقال عليه السلام: «لمَ قلت هذا يا بنيّ؟» فقل: يا رسول الله رأيت جميع أرواح المؤمنين يوم الميثاق فأجابت الحق عند قول: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وما أجابه

www.alkottob.com

هذا»[١] قال العارف قدّس الله روحه: هذا من لطائف المكاشفات الغريبة، والصادق إذا بلغ غاية معرفة الله يجد ويذكر ما جرى عليه في أول العهد ويوم الميثاق كأنه رأى العين.

الفصل الرابع عشر: في مقام الدهشة والوله على السرمدية

هذا من نعت القطب، إذا انكشف الحق له بنعت الجمال والجلال وُله ودُهش في نور الجمال والجلال ويكون غائباً في الغيب لا يحسّ ولا يعلم من هذا العالم شيئاً إلا ما شاء الله في أوقات الإفاقة، قيل: إنه لا يطيق إلا في وقت الصلاة المكتوبة، قال العارف قدّس الله روحه: من دهش في جمال الحق لا يجري عليه أحكام الظاهر إلا في أوقات الصحو.

الفصل الخامس عشر: في مقام الملك

إذا اتصف بصفة الملك من الحق صار ملكاً في المعرفة والتوحيد ويكون ملتبساً بأنوار الملك والملكوت ويعلو عليه لباس سلطنة الحق يكون بأمره ما يشاء ويتصرف في الملك والمملكة كيف يشاء، قال الله تعالى: ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عِمران: ٢٦]، قال العارف قدّس الله روحه: لو أشار في هذا الوقت إلى السماء قربت منه بنعت التواضع.

الفصل السادس عشر: في مقام الاختفاء بالصورة من أعين الخلق

إذا صار روحانياً تكون صورته مثل روحه يقدر أن يختفي من عيون الناس حيث لا يرونه وهو يمشي بينهم، كما سمعت أن بعض أصحاب ذي النون حكى عنه أنه معه ليلة في بلد كان يطوف فيه العسس قال: جاء العسس ومسح ثوبهم بثوبه لا يرونه، قال العارف قدّس الله روحه: إذا ألبس الله حبيبه لباس الغيب يكون غائباً عن أعين الخلق إن أراد ظاهراً وإن أراد باطناً.

الفصل السابع عشر: في مقام العلم بنزول الغيث قبل إتيانه هذا

إذا انكشف أحكام الغيب بأفعال ممثلة مثل غيم وضباب أو يخبره لاحق في سره بلسان السر فيعلم أنه ينزل الغيث قبل نزوله، قال العارف قدّس الله روحه: كثيراً ما رأيت مثل هذا وذكرت مع أصحابي فجاء بعد ذلك المطر.

---

(١) هذا الأثر سبقت الإشارة إليه.

www.alkottob.com

الفصل الثامن عشر: في مقام الحكم بما في بطون النساء من الذكر والأنثى

ربما يكون ما في البطن ينكشف له بصورته ذكراً أو أنثى وربما يسمع من الحق أو من تلك الخطاب، قال العارف قدّس الله روحه: حكمت بهذا كثيراً بما أخبرني الله بعلم ذلك ويكون ظاهراً كفلق الصبح: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عِمرَان: ٩]، وروي في الحديث أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أخبر بذلك عند وفاته أنه ولد له أنثى بعد موته فكان كذلك.

الفصل التاسع عشر: في مقام العلم بحضور الموت قبل نزوله

إن الله تعالى يخبر القطب وغيره من الأولياء الخاصة القريبة من مقام القطب أنه يموت في وقت معين، كما أخبر النبي ﷺ حال وفاته في خطبة الوداع، قال العارف قدّس الله روحه: إذا أراد الله أن يقبض روحه دعاه من بطنان الغيب فعلم أنه نداء الوصال والخروج من دار الامتحان، كما قال علي بن سهل رحمه الله: أتظنون أني أموت كما تموتون؟ إذا دعاني أقول لبّيك وأموت، فقال يوماً عند أصحابه لبّيك ومات في الساعة.

الفصل العشرون: في مقام الحكم بما يأتي في المستقبل من الغيب

إنه ينظر بعين السر إلى الغيب وغيب الغيب ويرى ما فيه بنور الحق الذي ينكشف في قلبه حين شاهد روحه بنعت ظهور سبحات أنوار الصفات والذات فيطلع هناك على أسرار القضاء والقدر التي كتبت على اللوح المحفوظ فيحكم بما يأتي إلى سنة وسنتين وأكثر. كما أخبر الأنبياء، قال الله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الجنّ: ٢٦، ٢٧]، قال العارف قدّس الله روحه: إذا كان الكاشف هو الله تعالى يرى بعين الروح ما يأتي إلى يوم القيامة.

الفصل الحادي والعشرون: في مقام القدرة بإظهار شيء معدوم

إن الله سبحانه إذا ألبس صفاته أحداً من عباده ويذوق حلاوة مباشرة نور تجلي صفاته ويكون متصفاً بتلك الصفات يقدر عليه إظهار ما يجد في الغيب بقدرة الله وذلك عند الله سهل، قال العارف قدّس الله روحه: إذا كانت يده يد قدرة يقدر بقدرة الله إظهار المعدوم، ومعروف أن القطب يأخذ من الهوى ما يريد.

www.alkottob.com

الفصل الثاني والعشرون: في مقام إذا تمنى الموت يموت في الساعة

إذا رأى روحه مقاماته التي لا يصل إليها إلا بالموت ولا يرى ذلك المقام إلا في وقت الأجل؛ سمعت أن بعض الأولياء انكشف حاله الذي مع الله من السر فتغير حاله وقال: إلّهي إن كنت صادقاً توفني الساعة، فمات في الساعة، قال العارف قدّس الله روحه: إن الله لا يقبض روحه إلا حين يختار الموت.

الفصل الثالث والعشرون: في مقام إسقاط نفسه

كل وقت تغلب عليه أنوار العظمة والكبرياء ورؤية حقيقة العبودية والربوبية ولا يرى نفسه متحققاً في الفناء فيها يرى نفسه أخسّ من الكافرين، قال العارف قدّس الله روحه: إذا ظهرت حقيقة الألوهية لا يرى الصديق لنفسه مقداراً عند كل نفس وعند كل شيء.

الفصل الرابع والعشرون: في مقام الغياثة

إذا تحير أحد أو جماعة في برّ أو بحر بلاء وشدة ويكون مضطراً عاجزاً أعلمه الله ذلك فيتحرك ويأخذ يده من تلك الورطة والبلاء لذلك سمي غوثاً، قال عليه السلام: «بهم يدفع البلاء»، قال العارف قدّس الله روحه: إذا بلغ الولي إلى مقامات العظام يتخلص بهمته الغرقاء والهلكاء وإن كان من بعد منه، قال الشبلي لبعض أصحابه إذا أرادوا سفراً: أنتم في جواري.

الفصل الخامس والعشرون: في مقام إذا تحرك خاطرهم بشيء فيكون ذلك في اللحظة

سره يختار ما يختار الله في الأزل ويرى ذلك بنور الحق، فإذا رأى شيئاً في الغيب ويشتهيه بعد الرؤية يوجده الله في الساعة حتى لا يكون باقياً في قلبه ما دون الله، قال العارف قدّس الله روحه: كون مراده بالسرعة دليل على رعاية الحق سره.

الفصل السادس والعشرون: في مقام سبب الملائكة معه

إن الله إذا اصطفى عبداً بهذه الدرجة جعل حراسه بالليل والنهار ملائكته تحفظه من شر شياطين الأنس والجن ويخدمونه ليلاً ونهاراً، كما روى في الحديث: أن أبا ذر رأى في بيت عليّ رضي الله عنه رحىً تدور بلا أحد فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «إن الله خلق ملائكة لخدمة أهل بيتي»، قال العارف قدّس الله روحه: إن لله حفظة لأوليائه من الملائكة.

www.alkottob.com

الفصل السابع والعشرون: في مقام كلام الجمادات معه

إن لله سبحانه في الأفعاليات أرواحاً تلك الأرواح عكس نور الغيب في ذراتها عند مباشرة القدرة وذلك فيض الفياض القديم وذلك الفيض منه لسان يسبّحه ويقدّسه، لذلك قال: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، ظاهره للعموم وشهود الغيب خاص مستتر منهم يفهمون لسانها، وإذا أراد الله أن يعلم الغوث شيئاً من ذلك أنطق لسان الفعل حتى يتكلم معه ويخبره من مكنون الغيب، كما كان الحجر والشجر يتكلم مع النبي ﷺ، قال العارف قدّس الله روحه: كلام الجمادات نطق الله بلسان الفعل. رأيت في بعض كتب المشايخ أن عبد الرحيم الإصطخري رحمة الله عليه كان في بعض الجبال، فقال في الوجد: لا إلّه إلا الله، فقال الحجر والمدر والشجر معه: لا إلّه إلا الله.

الفصل الثامن والعشرون: في مقام رؤية جبرائيل وغيره من الملائكة ظاهراً والمخاطَبة معهم

هذا المقام قريب من مقام النبوة يرى جبرائيل والملائكة وسَفَرة السماوات وسكان العرش إما كشفاً بعين الروح وإما عياناً بالعين، وهذا إذا بلغ عين القدس ويكون مقدساً بالقدس ويكون روحاني الصورة وملكوتي الروح كالأنبياء والرسل يراهم بعين النور ملتبسين بأشخاص الإنسانية كما رأته مريم عليها السلام، وكذلك أم موسى تراه لجهة الولاية لا لجهة النبوة ولا تعجب من ذلك فإن السامري وفرعون رأيا جبرائيل عليه السلام وكانا كافرين، قال العارف قدّس الله روحه: إذا بلغ مقام الاصطفائية وكمال المحبة والمعرفة يرى خالق الخلق فكيف بالمخلوق.

الفصل التاسع والعشرون: في مقام إحداث المعدوم في المكاشفة

هذا إذا ألبسه الحق نعوته وجعله متصفاً بصفاته يريه إياه قادراً بقدرته فيظهر بإرادته ما يريد في الغيب من كون الخلق، كما أخبر أبو يزيد رحمة الله عليه، قال: قال الله لي أنت مثلي يا أبا يزيد؟ لست مثلي؛ كوّن سماء مثل سمائي وأرضاً مثل أرضي، فكوّنت سماء مثل هذه السماء وأرضاً مثل هذه الأرض حتى كوّنت سبع سماوات وسبع أرضين مثلها ثم أعدمتها ثم قلت: إلّهي لا حاجة لي فيها، قال العارف قدّس الله روحه: هذا من الله سبحانه إلباس نور الصفات إياه وهو موضع تجربة ومكر وامتحان وحجاب.

www.alkottob.com

الفصل الثلاثون: في مقام الأفعال المجهولة

إذا وقع بحر عجائب الربوبية وانكشف عند حقائق أحكام الغيبية يفعل أشياء بخلاف رسوم الشرع، وهناك موضع ستر الربوبية الذي لو انكشف حقيقة لبطلت أحكام الظاهر، ألا ترى كيف فعل الخضر عند موسى عليهما السلام من قتل الغلام وكسر السفينة، وكيف كان ينكر موسى عليه السلام مع كمال علمه، وفي الحديث: «أنه لو اطّلع المختارون السبعة على أحواله لأباحوا دمه»[1]، قال العارف قدّس الله روحه: إذا ظهر عليه توالي أحكام القطب صار فعله مجهولاً وعلمه مجهولاً وهو مخاطب بذلك مأمور لا يجوز أن يقتدي به أحد بالرسم لأنه خاص له لا لغيره فيه حظّ، ألا ترى كيف قال الخضر لموسى عليه السلام: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ۝٦٨﴾ [الكهف: ٦٨].

الفصل الحادي والثلاثون: في مقام أكل الطعام من الجنة

القطب يأكل طعام الجنة ويأتي به الرضوان والخضر وإلياس، كما كان لمريم حيث قالت عند سؤال زكريا عليه السلام: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: ٣٧]، قال عليه السلام: «أبيت عند ربّي يطعمني ويسقيني»[2] وقد أتى جبرائيل عليه السلام بطعام الجنة إلى فاطمة والحسن والحسين وعليّ رضي الله عنهم، قال العارف قدّس الله روحه: أكلت طعام الجنة في النوم فإذا انتبهت وجدت أثر طعمه في فمي رزقك الله وإيّانا ظاهراً وباطناً.

الفصل الثاني والثلاثون: في مقام عدم إرادة أكل طعام الدنيا

إذا صار روحانياً ملكوتياً صمدانياً لم يشتهِ الطعام والشراب ما دام متصفاً بهذه الصفات مثل سهل بن عبد الله وأبي الحسين الزنجي وأبي تراب النخشبي وهشام بن عبدان الشيرازي قدس الله أرواحهم، قال العارف قدّس الله روحه: سمعت من بعض الأولياء أن القطب عليه السلام يأكل من سنة إلى سنة ويأتيه الخضر وإلياس ويطبخان الأرز فيأتي من الدهش ويأكل معهما ويتوضأ ثم يغيب إلى السنة القابلة، وكنت في زمان حداثة السن بوصف لو أكل عندي لذائذ الطعام ما اشتهيت ذلك قطّ.

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٢) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

الفصل الثالث والثلاثون: في مقام ظهور النور منه بالظاهر

إذا صار روحه منوراً بنور الربوبية وقلبه بنور العبودية وعقله بنور الغيب وسره بنور المشاهدة صارت صورته مشكاة لتلك الأنوار، فإذا صفت الصورة من كدورة الطبيعة ظهرت تلك الأنوار من صورته ظاهراً كما يظهر ضوء السراج من الزجاجة الصافية، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النُور: ٣٥]، وهكذا كان النبي ﷺ وخلفاؤه الخاصة؛ وكان أبو الحسين النوري إذا كان في الوجد يرى النور ساطعاً منه لذلك سمي النوري.

الفصل الرابع والثلاثون: في مقام الحكم بين الخضر وإلياس

إذا بلغ إلى مقام الحقيقة واستقام في المعرفة والتوحيد ويكون مخاطباً من الله في جميع حركاته وسكناته لا يخفى عليه أسرار الأنبياء والرسل ويحكم في علمهم ومقاماتهم ويقضي بين الخضر وإلياس فيما وقع لهما من أحكام الغيب كما روى بعض أصحاب الجنيد قدّس الله روحه قال: كنت جالساً عند الجنيد واحمر وجهه واصفروخرج من داره وكنت خلفه فانتهينا إلى غيضة فتجرد من ثيابه واتّزر بمئزر ودخل فيها وكنت جالساً عند ثوبه فلما طال الزمان جاء ولبس ثوبه وكان مستبشراً فقلت: يا سيدي! إيش[1] هذا الحال، فقال: وقع بين الخضر وإلياس مسألة فاستحكماني فحكمت للخضر، قال العارف قدّس الله روحه: إذا سمع من الحق كلام الحق وصار راسخاً يحكم بذلك بين الأنبياء والأولياء والملائكة.

الفصل الخامس والثلاثون: في مقام العفو قبل العتاب

إذا بلغ محبة الله إياه وصار مراداً لله في العالم من حيث أنه موضع ودائع الله الخاصة من أسرار الذات والصفات ويجري عليه من تصاريف الامتحان وأدرك ما فات عنه من لطائف كشوف سر السر واهتم به وبعتاب الله عفا الله عنه ذلك ولم يعد به بوجه من الوجوه ثم يعاتب عتاب تقريب وزلفة وحسن وصال وزيادة درجات، كما صنع بحبيبه عليه السلام حيث قال: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣] قال العارف قدّس الله روحه: العفو قبل العتاب لا يكون إلاّ عند كشف النقاب.

(١) إيش: أي [أي شيء].

www.alkottob.com

الفصل السادس والثلاثون: في مقام تعذيب الأسرار قبل الزلل

إذا أراد الله امتحان قلب من قلوب أحبائه حجبه عن مشاهدة جماله لحظة حتى وقع عليه زلة ولولا ذلك الحجاب ما زَلَّ فإن ذلك الحجاب تعذيب الأسرار قبل الزلل، وهذا في حقّهم مزعج قلوبهم إلى مقامات الحياء والإجلال في المشاهدة، قال العارف قدّس الله روحه: زلة العارف الوقفة على ذوق الحال والمشاهدة وتعذيبه قبل ذلك غيرة لله على وجوده إذا كان له ناظراً إليه من الحدثان.

الفصل السابع والثلاثون: في مقام الشفقة على الكفار

ذلك من لطافة قلبه ورحمته ورقته ورؤية ضعف الخليقة عن حمل عذاب الله والنظر إلى استغناء الله عن الخلق والخليقة وطاعتهم ومعصيتهم وتنزيهه عن إيمانهم وكفرهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، قال عليه السلام: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[١]، قال العارف قدّس الله روحه: الشفقة على الكفار من رؤية حسن اصطناع الحق فيهم كأنه يحبب صنعه، قيل: إن بعض المشايخ رأى غلاماً جميلاً من النصارى فقال في سره: إلٓهي خلقته جميلاً وتحرقه بالنار، فنودي في سره: وهبت هذا لك، فصاح الغلام ووقع في رجله وأسلم وحسن إسلامه.

الفصل الثامن والثلاثون: في مقام ظهور نور جمال الحق من وجهه

إذا سطع نور جمال الحق في قلبه استنارت روحه بنور الحق فأشرقت أنوار الروح في البدن فيتناثر نور جمال الحق من وجهه، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ [الزُمَر: ٢٢]، قال أبو يزيد: يرى في وجه العارف نور الصمدية، قال العارف قدّس الله روحه: ربما يتجلى الحق من وجهه وجميع وجوده للعالمين فيرى نور تجليه من وجه حبيبه ووليّه.

الفصل التاسع والثلاثون: في مقام تفريق إبليس وجنوده منه

إذا ألبس الله وليه رداء كبريائه وكساه إزار عظمته وجعل أنفاسه معجونة بأفانين أسرار شوقه ومحبته تفر الشياطين من حدة أنفاسه كي لا يحترقوا بناره ونوره، لذلك

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى، باب ما على الوالي من أمر الجيش. . ، حديث رقم (١٧٦٨٣) [٩/ ٤١] والترمذي في سننه، باب ما جاء في رحمة المسلمين، حديث رقم (١٩٢٤) [٤/ ٣٢٣] ورواه غيرهما.

www.alkottob.com

قال عليه السلام: «إن الشيطان يفرّ من ظلّ عمر»[١] قال العارف قدّس الله روحه: الشيطان محترق من أنفاس الواجدين المتحققين.

الفصل الأربعون: في مقام تأثير نور القطب في الشيطان حتى يكون منقاداً له ويصير منصفاً عنده متواجداً بوجده في رؤيته

إذا كان الصديق عاشق الله شائق الله في مشاهدته محبّ الله هائماً في بيداء جبروته وصحراء ملكوته فانياً في أنوار الذات باقياً في جمال الصفات ويراه إبليس بهذه الأحوال ينقاد عنه ويتواجد بوجده ويتصف ولا يكتم سر مكره منه، لذلك قال عليه السلام: «أسلم شيطاني فيعينني في الخير»[٢]، قال العارف قدّس الله روحه: إذا صار عروس الحق في ملكه تخضع له شياطين الإنس والجن.

الفصل الحادي والأربعون: في مقام سقوط رسوم الكفر والإسلام عن قلبه

إذا وقع في بحر حقائق الربوبية وعرف طرق نكرات القدم بنعت الاستغراق في لجج عين الجمع سقط عن قلبه رسوم الكفر والإسلام ويرى جريان تصاريف الإرادة القدمية على كل ذرة يرى الفعل والفاعل واحداً من حيث الحقيقة، قال العارف قدّس الله روحه: إذا ذاق حلاوة الوصل سقط عنه الرسم ويعلم أنهما لا يؤثران في الاصطفائية.

الفصل الثاني والأربعون: في مقام إلباس الله إياهم لباس الهيبة والسلطنة حتى ترعب منهم الأنبياء والأولياء والملائكة

إذا بهتوا في أنوار القدس وهاموا في أودية العظمة والآلوهية وشاهدوا جلال القدم عليهم سناء سبحات الحق فيفزع عنهم كل خلق من الأنبياء والأولياء والملائكة والجن والحيوان والسباع، قال الله تعالى: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف: ١٨]، قال العارف قدّس الله روحه: إذا تجلى منهم بوصف العظمة يرعب منهم كل خلق ما دام في تلك الحالية.

الفصل الثالث والأربعون: في مقام روحانية صورته

إذا صار جسمه كروحه وصفت بصفاتها وطهرت بطهارتها من دنس الطبيعة

(١) أورده محمود العيني في عمدة القاري، باب إذا انفلتت الدابة في الصلاة [٧/ ٣٨٧].

(٢) هذا الحديث سبق تخريجه.

www.alkottob.com

والصفات النفسانية يطير في الهواء مع الملائكة ويرى بعينه ما يرى بروحه من الغيب، قال عليه السلام: «نحن معاشر الأنبياء أجسادنا روح»[١]، قال العارف قدّس الله روحه: الروح إذا لطفت بنور الغيب لطفت الصورة بلطف الروح.

الفصل الرابع والأربعون: في مقام استيحاشه من الخلق والخليقة وإن كان نبياً أو ولياً أو ملكاً

إذا كان في كمال الأنس بالله وفانياً في الله وأصلاً بالحقيقة يستوحش من الخلق وإن كان صديقاً لأنه مستغرق في الأصل وسقط عن الوسائط، ألا ترى كيف قال الخضر عليه السلام لموسى عليه السلام: ﴿لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧]، قال العارف قدّس الله روحه: من استأنس بروح مشاهدة الله يستوحش مما دون الله.

الفصل الخامس والأربعون: في مقام العلم بعواقب الخلق

إن الله تعالى أعطى له عيناً من عيون الصفات منورة بسناء الذات يرى بها عواقب الخلق إلى أواخر أمرهم، قال الله تعالى في حق الخضر عليه السلام: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: ٨٠]، قال عليه السلام: «علمت ما كان وما سيكون»[٢]، قال العارف قدّس الله روحه: بعين الله تعالى يرى ما عند الله.

الفصل السادس والأربعون: في مقام إذا رأى أحداً يعلم من يقوم من ظهره

هذا يرى بعين الغيبة التي ترى أسامي بني آدم ويرى بها صورة روحه في الملكوت فيحكم به كما يحكم النبي ﷺ بمحمد بن حنفية قبل ولادته، قال العارف قدّس الله روحه: تقبل صورة الأرواح والأجسام عند روح الأولياء فيعرفها قبل كونها في العالم.

الفصل السابع والأربعون: في مقام إذا مسح على ذي عاهة من البرص والجذام والأكمه برأ بإذن الله في الساعة

هذا من أخصّ الكرامات وأبين المعجزات وذلك بعد اتصافه بصفات القدرة كعيسى صلوات الله عليه حيث قال الله تعالى: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: ٤٩]، سمعت أن الشيخ أبا الحسين بن هند قدّس الله روحه كان في هذه

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٢) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

www.alkottob.com

الدرجة، وروى السري قدّس الله روحه: أنه بلغ في بعض جبال مكة فرأى خلقاً كثيراً فسأل عن حضورهم فقال: إن في هذا الغار رجل من أولياء الله يخرج على رأس كل سنة مرة فيمسح على ذوي العاهات فيبرأ بإذن الله وفي القوم عميان ومرضى والأكمه والأبرص فخرج شيخاً مهيباً من الكهف ومسح على القوم فبرئوا بإذن الله عزّ وجل، قال العارف قدّس الله روحه: هذا إذا كان مشكاة منورة من نور القدرة.

الفصل الثامن والأربعون: في مقام الابتهال

إذا بلغ مقام الغوثية فصار لسانه مفتاح خزائن الإجابة

إذا أراد أن يفتح تلك الأبواب يجري قلبه بالاتكاء إليه ثم يحرك لسانه بالدعاء لخلقه فيدفع عنهم عظيم البليات لأنه كان مرآة الحق، إذا أراد أن ينظر إلى العالم يتجلى له ثم ينظر منه إلى العالمين، فهذا المقام كان للنبي ﷺ حيث قال الله تعالى: ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ [آل عمران: ٦١]، قال الكتاني: إذا وقع في العالم بلاء ابتهل النجباء فإن لم يندفع ابتهل العرفاء فإن لم يندفع ابتهل المختارون فإن لم يندفع ابتهل الغوث فيندفع في الساعة. قال العارف قدّس الله روحه: إذا عظم الأمر لا يندفع إلا بلسان عظيم.

الفصل التاسع والأربعون: في مقام تربية الأبدال وتعليمهم علوم الحقائق

إن الله تعالى يكشف غوامض علومه الغيبية من جميع المقامات والحالات والمعارف والتوحيد والسر وسر السر له، فإذا صار مثل آدم علّمهم ما يجهلونه وذلك مثل الوحي وهم يحتاجون إليه في كل مشكل ومبهم فيرفع عنهم الإشكال والإبهام، قال الله تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ١٠٥]، قال العارف قدّس الله روحه: إذا بلغ الولي إلى مقام عند الله يصير فيه دواء لكل مريض من مرضى المحبة والمعرفة ويكون غياث كل سالك طالب.

الفصل الخمسون: في مقام الربانية

هذا إذا كان يتطرق من جميع المقامات والحالات والمعاملات إلى درجات المكاشفات ويتصف بالصفات ويتحد بأنوار الذات ويصير نوراً نورياً وسراً سرياً وواحداً أحدياً ينشعب منه فيض الأكبر وهو تجلي جميع الصفات منه للعالم والعالمين فهنالك يكون راسخاً ربانياً صمدانياً مفزع الخلائق به ينفتح أبواب الحرمة وبه يندفع البلايا، قال الله تعالى: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، قال العارف قدّس الله روحه: لا ينال درجة القطبية حتى يصير بهذا الوصف.

www.alkottob.com

الفصل الحادي والخمسون: في مقام علم الأسماء الكلية

إفهم أن ما ذكرنا من صفات القطب عليه السلام فهو فروع أحواله مع الله وآثار بركة شمائله للعالم، وأصل مذهبه السير من الأولية إلى الآخرية ومن الآخرية إلى الأولية وسياحته في بحار الآزال والآباد والقدم والبقاء وغيبوبته في غيب الذات والصفات وشربه من أنهار الأسماء والنعوت، فإذا أراد أن يدخل في بحر الصفات يكون سفينة أنوار الأسماء، فبكل اسم يدخل في بحر من بحار الصفات وبكل صفة يقطع أبحر الذات، وإذا أراد الله أن يريه عين العين وعيان العيان وسر السر وحقيقة الحقيقة ومطالع طوالعات القدم ومقارب البقاء في بقاء البقا،ء يركب سره وسر سره وروحه وقلبه وعقله ونفسه سفن الأسماء فيذهب به إلى كشوف أولية الأولية وآخرية الآخرية، ثم يغرقه بعد الأسماء والنعوت في بحار الصفات وحقائقها، ثم يغرقه في قاموس الذات فساعة في قعر غيب الغيب وساعة في لجج، فلزم الوحدانية والألوهية ساعة فانياً وساعة باقياً، فبكل اسم من أسمائه يبلغ إلى معنى من الصفات والذات حتى يبلغ إلى كمال الحيرة فيتطرق من اسم إلى اسم ويفنى في كل لحظة بين اسم واسم، والله تعالى يعلم أنه لا يبلغ إلى منتهى أسمائه لأن له تعالى أسماء لا يحصى عددها لأنها قديمة وهي أكثر من كل ذرات الكونين وقطر البحار والأمطار، فيتجلى من نفسه في جميع أسمائه ويتجلى من الجميع لخواصها ومن خواصها لخواص خواصها، ثم يتجلى منها لاسمه الخاص، ثم يتجلى من اسمه الخاص لقلب الغوث، فيعلم من كل اسم معنى من صفاته ونعوته وأوصافه وذاته ويذوق في مباشرته ذوقاً من كل اسم، وهذا الاسم أعظم من كل اسم، ولا يعلم سره إلا القطب من هاهنا بلغ إلى مقام آدم عليه السلام حيث قال الله سبحانه: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البَقَرَة: ٣١] وتلك الأسماء أسماء الصفات والنعوت والأوصاف وهو مجمع جميع الأسماء، ثم يسير بمراكب أنوارها إلى الأوصاف والنعوت بعد وجدانه من كل اسم في نفسه ما فيه، ثم يجد من كل نعت نعتاً في نفسه ووصفاً من أوصافه، ثم يسير بمراكب النعوت إلى الصفات فيسير في ميادين كل صفة بتلك المراكب، فيعلم الحق سبحانه تحيره وعجزه من البلوغ إلى منتهى صفاته فيتجلى من نفسه لصفاته، ثم من جميع صفاته لصفته الخاصة الذاتية التي هي ظهورها وانكشافها بوصف الصفة المتشابهة التي إذا بدت في الأزل تجلى فيها من القدم للعدم ظهر من العدم بها آدم، فإذا غرق الحق بتلك الصفة فغرقت جميع الصفات كما غرق جميع النعوت بنعت الخاص وجميع الأوصاف بوصف الخاص، فإذا اتصف بتلك الصفات والنعوت والأوصاف وعرفت

www.alkottob.com

الأسماء وسار في ميادين أنوارها يدخل بها بمراكب أنوارها في ميادين أنوار الذات، فأول إدراكه يقتضي له التحير والبهتة والفناء وفناء الفناء، فيبقى فيها متحيراً هائماً فانياً أبداً فيذهب به أمواج بحار عزّة الذات ساعة إلى الأولية وأولية الأولية والآخرية وآخرية الآخرية، فكم من سر ينكشف له في سر من سر سر، وكم من غيب ينكشف له من غيب الغيب وكم من فصل ووصل وكشف عين وعين عين، وكم شراب يشرب في حجر الوصال فيقتضي له الهجر، وكم من شربة تشرب من بحر المعرفة في نشاط الأنس فيقتضي له الوحشة والنكرة، ولا يزال متحيراً بين نكرة ومعرفة وتوحيد وتفريد. سبحان الذي بلغ عبداً بكرمه القديم من عباده إلى هذه المراتب السنية ودرجات المعرفة، فيخرجه من حجال أنسه بنعت القدس في العالم فيكون مرآة جماله وجلاله من نظر فيها يرى الله سبحانه، فطوبى لمن رآه وطوبى لمن وصل إليه، وطوبى لمن شاهده، وطوبى لمن رزق خدمته، آثره الله من خلاصة الكون والخليقة واصطفاه لنفسه من البرية، وهو موضع ودائع أسراره ومشكاة أنواره، نفسه أنفاس صبح الأزل خُلقه رحماني وخَلقه جمالي ووصفه جلالي، وهو رحمة العباد وزينة البلاد به تمطر السماء وبه تنبت الأرض وبه نظام الملك؛ ورزقنا الله وإياك لقاءه وصحبته ودرجته بمنّه وكرمه.

تمّت مقامات الأولياء من بدايتهم إلى نهايتهم وهي ألف مقام وبها يدور جميع المقامات، بينهم وبين الله ليس لمقاماتهم حدّ ولا نهاية ولكن من عبر بهذه المقامات وصل إلى الكل والله تعالى أعلم وأحكم

فرغ من إتمام هذا الكتاب باليمن والبركة غداة يوم الأربعاء السادس عشر من ذي قعدة سنة تسع وسبعين وخمسمائة مصنفه وممليه بالبديهة وهو يومئذ ابن اثنين وخمسين سنة

فرغ من كتابة هذا الكتاب الشريف العبد الضعيف الفقير إلى الله الغني المغني أحمد بن إسحاق بن إبراهيم الحسني الحسيني عصر يوم السبت السابع من ربيع الأول لسنة ثنتي عشر وثمانمائة حامداً مصلياً مسلماً؛ وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلني متحققاً بهذه المقامات وسائر مقامات الأولياء والمقربين بجاه سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وأهل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه الغرّ المحجلين والحمد لله رب العالمين

www.alkottob.com

فهرس المحتويات

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

MAŠRABUL-ᵓARWĀḤ

(A thousand and one Rank of Sufism)

by

Aš-Šayḫ Rōzbahān Ben Abi Naṣr Al-Baqli

Edited by

Dr. ᶜĀsim Ibrāhīm Al-Kayāli

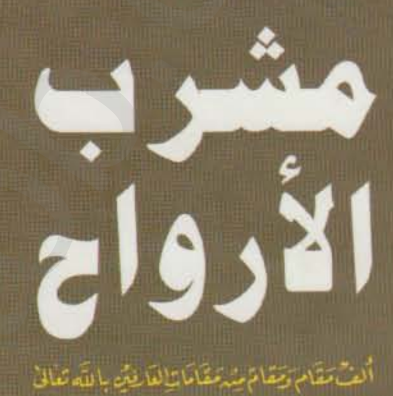
DAR AL-KOTOB AL-ILMIYAH
Beirut-Lebanon

www.alkottob.com
www.alkottob.com

روزبهان بن أبي نصر البقلي

مشرب الأرواح

دار الكتب العلمية



ألف مقام ومقام من مقامات العارفين بالله تعالى



Designed & Printed By: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah



Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

هاتف 12 / 11 / 804810 5 961+ ص.ب 9424 - 11 بيروت - لبنان

فاكس 804813 5 961+ رياض الصلح - بيروت 2290 1107

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

www.alkottob.com